نفثات اليراع

في

الأدب والتاريخ والاجتماع

بقلم

محمد عبد الرحيم

الجزء الأول



صورة سمو الامير الجليل عمر طوسون

إلى الأمير الذى طابتْ شمائله ... ومنْ بطلعته الأيام تفتخرُ

ربُّ السماحة والسبّاق مكرمةً ... والكاشف الضرّ عمّنْ جاء ينتصرُ

إلى سموّك «ياطوسون» أرشدنا ... مصباحُ رفعتك اللألاء والخبرُ

رفعتَ ألوية الإحسان بارزة ... يكفيك ما أبدتْ آياتك الغررُ

العربْ والعجمْ والأحياء كلُّهم ... بفيض كفك «ياطوسون» قد غمروا

في كلّ دار لكم فى الحمد ظاهرةٌ ... فالبدْو تشهد والصحراء والحضر

اليك أهدى كتابا أنت ملهمه ... فاقبل «عليك سلام الله ياعمر»



المؤلف

التقاريظ

هذا ما كتبه بعد الاطلاع على الكتاب العلامة الفا عثمان بن السيد المختار المولود بمدينة جدّه في سنة ١٢٩٩ هـ الفلاتى أصلا والمالكي مذهباً والذي جمعني به محاسن الصدف في كتم عند أوبته من الاقطار الحجازية

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن رفع السماء وبسط الأرض وكون ما بينهما بأنواع المخلوقات . وصلى الله على سيدنا محمد الذي بهر العالم بعظائم المعجزات . وبعد فاني وصلت الى كتم فى شمال دار فور فى ذى الحجة سنة ١٣٤٩هـ وابريل سنة ١٩٣١ م عند أوبتي من الحج فتصفحت بها كتاب (نفثات اليراع في الادب والتاريخ والاجتماع) لكاتبه حضرة محمد افندى عبد الرحيم . فألفيته سفراً جمع من نكات الادب أغلاها ومن بدائع الاثار أحلاها . فانه أماط اللثام عن المخبوآت ومد رواقاً من نور الحقيقة على دياجير المجهولات فجزى الله كاتبه عن الادب والتاريخ خير الجزاء ونفع الله بمؤلفه الابناء والاصدقاء والسلام

الجمعة ١٣ ذو الحجة سنة ١٣٤٩ و ١ مايو سنة ١٩٣١

كاتبه
الفا عثمان بن السيد المختار
الفلاتى الملاوي

وقد كتب الي بعد أن اطلع على الكتاب صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ احمد محمد أبودقن شيخ العلماء حالا بمعهد أم درمان العلمى ومفتش محاكم السودان الشرعية سابقاً قال حفظه الله :—

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين أما بعد فقد اتاح الله لى تعالت قدرته الذهاب الى مديرية دار فور لتفتيش أعمال محاكمها الشرعية ولما وصلت منها الى قاعدة كتم مركز دار فور الشمالى اسعدني الحظ بلقاء حضرة الصديق الاديب والكاتب القدير محمد افندى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن فاطلعنى على مؤلفه «نفثات اليراع في الادب والتاريخ والاجتماع» فألفيته جليل القدر عظيم النفع عمد فيه مؤلفه الى اقليمى وداي ودار فور فأماط اللثام

فقد أثار ذلك في نفسي حب البحث والتنقيب عن تاريخ هذه البلاد منذ ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٠ م وشرعت فى تأليف كتاب سميته « الهدية عن الخطط السودانية » وهو للآن لم يقدم الى « المطبعة » ومما ساعدنى على جمع الأخبار خدمتى الطويلة فى تخوم السودان كنجلا وواو وراجا وكفا كنجبى وكتم واختلاطي بقبائلها المختلفة فكنت أتألف الأذكياء من أفرادها وأسألهم من قبائلهم فيقصون على مسمعى تاريخ قبائلهم وعقائدهم وخرافاتهم فأدون ذلك متمثلا بقول الشافعي

وناعية للبين قلت لها اقصري ... فما الموت أعلى من معالجة الفقر

سأنفق ريعان الشبيبة كله ... إلى طلب العلياء أو طلب الاجر

لا كسب علماً أو أموت ببلدة ... يقل بها فيض الدموع على قبري

وليس اكتساب العلم يا نفس فاعلمي ... بميراث آباء كرام ولا صهر

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى ... وحصل علماً بالتجلد والصبر

فان نال علماً عاش فى الناس سيداً ... وان مات قال الناس بالغ في العذر

اذا هجع النوام أسبلت عبرتي ... وانشدت بيتاً وهو من أحسن الشعر

أليس من الخسران ان ليالياً ... تمر بلا نفع وتحسب من عمري

ولما نقلت محاسباً لمركز كتم في شمال دار فور في أوائل مارس سنة ١٩٣٠ قام بفكري ان اكتب سلسلة مقالات بعنوان اقليم دار فور الا أنى أحجمت عن ارسالها الى الجرائد لكيلا تقرأ وتمزق فتذهب فائدتها بل جمعتها على غيرها مما سبق نشره وما لم ينشر من مقالاتي ثم أردفت ذلك بمقالات أخرى عن اقليمي وداي ونجريا فى مؤلف سميته « نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع » هذا ورغماً عن غيرتى والدفاع عن عرض قومى وركوبى متن الشطط في معاناة البحث والتمحيص لاثبات أنسابهم وتدوين مآثرهم أساء إليَّ كثير من زعانفهم توهماً منهم بأني سجلت سقطات آبائهم ووصمتهم بعار الجبن لفرارهم من ساحات الوغى قبل أن يروا شيئاً مما كتبت فكان مثلهم كمثل معلم الصبية الذي وجد يضرب غلاماً بلا ذنب ولما قيل له لما ذا تضربه ولم يذنب قال أضربه لكيلا يذنب مع ان المؤرخ يجب أن يكون كقاض يتوخى الاعتدال وينهج نهج الحقائق غير مبال بصياح المحكوم عليه ولو بلغ بفكه الأعلى السماء وبالأسفل مواضع الاقدام فكنت أقابل تلك الاهانات المرة والالفاظ البذيئة بغاية الصبر متمثلا بقول الشاعر

لقد زادنى حباً لنفسي أنني ... بغيض على كل امرىء غير طائل

واني شقي باللئام ولا ترى ... شقياً بهم الا كريم الشمائل

هذا واني أشكر كل من ساعدني بالحصول على تلك المعلومات أو أمدني برأيه فما شكر الله من لم شكر الناس وانى أرجو أن يجزيهم عني خير الجزاء .

عن تاريخهما وبين ما تقلبا فيه من خير وشر وما ذاقاه من حلو ومر بما اصابهما من غارات داخلية وخارجية وما مسهما فيهما من لغوب ووضح سبيل انحدار العائلات المالكة الى تلك البقاع وكيف توارثها الابناء والاحفاد عن الآباء والاجداد . أجل وضح كل ذلك بعبارة سلسة واسلوب شيق حتى تمثل للمطلع عليه كانه يمشى على رقاب السنين الماضية والعصور الخالية مشاهداً ما كان فيها من حرب وسلام وعبوس وابتسام حتى يصل به الى عصرنا هذا ويبين له كيف انحلت تلك البيوت التي ملكت هذين القطرين سنين طويلة وفعلت فيهما من فعل الخير والشر ما ينشأ غالباً من الملوك بحسب اختلاف درجات عقولهم وتمسكهم بدينهم أو سواه . لذلك فاني وقفت على حقائق كانت قبل اطلاعي عليه بعيدة عن اسماع الناس أجمعين ورأيت فيه من العبر ما يكون تذكرة لاولى الالباب . تصدى حضرة المؤلف الى موضوع خطير وبحث طريف لم يسبق لاحد من ابناء جلدته أن طرق بابه أوعب عبابه فضرب لنا بجرأته مثلا على اقتحام الوعر وتذليل صعاب الامور ودعى بنى وطنه باسان العمل الى سلوك هذه الجادة التي حار عنها الاقدمون من عرب السودان ولم يعبأ بها المتأخرون فاستحق بذلك الاكبار والاجلال من كل عربي سوداني محب لوطنه معتز بقومه لما قام به من البحث والتدقيق عن قطرين هما ابعد اقطار المعمورة عن ان يمر بسوحهما مؤرخ يثبت لنا ما نستمد منه ماجريات احوالهما فى الاعصر الماضية أو ما نستقصى منه أخبارهما حتى في هذا الوقت الذى استنارت الدنيا أجمع فيه بنور المدنية وتعلقت بنوه بأذيال العلم ومع ذلك فقد انجلى عن هذين القطرين بهمة هذا المؤلف حالك الظلام المخيم على ما ضيهما والذي لم يبعد عن حاضرهما فسد بذلك فراغا طالما شكاه الراغب فى حياة هذه البلاد حياة الامم الراقية واحتاج محبو الاطلاع على سد ثلمه منذ أمد بعيد فعسى ان يكون ما بذله من همته ووقته دافعاً للافاضل من مواطنيه لتقدير عمله وللاقتداء به فى احياء ما اندرس من تاريخ السودان الشرقى العربى الحافل بجلائل الاعمال وأعلام الرجال فأول الغيث قطرة ثم ينهمر ولست فى حاجة الى إطراء الكتاب ومؤلفه باكثر مما ذكر فالكتاب وحده يقرظ نفسه بنفسه ويكفى مؤلفه انه من ذوى الهمم التي لاتهاب صعاب الامور كما دل على ذلك بتأليفه هذا والسلام

الفقير الى الله

احمد محمد ابو دقن

ولما قام جناب المستر هملتون مفتش شمال كردفان سابقا ووكيل حكومة السودان الآن بمصر بمأموريته في شمال دار فور ووصل الى كتم طلب منى عرض المؤلف عليه وبعد اطلاعه وعودته للابيض كتب لي خطابا مطولا جاء ضمنه ما نصه « وانى كنت مسروراً جداً لحسن الصدف التي عرفتنى بكم ولقد اعجبت عند ما رأيت تأليفكم التاريخى الضخم المفيد الذى أرجو ان ينشر قريباً ويفيد الجميع »
وفى الصفحة التالية يرى القارىء صورة تصديق السكرتير الاداري بنشر الكتاب

ينزف من جسمي حتى أغمى على ولما افقت وجدت سياجاً من اهلي محدقين بي بعد أن خلعوا عنى ملابسى المخضبة بالدم واستبدلوها بغيرها فسمعت في تلك اللحظة جارية تقول لي « قتلكم الخاينه وهرب » فأجابتها احدي عماتى بقولها « لا تقولى كذا المات راح ليجنته والحى سعيد » فقالت الجارية على الفور « هى جنة اليابا وحاة بفيتى المات تعبان والحى دركان » فضحكت من تلك المحاورة ضحكا سربه اهلي لانهم كانوا يظنون اني في حالة خطر لا ترجى بعدها حياة فلازمت الفراش ٩٠ يوماً فظلت أحدي الرصاصتين في فخذي الأيمن من الامام حتى عملت لي عملية جراحية بواسطة الدكتور وترفلد الجراح الانكليزي والملازم أول حسن افندى زكي المصرى « بكباشي » باسبتالية الخرطوم فى أوائل سنة ١٩٠٥م فكانت أطوار حياتى عبارة عن سلسلة مصائب واخطار ما نفضت يدى من غبار كارثة الا ويبدو لي قتام آخرى ولم يصافني دهري يوماً حتى رضيت الخشف بعد الدر وقنعت من الحلو بالمر ولكني أحمد الله على أنى أشعر بثبات لم تزعزعه الخطوب ولم تروعه مظاهر الكروب ليت الأستاذ عبد الله النديم كان حياً ليعلم أنني أحق بقوله

اذا ما الدهر صافانا مرضنا	فان عدنا إلى خطب شفينا
لنا جلد على جلد يقينا	فان زاد البلا زدنا يقينا
ألفنا كل مكروه تهدى	له فرسانه بالراجلينا
فأعيا الخطب ما يلقاه منا	ولكنا صحاح ما عيينا
صلينا يا خطوب فقد عرفنا	بانا الصاب صلنا أم صلينا
وقرى فوق عاتقنا وقولى	نزلت اليوم أعلى طور سينا

معلوماتى

كنت أجد من نفسي ميلا الى العلم وطموحاً إلى الأدب فجنحت الى الطلب بعد أن تجاوزت الحلقة الثانية من سني حياتي فصرت أقسم وقتى بطريقة متناسبة بين الدرس ومطالعة كتب الأدب والتاريخ ذلك خلاف مطالعة الجرائد اليومية والمجلات العلمية ولما أنست من نفسي القدرة على التجول فى ميدان الخيال ومساجلة علماء الاجتماع في تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس أخذت أراسل الصحف المصرية والسودانية بمقالات ضافية الذيول وبينما أنا أجهر برأيي على السنة الجرائد إذ قرأت مؤلفاً لابراهيم فوزي باشا المصري سماه تاريخ السودان وهي نسبة كنسبة الواو الى عمرو وكان الأجدر به ان يسميه بتاريخ حياته لأن فصوله عامرة باطوار حياته ورتبه وزواجه وقهوته وغير ذلك من تافه القول وهزله ولم يكن به من أخبار السودان غير الطعن والتقذف على شعوبه بألفاظ تمجها الاسماع وتنبو عنها قلم اللبيب

بســـم الله الرحمن الرحـــيم

نحمدك يا من تنزهت عن البداية والنهاية وأحييتنا من العدم واوضحت لنا سبل الهداية وازحت عن بصائرنا غياهب الغواية ونصلي على سيدنا محمد الذي فضلته على سائر الانام بآله واصحابه الاعلام (وبعد) فهذه نفثات جادت بها البراعة جمعت فيها حقائق لم يطرقها احد قبلي لعلي ان اكون قد وفقت فأقول والله المستعان

الاغاني

— ١ —

إن من يجيل الطرف ويمعن الروية فى حواس المخلوقات يرى لاول وهلة أن لله حكماً بالغة ناطقة بقدرته تعالى وعجز ما سواه فاذا لم يكن من تلك الاحاسة الشم والذوق واللمس والسمع والنظر لكفى بذلك دليلا على صمدانيته والاعتراف بوحدانيته . فقد يرى القارىء من الآيات البينات التي اودعها جل شأنه في حاسة السمع ما يوجب الخشوع له والسجود لجبروته وهو الفعال لما يريد المتفرد بالعزة والجلال والقدرة والكمال

لحاسة السمع رابطة معنوية تربطها بالنفس ارتباطاً فعلياً يجعل للسمع سلطاناً على النفس تتأثر به وتنجذب اليه كانجذاب الحديد الى المغنطيس وذلك اول عامل حدا بالناس الى ابتكار الغناء وتلحينه تلحيناً يأخذ بمجامع القلوب سواء فى ذلك ما يؤدي بالصوت الانسانى أو بواسطة الآلات التى استنبطها علماء هذا الفن كالموسيقى والبيانو والفونوغراف وخلافها

لم يكن الغناء وقفا على أمة دون أخرى بل هو أمر مشاع بين الامم لا فرق بين الشرقيين والغربيين الا انهم يختلفون اختلافا عرضيا لا فى اصل الجوهر وذلك لاختلاف اللغات وتباين الاذواق وقد جرى اهل التمدين شوطا بعيداً ووضعوا له من الأنظمة الأنيقة والمؤلفات الضخمة ما لفت نظر العالم بأسره لما أخرجوه للناس من مكنون الغناء ومناهل الصفاء . وقد قال بعض الحكماء أن أصوات آلات الطرب ونغماتها وان كانت بسيطة ليس لها حروف معجمة فان النفوس اليها أشد ميلا ولها أسرع

و

SUDAN GOVERNMENT.
CIVIL SECRETARY'S DEPARTMENT.

Civil Secretary's Office
Telegraphic Address "Dakhlia"

Khartoum,
8th July, 1931.

CS/ 57. E. 1.

Mohammed Eff. Abdel Rahim,
Accountant,
Kutum, Darfur Province.

With reference to your letter of 7.7.31 to Controller, Public Security Intelligence Branch I have to inform you that there is no objection to the publication of your book "Nafathat El Yara, fil Adab wal Tarikh, wal Igtimal".

R. J. HILLARD
for Civil Secretary,

M. C. L.

جناب الفاضل محمد افندي عبد الرحيم
محاسب مركز كتم بمديرية دار فور

رداً على طلبكم المؤرخ ٧ — ٧ — ٣١ الجاري باسم جناب مراقب مصلحة الامن العام أخبركم انه لا يوجد مانع للنشر كتابكم « نفثات اليراع في الادب والتاريخ والاجتماع »

الامضاء : هيلارد
عن سكرتير الادارة

ترجمة المؤلف

بقلمـه

ولدت بحلة كرر الهبوب الواقعة شمال مدينة الأبيض في ذي الحجة سنة ١٢٩٥ هجرية وديسمبر سنة ١٨٧٨ ميلادية. أبي عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن شريف بن محمد الدنقلاوي وطنا والبديري أصلا أي « عباسي » أما والدتي فهى فاطمة بنت سليمان بن آدم بن بحر بن هارون بن بشير بن موسى الأبرد احد اولاد الأبرد السبعة المشهورين بالعلم والصلاح ولهم مدافن فى طرف مدينة الأبيض الجنوبي لم تزل تزار الى الآن وهم من قبيلة هوارى « حمير او بربر فيما رواه ابن خلدون » فنشأت في ابان المهدية التي اوقفت حركة التعليم حتى اصبح الجاهلون من اتباعها يدعون العلماء بعلماء السوء وهى عبارة قالها المهدي في الرد على العلماء الذين ظاهروا الحكومة وتعرضوا لتزييف دعوته وتنفير الناس عنه لا يقصد بها مجرد العلماء لأنه كان أعلم اهل زمانه في السودان بلا جدال فمن اجل ذلك لم تسنح لى الظروف بأن آخذ من العلم قسطاً وافراً بل كنت كما كان الوسط الذي نشأت فيه فتأبطت البندقية وتدججت برسل المنية وانتظمت في سلك انصار المهدية . فأول خطوة خطوتها سرت ضمن ٢٤ شخصاً احتللنا بلدة فركه بالسكوت في ٢ ابريل سنة ١٨٩٦ م وظللنا نحافظ عليها حتى وصلت قوة حموده ادريس ولقد شهدت اول حرب دارت بين أنصار المهدية والسواري المصرية يوم الجمعة اول مايو سنة ١٨٩٦ م في عقبة البنات بين بلدة عكاشه وفركة فكدت اموت ظمأ لان الحرب نشبت نصف النهار بعد نفاد الماء منا وكنا بين جبال شاهقة ينبعث منها سموم يكاد يخطف الابصار . ثم شهدت واقعة فركه يوم ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ فنجوت من هذه بعد مخاطر يشيب لهولها الطفل فكنت أسير بين المنهزمين في شعاب الجبال حافياً اقطع من عمامتي وألف بها رجلي من وهج الشمس ووخز الحجارة . ثم كنت ضمن جيش الحفير الا أني لم اشهد حربها لانتدابي ضمن عشرة اشخاص للمحافظة على اعيان المحس وتوصيلهم لام درمان وهم الملك الزبير وبدر شريف وصالح حاج والشيخ مكى وخلافهم . ولما وصلنا بهم الى الدبة ادركتنا الوابورات الحربية فودعنا المعتقلين وتخلينا عنهم رغبة لا رهبة وجئنا لأم درمان فقطعت ايضاً المسافة بين الدبة و كورتي ومن الاخيرة لام درمان بصحراء بيوضه على قدمى . وما لبثت بضعة اشهر حتى دعاني الخليفة للانخراط فى جند الملازمية بواسطة الشيخ مكى أبي حراز فاختفيت تخلصاً عن ذلك فقبض على عمى احمد البدوي عبد الرحمن فاضطررت الى تقديم نفسى ولما وصلت حملة اللورد كتشنر شهدت واقعة كرري يوم الجمعة ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ م وقد جرحت في هذه برصاصتين جرحاً بليغاً فحملت تحت كرات المدافع والهم

قبولا لمشاكلة ما بينهما . وقال أفلاطون من حزن فليسمع الاصوات الجميلة فان النفس اذا حزنت خمد منها نورها واذا سمعت ما يطربها اشتعل منها ما خمد . وعرف الامام عبد الرحمن بن خلدون الغناء بقوله « هذه الصناعة هي تلحين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة . يوقع كل صوت منها توقيعاً عند قطعه فيكون نغمة ثم تؤلف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات » هذا ولقد شحذ علماء الموسيقى قرائحهم ووضعوا لذلك آلات مختلفة الاشكال دقيقة الاحكام فلكل منها صوت لايشبه الآخر فاذا ألف بين تلك الآلات المتباينة والاصوات المختلفة وأديت بطريقة متناسبة خالية من شائبة التنافر جاءت تلك النغمات موافقة للذوق منعشة للروح وهذا مما لا يفتقر الى بيان . يقال ان أول من ابتدع العود نوح عليه السلام وقد انعدم بعد حادثة الطوفان . ثم أعيد مرة أخرى في عهد داود عليه السلام وهذب وقال آخرون إنه من صنع الفارابى الذي هو من الاساتذة المبرزين في هذا الفن إلا ان القول الأخير لم يسلم به لان ما يؤخذ من أقوال المؤرخين ان العود قديم العهد ولكنه لم يبلغ ما وصل اليه الآن من الرقى والتطور بل كان فى العصور الاولى في طور البساطة ولم يزل يتدرج رويداً رويداً حتى شغف به قدماء اليونان ثم العرب ثم العجم وشاع بين أرجاء العالم شيوعاً جديراً بالاعتبار ولما كان الاسلام أرحب صدراً وأشد التئاماً بكل ما لا يخرج عن المعقول ويتعدى ظل النزاهة وجد الغناء والتلحين في عهده خير معين الى النهوض والرقى الى أسمى مراتب الكمال

لم ير علماء السنة سبيلا الى تحريم الغناء ولم يقاوموا مبادئه وألحانه قال صاحب العقد الفريد« وأردف النبى صلى الله عليه وسلم الشريد فاستنشده من شعر أمية فأنشده مائة قافية وهو يقول هيه استحساناً لها » ولقد أجاز العلماء التلحين في القرآن والاذان فاذا كان هناك مجال للحرمة أو الكراهة فالقرآن والاذان أحق بالتنزيه واذا لم يكن فالشعر أحوج اليه لاقامة الوزن ومد الصوت والدندنة

ونحن على ذكر الأذان وجواز تلحينه نثبت هنا فصلا طريفاً ممتعاً عثرنا عليه في مجلة « الموسيقى » لسان حال المعهد الملكي للموسيقى العربية عن الاذان وتاريخه وتطوراته وموسيقاه للكاتب الاديب الاستاذ محمد صلاح الدين مدرس الموسيقى بمدرسة الاورمان الاميرية قال :—

ما أردنا بهذا البحث ناحية الاذان الدينية ، وإن دفعنا اليها دفعاً ، عرضنا لتاريخه ، وإنما قصدنا إلى الناحية الموسيقية فيه ، ولولا ذلك ما لجأت الى « الموسيقى » أتذرع بها لنشر هذا البحث وتحليله للموسيقى أثر مذكور في الأذان . . . ولست أتعجل بيان ذلك الأثر قبل أن أدلى بعجالة عن تاريخه ، وتطوراته ، وأنواعه ، وموسيقاه

أذان الصلاة ، هو وليد الدين الاسلامى ، فعند ما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة

المكرمة إلى المدينة المنورة « يثرب » حيث استقرت أحوال المسلمين . وقويت شوكة الاسلام ، ووضع أساس الدولة الاسلامية . جعل المسلمون يقيمون فرائضهم ، لا يخافون أذى ولا يخشون فتنة . وكانوا يتحينون أوقات الصلاة فيجتمعون لتأديتها . ولما كان أمرهم شورى بينهم ، اجتمعوا يوماً يتباحثون فى طريقة لدعوة المصلين لأداء هذه الفريضة فى أوقاتها ، فاقترح بعضهم أن يوروا ناراً . إذ كانت هذه العادة شائعة عند كرماء العرب . . . فكانوا يوقدون النار ، ليسترشد بها الضال في الصحراء ، وكان الكريم الذي يوقد مثل تلك النار يعدها من مفاخره ومساره إذا ما استرشد بها الساري ، ومن مأثور مفاخرهم فى هذا قول

أوقد فأن الليل ليـل قر والريح يا غلام ريح صر
لعـل أن يبصرها المعـتر إن جلبت ضيفاً فأنت حر

قام في وجه هذا الرأي اعتراض يوضح وجه الشبه بين هذه النار وبين نار الفرس التي كان لا يخمد أوارهـا ، والتي كان يذهب الفرس للتبرك بها وعبادتها . ثم أدلى بعضهم بفكرة أخرى ، وهي أن ينادى للصلاة ببوق ينفخ فيه فيسمعه المسلمون ، فقال آخر « كقرن اليهود » وقال ثالث « أولا تتخذون ناقوساً يسمعه القاصى والدانى ؟ » فقال آخر « كناقوس النصارى ؟ » وتعددت الآراء . وأرجىء البت في هذه المسألة ، وافترق القوم

وفى اليوم الثانى ، اجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وجاء عبد الله بن زيد وقص على رسول الله رؤياه فى ليلته ، وهى أنه سمع أذاناً يدعو للصلاة فصدقه وأمره بالاذان ففعل ، فلما سمع عمر الصوت ، وكان منتحياً ناحية من المسجد ، أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « أولا تبعثون رجلا آخـر يصلح له ؟ » فلما فرغ عبد الله بن زيد من أذانه قال له رسول الله « قم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها ، فأنه أندى صوتاً منك »

ولقد جاء فى صحيـح البخاري وفى تفسيره عن هذه الرواية صفحة ٧٨ جزء أول ما يؤيد ذلك ، وهذا نصـه :

« حدثنا محمود بن غيلان قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا بن جـريـج قال : أخبرني نافع أن ابن عمر كان يقول : كان المسلمون حين قدموا المدينة ، يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادي لها . فتكلموا يوماً فى ذلك ، فقال بعضهم بل بوقاً مثل قرن اليهود . فقال عمر : أولا تبعثون رجلا ينادى للصلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال ، قم فناد بالصلاة » فنادي بهـا . وكان بعض المشركين يسخر من ذلك

فنزلت الآية الكريمة « واذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزؤاً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » ثم استقر النداء ونزلت فيه الآية الكريمة « يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة »

وكان يسمع الاذان فى المدينة خمس مرات فى اليوم يدعو للصلاة فى أوقاتها ، وكان بلال يرتل الاذان ترتيلا حسناً ، وبصوت جميل

وما زال الاذان الشرعي يؤذن حتى يومنا هذا ، ولقد اعتاد المؤذنون فى مصر من أمد بعيد تأدية أذانين فى النصف الاخير من الليل . أحدهما بعد منتصف الليل بقليل ، ويسمى (الاول) « ويعرف باسم « الاوله » والآخر قبيل الفجر ويسمى (الثاني) « ويعرف باسم الابد »

وبذلك يوجد فى مصر ثلاثة أنواع من الاذان ، —

(١) الاذان الشرعي (٢) الاذان الاول « الاوله » (٣) الاذان الثاني « الابد »

وللاذان الشرعي صيغة محفوظة ، وهي التي كان يؤذن بها بلال وهي :

الله أكبر ، الله أكبر . الله أكبر — أشهد ألا إله إلا الله ، أشهد ألا إله إلا الله — أشهد أن محمداً رسول الله . أشهد أن محمداً رسول الله — حي على الصلاة . حي على الصلاة — حي على الفلاح حي على الفلاح — الله أكبر ، الله أكبر — لا إله إلا الله »

وتزداد على هذه الصيغة فى أذان الصباح فقط هذه الجملة : « الصلاة خير من النوم »

ولاذان « الاوله » صيغة أخرى تزداد على الاذان الشرعي بزيادة جملة « الصلاة خير من النوم » ثم يردفها بقول ما يأتى :—

« لا إله إلا الله (ثلاثاً) وحده لا شريك له ، له الحمد وله الشكر ، يحيي ويميت ..... الخ »

ويستمر المؤذن في الدعاء وذكر النبي والصلاة عليه . . . وليست له صفة ثابتة بل تختلف باختلاف مؤلفها ، كما أنه ليس له لحن خاص ، بل يترك المؤذن يترنم به كيفما يروق له ويوحيه إليه فنه

ولاذان « الابد » صيغة أخرى تختلف عن « الاوله » في دعواتها وفى ألحانها ، ويبدأ فى هذا الاذان قبل بزوغ الفجر بساعة وليست له صيغة محفوظة أيضاً

وليس للصلاة — غير المفروضة — أذان ، فلقد جاء في كتاب الوجيز في فقه الامام الشافعي للامام الغزالي « ولا أذان في غير مفروضة ، كصلاة الخسوف والاستسقاء ، وصلاة الجنازة والعيدين ، بل ينادى لها : الصلاة جامعة »

وللاذان فضل كبير في التخلص من الشيطان ومن شره ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نودى للصلاة دبر الشيطان .... حتى لا يسمع التأذين ، فأذا قضى النداء أقبل ... إلى نهاية الحديث »

وله فضل عظيم فى حقن الدماء ، فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يكن يغزوهم حتى يصبح وينظر ، فان سمع أذانا كف عنهم ، وإن لم يسمع اغار عليهم . ولقد جاء في صحيح البخارى عن أنس بن مالك أنه قال « خرجنا الى خيبر فانتهينا إليهم ليلا ، فلما أصبح ولم نسمع

أذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال : فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس ، قال : فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »

ولما كانت الموسيقي والغناء سلسبيلا تتشربه النفوس ، وتستسيغه الحواس ، فيأخذ ما فيها من طرب بمجامع القلوب والاسماع وتتأثر بها أيما تأثر . استعملت الموسيقي قديما فى المعابد والكنائس لشدة تأثيرها ووقعها فى النفوس ، فكانت تسمع التراتيل الدينية ملحنة وموقعة أيضا على آلات الارغن

ولما كان للغناء أثره وللصوت الجميل وقعه فى القلوب ، رؤي من القديم أن يكون المؤذن حسن الصوت جميله ليكون أدعى إلى أن يستمع إليه الناس ولا ينفرون من سماعه ، ولقد جاء في كتاب الوجيز للامام الغزالي فى صيغة المؤذن ما يأتى : « ويشترط في المؤذن ان يكون مسلماً عاقلا ذكراً ، فلا يصح أذان كافر أو امرأة أو مجنون أو سكران مخبط ، ويصح أذان الصبى المميز ، وليكن المؤذن صيتا حسن الصوت ليكون ارق لسامعيه »

وجمال الصوت فى الاذان يرجح صاحبه ، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم رجح أذان بلال عن أذان عبد الله بن زيد ، والصوت النكير يزرى بصاحبه ، فلقد سمع عمر بن عبد العزيز رجلا يؤذن بصوت أجش فقال له « أذن أذانا سمحا وإلا فاعتزلنا »

والليل في سكونه وهدوئه عظمته ، والمؤذن في مأذنته جلاله وروعته ، يبعثه الصوت باعذب الالحان وأشجى النغمات بأطيب الدعوات والصلوات ، فيحملها النسيم إلى الاسماع ، ويرددها الفضاء ، فتبعث النشاط فى الابدان فتقوى على الايمان ، وتوقن بأن الصلاة خير من النوم ، فتهب من رقادها وتهرع إلى المساجد تؤدي الفرائض

وليس أدل على ما للصوت الجميل في الاذان من عظيم الأثر فى النفوس والحث على التقوى والصلاح والعبادة من أن تسمع يوما لاذان « الاوله » بعد منتصف الليل من أعلى مآذن المساجد الكبيرة ، فأن ذلك يبعث في نفسك روعة الحق وجلال الايمان

وللاذان الشرعي لحن مشهور لم يعرف حتى الآن مؤلفه ولا أول من غناه بهذا اللحن ، فهذا البون الشاسع في التاريخ من ايام الهجرة حتى يومنا هذا ، لا يساعد على وجود أصل للحن القديم ، وهل هو ذلك اللحن الحديث المعروف أو غيره ولكن يمكننا التكهن بأن هذه الصيغة اللحنية وإن لم تكن هي بعينها ، فلن تكون صيغة اللحن القديم الذي كان يؤذن به بلال بعيدة عنها كل البعد ، والمظنون انها قد تدرجت منه وتشعبت من لحنه ، محافظة على روحه وطابعه ، وأدخلت عليها بعض

التحسينات الموسيقية نظراً لتقدم فن الموسيقي ، وسأبين فى مقالي هذا ، عند تحليل لحن وموسيقي الاذان ، كيف ان هذه الصيغة اللحنية الحالية ، انحدرت من اللحن القديم ، ولا شك انها محتفظة بالروح القديم

ومما يؤسف له أن كثيراً من المستشرقين والسائحين الذين يزورون مصر والاقطار الشرقية الاسلامية ، يأخذ بلبهم هذا الاذان الجيل فيدونونه بالنوتة الموسيقية فلا تظهر فيه الروح التي يلقى بها وقد يخرجونه عن أصله . ولقد عثرت في كتاب للمستشرق الانجليزي أدوارد ويليام لين . الذي زار مصر في عام ١٨٣٥ على نوتة موسيقية للاذان ، تختلف كثيراً عن الذي نسمعه في هذه الايام ولو أنها لم تفقده طابعه . فتسجيلا للحن الاذان الموجود الآن فى مصر ، وحرصاً عليه من التغييرات التي يدخلها هؤلاء المستشرقون عليه ، قد تفضل على أحد الاساتذة المشهورين الثقاة ، فأسمعني الاذان الشرعي ، فكتبت له النوتة الموسيقية الموضحة فى آخر هذا المقال (١)

ومما يؤيد تلك النظرية القائلة بأنه من المعقول أن لحن الاذان الحالي قد تدرج من لحن قديم بسيط أن هذا اللحن الذى يسمع في مصر يسير وفقاً لمقام الراست الذي يعتبر السلم الطبيعى والاساسى للموسيقى العربية ، واتبع فى انتقالات لحنه الدرجات السلمية البسيطة ، وإن كانت هناك ثمة انتقالات أخرى فبثالثة أو بخامسة السهلة الانتقال . وأما عن التغييرات التى توجد في لحن جملتي « حي على الصلاة » و « حي على الفلاح » الثانيتين ، فان هى الا تحليات موسيقية لا تمت بصلة الى اللحن القديم ، ولكنها أدخلت عليه حديثاً تمشياً مع التقدم الموسيقى والتجديد الغنائي

ويلاحظ ايضاً أن معظم مقاطع هذا اللحن ترتكز على خامسه أي الثابت للنغم الاصلي ، وهذا الثابت هو مقام النواه وهو درجة هامة للحن الراست ، ويقف المقطع الذي يسبق المقطع الاخير الا وهو « الله أكبر الله أكبر » مركزاً على مقام السيكاه التى هى من المقامات الاساسية الهامة فى الموسيقي العربية وفى سلم الراست ايضاً

ومن هـذا نرى أن في سير هذا اللحن ، وفى طريقة تلحينه وركوز مقاطعه التى تظهر فيها البساطة بأجلى معانيها ، لأكبر دليل على أنه قديم التأليف ، لا سيما وأن استقامة لحنه ، وخلوه من دخول تغييرات لحنية أخرى شأن الالحان الحديثة لدليل آخر على أنه من عمل قوم عاشوا في العصور الاولى للموسيقي العربية ، فلحنوه على أبسط قواعدها وسلمها الطبيعي ، فكان تلحينا بسيطا فطريا

ولا يفوتنى أن أذكر أن هنا لحنا آخر لهذا الاذان ، غير لحنه « الراست » المدون فى النوتة فيما يلي ، ولكنه يتمشى روحه مع روح النوتة ، غير أنه من نغم الحجاز ، فيكاد يكون تصويراً على مقام الدوكاه مع تتبع درجات نغم الحجاز) اهـ

---

(١) لم نكن في حاجة الى اثبات النوتة الموسيقية مع المقال رغم وجودة معه في مجلة الموسيقي فمن اراد ها فليرجع إليها

واحتج في اباحة الغناء واستحسانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ، أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغني قالت لا قال أما علمت أن الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول :—

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا ء لم نحلل بواديكم

وكذا احتجوا بحديث عبد الله بن أويس بن عم مالك وكان من أفضل رجال الزهري قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل وهي تغني

هل عليّ ويحكم ان لهوت من حرجْ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا حرج إن شاء الله » وجاء في صحيح البخاري عن عائشة ، دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث (١) فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما الخ . وكان ذلك في يوم عيد فيؤخذ من تحويل وجهه أنه أعرض عن الغناء إلا انه لم ينكره فمن أجل ذلك أجازه الفقهاء بشرط ان يكون على الوجه الذي أقره صلى الله عليه وسلم وعند الاصوليين تؤخذ تقريراته حجة في مثل هذه الاحوال فلا شك ان هذه من أقوى البراهين وأنصع الادلة على أباحة الغناء من الوجهة الدينية ما لم يكن هناك خلط يخرجه عن جادة الاعتدال واما في غيرها فقد رفعه فريق من العلماء الى أسمى مكانة من الفنون الجميلة وجعلوه من ألزم لوازم هذه الحياة وأهم ضروريتها لما له من تحريك العواطف وأحياء النفوس الخامدة ونزع الاحزان وتخفيف الآلام حتى إن فلاسفة الاطباء أخذوا يعالجون به المرضى وهذه اكثر شيوعا عند السودانيين فقد شاهدت الناس في دنقلا اذا أصيب أحدهم بداء مؤلم إجتمع الشبان في بيت المريض وضربت آلات الطرب وغني الفنون وبارى الراقصون على تلك النغمات حتى يلهو المريض عن آلامه ويطيب نفساً بما يراد وبسمعه من تلك الحفلة التي تعقد يوميا فيتم شفاؤه وان سكان جزيرة الخرطوم وكسلا وكردفان ووداي وخلافها اذا لدغ الثعبان شخصاً منهم يقيمون بدار اللدوغ حفلة عظيمة تضرب فيها آلات الطرب ويغني الفنون بالحان شجية مطربة لاعتقادهم ان اللدوغ متى سمع تلك الاغاني والالحان تنتعش نفسه وتتحرك مشاعره فلا يجد السم سبيلا للانتشار في جسمه ولقد أجمع المؤرخون على أن أول من غنى في الاسلام طويس بيت لاحد الشعراء يقول فيه

«١» بعاث حصن كانت به واقعة بين الاوس والخزرج قبل الهجرة بثلاث سنين فكان كل منهما يتغنى بمفاخر نفسه ويعدد ما له من الزايا كما هو مشاهد معلوم من عادات عرب السودان حتى الآن

قد براني الشوق حتى كدت من وجدي أذوب

وذلك بالالحان الفارسية التي أخذها من الصناع الذين جاء بهم عبد الله بن الزبير لبناء الكعبة حيث كانوا يغنون بالالحان الفارسية فوقع طويس الغناء العربي عليها ولما نزل بأرض الشام نقل من ألحان الروم ومن ثم نزع الى فارس فأخذ غناها وصاغ من ذلك ألحانا عربية في غاية الاحكام وضرب بالعود وحذا حذوه من جاء بعده من رواد هذا الفن والقائمين بترقيته

(٢)

كان الغناء في صدر الاسلام في طور البساطة ولكنه تدرج مع نواميس النشوء والارتقاء ولم يزل يتدرج من حسن الى أحسن حتى بلغ أشده ونشط من عقاله في ابان الدولة الاموية ولما دالت تلك الدولة وبزغت شمس الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ واشتغل خلفاؤها بترجمة العلوم العقلية والفلسفة الطبية وخلافها الى اللغة العربية وكانت بغداد غاصة بالادباء والظرفاء وأهل الكياسة وقد نبغ من رجال هذا الفن ابن سروج وأتباعه ثم ابراهيم الموصلي واسحق الموصلي وحماد الموصلي وابراهيم المهدي وغيرهم من الحذاق فهناك بلغ الغناء أسمى معارج الرقي لما حظي به المغنون من عناية الخلفاء واكرامهم لهم فلئن كان الخلفاء اذ ذاك مشغولين باعباء الملك والنظر في سياسة الدولة وشؤون العباد فان أوقات راحتهم وصفائهم من عناء تلك الاعمال يقضونها بين رجال الادب والظرف وذوي الكياسة من حذاق المغنين فيغدقون لهم العطايا وينثرون اليهم الصلات حتى صيروهم أحسن الناس حالا وأنعمهم بالا وكانوا أدنى الناس اليهم وألصقهم بهم فقل أن يخلو مجلس من مجالسهم من المناظرات العلمية والطرف الادبية والنكات الفكاهية والاغاني الشجية ولا غبار عليهم في شيء من ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم « إن لله عليك حقاً وان لنفسك عليك حقاً و ان لاهلك عليك حقاً » ... لم يكن الدخول لمجالس الخلفاء فوضى بل كان مقسما بين الندماء بساعات معلومة وأوقات محدودة لكل فريق منهم نوبة اذا جاءت أبيح له الدخول ... روى أن الرشيد كان بمجلس اخذ فيه ابراهيم المهدي يغني ويتلاعب بصوته حتى أذاب القلوب وكانت الابيات لمروان بن أبي حفصة وهي قوله

طرقتك زائرة فحي خيالها زهراء تخلط بالجمال دلالها
هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تدفعون مقالة من ربكم جبريل بلغها النبي فقالها

قال فلما بلغ « جبريل بلغها النبي صلى الله عليه وسلم فقالها » هز حلقه ورجعه ترجيعاً حتى أذاب القلوب وتخيل للناس كأن الارض اخذت تميد بمن فيها وقد طفق أمير المؤمنين يقوم ويقعد ويتمايل كالغصن اذا هبت عليه الرياح لما خالجه من الطرب . قال الاصمعي كان معاوية رضي الله عنه يعيب على عبد الله

بن جعفر سماعه الغناء فأقبل معاوية عاماً فنزل بالمدينة ومر ذات ليلة بدار عبد الله بن جعفر فسمع عنده غناء على أوتار فوقف هنية يسمع ثم مضى وهو يقول « استغفر الله استغفر الله » ولما عاد في آخر الليل مر بداره أيضاً فاذا عبد الله واقف يصلي فوقف يسمع قراءته فقال « الحمد لله الحمد لله » ثم انصرف وهو يقول خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعد له طعاماً ودعاه إلى منزله وأحضر ابن صياد المغني قائلا له اذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام حرك أوتارك وغن فلما وضع معاوية يده في الطعام حرك ابن صياد أوتاره وغنى بشعر عدى بن زيد وكان معاوية يعجب به

يا لبنيتي أوقدي النارا	ان من تهوين قد حارا
رب نار بت أرمقها	تقضم الهندى والغارا
ولها ظبي يؤججها	عاقد فى الخصر زنارا

قال فأعجب معاوية غناؤه حتى امسك يده عن الطعام وجعل يضرب برجله الارض طربا فقال له عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين انما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الالحان فقال معاوية لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الالحان . روى الهيثم بن عدى قال بينما عبد الله بن جعفر يمر في أزقة المدينة اذ سمع غناء فاصغى اليه فاذا بصوت شجي رقيق لقينة تغني

قل للكرام ببابنا يلجوا	ما في التصابي بالفتى حرج

فنزل عبد الله بن جعفر من على دابته ودخل على القوم بلا إذن فلما رأوه قاموا إجلالا وتعظيما له ورفعوا مجلسه ثم أقبل عليه صاحب المنزل قائلا له يا ابن عم رسول الله دخلت منزلنا بلا إذن وما كنت لهذا بخليق فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول قل للكرام ببابنا يلجوا فولجنا فان كنا كراما فقد اذن لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فضحك القوم لظرفه ودقة ملاحظته ثم قال له صاحب المنزل صدقت جعلت فداك ما انت إلا من أكرم الاكرمين ثم بعث عبد الله الى جارية من جواريه وأمرها أن تغني فغنت حتى طرب القوم وطرب عبد الله ثم دعا بثياب وطيب فكساهم وضمخهم بالطيب حتى تضوع أريجهم وطابت نفوسهم ووهب الجارية لرب الدار قائلا له هذه احق بالغناء من جاريتك ولا غرابة لفرع طابت ارومته وكرمت جرثومته فهكذا يكون الانسان الكامل رضي الله عنه . وحكى عن اسحق بن ابراهيم الموصلي عن أبيه قال دخلت على أمير المؤمنين هارون الرشيد فلما رأيته أخذ فى حديث الجواري وغلبتهن على الرجال غنيته بابياته التى يقول فيها

ملك الثلاث الانسات عناني	وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البرية كلها واطيعهن وهن في عصيان
ما ذاك الا أن سلطان الهوى ملك قوين به على سلطاني

قال فارتاح وطرب وأمر لي ب ١٠٠٠٠ درهم

وحكى عن عبد الله بن جعفر أنه قال لابن أبى عتيق لو غنتك فلانة جاريتي صوتا ما ادركتك ذكاتك . قال ابن ابي عتيق قل لها تفعل وليس عليك ان مت ضمان فأخذ عبد الله بن جعفر بيده وأدخله على داره ثم دعا الجارية فخرجت وقال لها هات فغنت

بهواك صيرني العزول نكالا وجد السبيل الى المقال فقالا
ونهيت نومي عن جفونى فانتهى وأمرت ليلي أن يطول فطالا

قال فرمى ابن أبى عتيق بنفسه على الارض وقال فاذا وجبت فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر «١»

وهنا نذكر قصة لطيفة كان للامام أبى حنيفة جار يغني في كل ليلة بقول العرجي

أضاعونى وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ثم انقطع صوته عن الامام ذات يوم فسأل عنه فقيل له أخذه العسس فذهب ابو حنيفة وأطلقه من سجنه . ثم قال له هل اضعناك يا فتى ؟ قال لا والله . قال ابوحنيفة عد الى ما كنت فيه من غناء فليس فيه بأس

(٣)

كان العرب يغبط بعضهم بعضاً بشأن الغناء قال صاحب الاغانى قدم عمر بن ابي ربيعة الى الكوفة فنزل على عبد الله بن هلال الذي كان يقال له صاحب ابليس وكانت له قينتان حاذقتان بالغناء فسمع عمر منها فقال

يا أهل بابل ما نفست عليكم من عيشكم الا ثلاث خلال
ماء الفرات وطيب ليل بارد وغناء مسمعتين لابن هلال

. . . ومن المدهشات ما تفنن فيه علماء الالحان من التأثير على النفوس والتلاعب بالنهي حتى انهم لو ارادوا اضحكوا وان شاؤا ابكوا الى غير ذلك مما لا يحتاج الى بيان وها هى الموسيقي تقاد بها الجنود الى ميادين الوغى وهم يكادون يرقصون من نشوة الطرب غير حاسبين للحياة حساباً ومن غرائب ما روى عن تأثير الآلات ما يقال من ان قدماء اليونان اخترعوا بوقات خصيصة لارهاب العدو والنافخون لها يسدون صماخ آذانهم بشيء لكي لا يسمعوا صوتها ولم يكن هذا قاصراً على

«١» المعتر هو الذي يتعرض للمسألة ولا يسأل

الشعور الانسانى فان الاختبار دل دلالة واضحة على ان الحيوانات تطرب لسماع الغناء والالحان خصوصاً الابل والخيل وذلك أمر مشاهد عند عرب السودان فاذا سارت قافلة وشعرت بشيء من الاجهاد غنى فيها مغن بطريقة يطلقون عليها اسم « دوباى » فتحرك مشاعر الناس والابل فيطوون البيداء طياً بهمة لا يعتورها ملل ولا يخالطها كسل وذلك مما كانوا يستعينون به على قطع الصحاري القاحلة كدرب الاربعين وعتمور أبي حمد وخلافها قبل ان تخفف القطارات والآلات البخارية ويلات تلك الاسفار الشاقة . ومما يحكى عن تأثير الغناء ان لفيفاً من المغنين كانوا في دعوة عظيم من العظماء فاجلس كلا منهم حسب مرتبته وحذقه وبينما هم كذلك واذ برجل رث الهيئة دخل عليهم فرفعه صاحب المنزل فوق مراتبهم فبدت على اسارير جباههم علائم الاستياء ولما تبين لصاحب المنزل غيظهم أراد أن يطلعهم على فضل الرجل فطلب منه ان يسمعهم شيئاً من صناعته فأخرج الرجل خشبات كانت معه وركبها ومد عليها اوتارها وحركها تحريكا بسيطاً فأضحك كل الموجودين بالمجلس من الفرح ثم قلبها وحركها ثانياً فأبكاهم جميعاً من رقة النغمة وأحزن القلوب ثم قلبها وحركها ثالثاً فناموا جميعاً ولما أفاقوا من سنتهم وجدوه قد خرج من بينهم ولم يقفوا له على أثر

يقال ان بشمال أمريكا طائراً جميل الهيئة ذا منقار احمر وساقين طويلين اذا وجد شخصاً نائماً صوت تصويتاً أشبه شيء بآلات الطرب وروح بجناحيه على النائم ثم يضع منقاره في جسمه فيظل يمتص من دمه بغاية الرفق والسهولة كالاسفنج في اخذ الماء والنائم نشوان بخمرة الطرب حتى يفقده الحياة . وخير الاغانى اليوم في نظرنا الاغاني الشرقية كالغناء المصري ثم الشامي ثم العربى السودانى والاول وان كانت له المرتبة الاولى بين الاغانى العصرية لما له من توقيع الالحان وجودة المخارج والدندنة ولكنه يكون في الغالب ناقص المعنى مبتور الكلم ومثال ذلك أن المغنى المصرى يختار من القصيدة شطراً أو بعضه كدور (أسير العشق) أو دور (توبى يا حلوة توبى) فيظل يردد تلك الشطرة خالطاً معها قوله (ياعيني يا ليل) تاركا باقي القصيدة . وقد لاقى المغنون المصريون من سراتهم عناية جديرة بالاعتبار فنهم من يأخذ ٥٠ جنيهاً في الليلة التي يقضيها فى دعوة عظيم من عظماء المصريين ومن أهم آلات الطرب الموجودة فى الاقطار المتمدنة كمصر وغيرها البيانو (١)

---

(١) البيانو آلة مؤسسة على نظام أن كل وتر يصدر نغمة ثابتة وأن أوتاره مشدودة على لوحة داخل صندوق البيانو ويضرب كل وتر بمطرقة خاصة به — وتسمى نغمات البيانو في الموسيقى الغربية بالاسماء الآتيه على الترتيب : دو — ري — مى فا — صول — لا سى — دو ومرادفاتها بتعبير آخر هى :

قرار الجاركاه — باكاه — عشيران — عجم — راست — دوكا سيكا — جاركاه

والقانون (١) والكمنجة (٢) والعود (٣) والرق والناى (٤)

والشبابات (٥) — وخلافها ومن ذلك ما يستعمل عند الفلاحين

هذا ولنرجع بالقاري، الى الاغانى السودانية العربية فنقول لم تزل الاغانى السودانية في مهد الرقي ولم تبلغ شأوا عظيما كغيرها والسبب فى تأخرها نبو طبع الفضلاء عنها وعدها في نظرهم كسقط المتاع ان لم يكن لجهلهم قدرها فاشغف العامة والعاطلين بها دون أهل الكياسة من الادباء والظرفاء فتجافاها هؤلاء ولسان حالهم يقول

اذا وقع الذباب على طعام ، رفعت يدى ونفسي تشتهيه

مع ان المغنين في حضارة العرب كانوا من ذوى الفضل والنبل حتى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد قال لاسحق الموصلى لو لا اشتهارك بالغناء لوليتك القضاء لعلمه وفضله وطهارة ذيله

---

(١) القانون تتركب هذه الآلة الموسيقية من لوحة صوتية قد شد عليها عدة مجموعات من الاوتار تتألف كل منها من ثلاثة اوتار متساوية في الغلظ وتصدر نغمة خاصة — وعند استعمال هذه الآلة تستخدم اليدان معاً لاصدار قرار النغمة وجوابها في آن واحد

(٢) الكمنجة تتركب من صندوق صوتي من الخشب الرقيق قد شدت عليه اربعة اوتار اولها غليظ ملفوف وعليه سلك دقيق من النحاس والثلاثة الاخرى تأخذ في الدقة على التدريج ويحصل على النغمات المختلفة بوساطة الضغط على الاوتار بأصبع اليد اليسرى في النقط المناسبة فوق رقبة الكمنجة

(٣) والعود وهو يتركب من صندوق صوتي أيضا يشد عليه عادة خمسة اوتار مزدوجة وبأسفل الاوتار جزء مثقب يسمى شباك العود — ويحصل على النغمات المختلفة بضغط الاوتار بالاصبع فى النقط المناسبة في الجزء الواقع بين مشط العنق والصندوق

(٤) الناى هو عبارة عن انبوبة مفتوحة الطرفين بها ثقب جانبية موضوعة بحساب مخصوص ويحصل على الصوت فيه بوضع الشفتين على حافته العليا بحيث يكون مائلا عليها ثم ينفخ فيه فيتجه التيار الهوائى الخارج من الفم نحو الجانب الاخر من الحافة العليا وهذا يعمل على تقطيع التيار الهوائى في الانبوبة وبذلك يحدث الصوت

(٥) الشبابات : يحدث اهتزاز الهواء في هذه الآلات بواسطة لسان صغير من صفيحة مرنة من المعدن او الخشب مثبتة فى نهايته وهو يتحرك فى فتحة بتيار الهواء الذى يدفع داخل الآلة كما فى الزمار والبوق الذى يستعمله الاطفال في لعبهم وكذا الانابيب الارغنية ذات اللسان — وتنقسم الشبابات الى قسمين خالصة كالارغن ذى اللسان إذ يستطيع اللسان ان يتحرك داخل الفتحة في جهتين وضاربة وهى التي يكون فيها اللسان أعرض من الفتحة فلا يتسنى له التحرك إلا الى الخارج —

ومما يدعو الى الغبطة والسرور انصراف بعض الادباء أخيراً الى الاشتغال بترقيته وليتهم قلدوا فيه الغناء المصرى أو السورى لانه ليس في الامكان أبدع مما كان فالغناء السودانى هو أشبه شيء بالزجل المصرى الا انه أشد تأثيراً منه فطالما أضرم عرب السودان الحروب وتألبوا على حياض المنون لاقل بيت أو أكثر يفوه به مغن كيف لا ولما زحف محمود ود كوينه بجيش ملك سنار بقصد الغارة على الملك ادريس ملك الجعليين وكان جند سنار يناهز الثمانية آلاف وليس لادريس ما يعادل ربع هذا العدد من رجاله فداخله الخوف على قبيلته وعرضه وأراد هجر بلاده والاحتماء بالشايقية فجمع الحوايا اكداساً وجاء بالالوف من جمال الحسانية فدخل عليه النعيسان وهو مغن مشهور وقال له

ادريس ابوي ماصع الضمر بالرق   ادريس مدفع الترك الذخيرته تبق
شمر يا ولد لنحاسك دق   قدرالله يبطيح حتى ان بقيت في حق (١)

ففى الحال امر الملك ادريس بحرق الحوايا ومعدات السفر وضرب نحاسه وانتظر جند الفنج الى ان وصل المتمة وهناك حدثت بينهما حرب عظيمة قتل فيها محمود ود كوينه وهزم جيشه وانتصر الملك ادريس بعد يأس

(٤)

ونحن اذ نأخذ الآن فى استعراض صور من أغانى السودان وتحليلها تحليلا واضحاً دقيقاً نتمكن به من اظهار ما فيها من متاع أدبى رائع وما تحمل من اتجاه أدبي جميل وما يتألق فيها من طابع الصدق وقوة الاداء ودقة التعبير حتى يصبح سهلا علينا ان نروضها على أذواق القراء وان نذلل لهم من غموضها وأوابد ألفاظها التي يتعذر فهمها على بعض الناس نرى من الحسن ان نبدأ بالشعر السياسي قبل كل شيء آخر ويجب أن يلاحظ هنا أنه يندرج أيضاً تحت باب الغناء لان الشعر عندهم أيا كان غرضه يصلح للتغني به بل لا يمكن ان يكون الا كذلك لانهم لا يتذا كرونه الا موقعاً منغماً سواء كان غزلا أو هجاء أو مدحاً أو تحريضاً أو استرحاما أو رثاء أو غير ذلك . وهذه الظاهرة ان دلت على شيء فانما تفسر ميلهم الطبيعي للغناء وتدل على غلبة العاطفة عليهم وتشير إلى انهم لايفهمون الحياة الا هكذا موقعة على نظام من الذوق الشعرى المهيمن على كثرتهم الغالبة . واذ نقول « الشعر » في هذا الباب فانما نعني به الشعر السودانى القومي لا الشعر العربى الفصيح وان كنا سنتناول هذا الجانب أيضاً حين الحديث عن الشعر السودانى العربى ولكنا نبدأ بهذا لانه أصدق فى الحديث عن الأمة السودانية وأدق في التعبير عن منازعها وأحاسيسها وأقدر على تصوير مشاعرها وخلجاتها فى شيء كثير من الدقة التي لا تأتي

(١) يبطيح اى يقع والحق عبارة عن علبة فالمغنى يقول أضرب نحاسك وقابل العدو بدون اكتراث فالمقدور لك أو عليك واقع ولا محالة حتى إن كنت فى حق أي علبة مقفولة فكأنه اقتبس ذلك المعنى من قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة

لهم الا مع هذه اللغة العربية المحورة في بعض منها ولهذا السبب كان بعض الناس أقدر على نقل مشاعره بلغته القومية منه بلغة أخرى مهما كانت خبرته بها لانه يرجع اذ ذاك الى طبيعته المألوفة فيتشقق له القول ويفرغ فيه من غوامض أفكاره ما كان يجد كل المشقة أن يفرغه في لغة يأخذ نفسه فيها على الصناعة اكثر من الطبع . ومن أجل هذا وحده قلت ان هذا الضرب من الشعر السودانى أصدق وأدق من غيره . وأنت ترى الواحد من هؤلاء الشعراء الآخرين يرهق نفسه ويجهدها فى سبيل نظم قصيدة ثم إذ يفرغ منها تجد أنه قصر كل عنايته على اللفظ وأخضع فكره الى اللغة بخلاف أولئك الشعراء القوميين فانهم يحرصون كل الحرص على ان يخضعوا اللغة لافكارهم فيقول الواحد منهم ما يريد أن يقوله لا ما تريده عليه الصناعة اللغوية . وإني لاوكد للقارىء انه سيجد في هذا اللون من الشعر القومى ما لو وقع فى مكنته أن يتذوقه كل ما يطمح اليه من متاع ولذة وانا زعيم له أن سيطمئن اليه ويخلد الى طرائقه المسعدة فلنبدأ كما قلنا بعرض صور من الشعر السياسي لاهميته ولانه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ البلد واطوار الحكم فيه وطبائع الحكام الذين اختلفوا عليه وتناوبوا حكمه ثم لانه يصور بجلاء شعور الامة نحو حكامها من الاتراك والمصريين وانصار المهدية ويلقى ضوءاً قوياً على الحوادث الهامة يومئذ ولانه بوجه عام يصف لنا مدى يقظة الشعور السياسي في الامة ويحدثنا عن أطوار الانتقال الذى تمهد له هذه اليقظة السياسية وهى فى الغالب يولدها الضغط وتحكك الولاة وعسفهم بالرعية وأخذهم اياهم على الشدة والعنف . فحينما أشتد ضغط الاتراك فى جباية الاموال على قبيلة الميرفاب يبربر فر رجل منهم الى الملك نمر ملك السعداب يومئذ بشندي ووقف يصف له حالهم والى أي مدى وصل بهم تعسف الاتراك وجورهم الغاشم في سبيل استخلاص الاتاوة الباهظة الثقيلة على الاهلين وكيف استذلوا الاعزاء من شباب الميرفاب وخضدوا شوكة الجسور الباسل منهم حتى بات كل شديد الخنزوانة أبى النفس صعب المراس سهلا سلس القياد بما أوقع بهم الحكام من صنوف الشدة والهون ثم يذكر له حال من لم يعد يملك الا حلى بناته وهو الشيء الذى لا يمكن لقوة أيا كانت ان تنتزعه من تلك الاعناق الحبيبة المقدسة والذي دونه خرط القتاد وكيف انهم حتى هذا طمعوا فيه وارغموا النساء على خلعه داغرات ينظرن الى اخوانهن وآبائهن بعين كلها الحسرة والالم ويقول الشاعر في ألم إنه رأى بعيني رأسه حلى البنات يملص عنهن متألماً لذلك صادقاً في ألمه الذى نكاد نحسه في قوله لذلك نمر مستدراً عطفه مستثيراً له ولقد عرف إي والله كيف يستثيره من هذه الناحية النسائية التي كان الملك نمر يرحمه الله أشد رعاية لها وغيرة عليها فاسمعه يقول :—

ود الميرفاب الماسك الدرب يتكاس (١) هانوه الترك وطاع قبّع الرسن وسلس

(١) أي يتبختر فى مشيه

مصاغ البنات بي عيني شفت نملص والبطي في الطلب لي جيتي ليك ما تخلص

أي أيها الملك إن من كان يسير الخيلاء عزة ونعمة من مترفي شباب الميرفاب لقد أذله الترك وارغموه على تحمل هذا الذل فهو منقاد لهم على كره منه وإن أولئك الفتيات الجميلات من كرائم الميرفاب لقد رأيت بعيني حلاهن تؤخذ من الاعناق يا لحمرة ومع هذا فلقد تركت من الاهل حتى وقت مجيئي إليك من لم يجد ما يقضي به الجزية ويدفع به عن نفسه شر العذاب لضيق ذات يده والحاح الولاة عليه فالبدار أيها الملك فانك ان لم تدركهم الآن فهم هالكون لا محالة . وقال النقيب – أي الشاعر – وهو لقب ظل ملازماً لهذا الشعر القومي في السودان الى أخريات عهد المهدية يحرض الملك نمر على قتال الاتراك ومناوئتهم ويحذره أن يصيبه منهم ما أصاب غيره :—

ود الباشا بندقه البي الذهب سليكه (١) ود عدلان شرد ضرب جبال عاديكه

بعد كل حي بينهم لي فرخه يشد لي كيكه (٢) والله يا ارباب البطيع التركاني (٣) بليكه ! !

يقول للملك : إن ابن الباشا « وهو الذى احرقه الملك نمر » يحمل من السلاح ما زخرفه بالذهب إكراماً له واحتفاء به وإنه لا شك متحرش بكم إن لم تاخذوا له الاهبة وتهيأوا لقتاله فاني أخشى ان يصيبكم ما اصاب ود عدلان الذى فر بقومه من وجههم وضرب موغلا في جبال عاديكه بعد ان كان كل رجل منهم رافعا منعما يصيح بعبده فيسرج له جمله ولقد والله يا أرباب إن كل من يطيع التركي يبالغ في إهانته والتمثيل به والتعسف عليه حتى يفعل به فان كنت لا تمنع نفسك ورجالك من هذا الأمر على شذوذه وفظاعته فأنت وشأنك فاني ما أرى الا أنهم سيبدؤننا بذلك ان لم نبدأهم بالحرب ونقطع عليهم حبل الرجاء في النيل من كرامتنا بحال من الأحوال

وبعد أن حدثت « حرقة ابن الباشا » تلك المؤامرة الغريبة التي دبرها الملك نمر سريعاً ونفذها بسيطة محكمة في يومها نفسه فر الى الحبشة وهناك أنشده بعض شعرائه ذاكراً له حال الذين أطاعوا الأتراك محبذاً له خروجه عليهم ونجاته منهم الى الحبشة :—

يا الارباب بحكي لك حكاية الطاعوا بانت عليهم العوجه ولي جناهم ضاعوا

الحي ما استنار والمات رقد باوجاعو ياكلو فيهم الاتراك متين ما جاعوا

يقول : اصغ إلي ايها الملك فسأقص عليك حكاية الذين أطاعوا الاتراك وسأطلعك على بعض من خبرهم فانهم ساءت حالهم واصاب الضياع حتى اولادهم الصغار ولم يحفز الاحياء منهم كل هذا الخطب الجلل الى أن يثأروا لموتاهم من هؤلاء الاتراك ولم يسترح الميت في قبره بل رقد باوجاعه اذلم يثأر له اهله من الطغاة وان الاتراك ليأكلون فى هذه البقية الباقية من الاحياء منهم متى جاعوا ، وكم هو جميل

(١) سليكه أبي زخرفها (٢) الكيك الجمل (٣) التركاني التركي

هذا المصراع الاخير ، وكم هو بليغ في تصوير الظلم المستمر من ناحية الأتراك ووصف تلك الحالة العجيبة من الضآلة والهون الذي وصل اليه أولئك الذين استناموا الى الحيف والعدوان الدائم من غير ان يحرك منهم حفيظة أو يثير منهم ثائرة !

وبعد ان وصل ضغط الاتراك الى حد الانفجار وأصبح فوق طاقة اشد الناس استسلاماً ورضا واستنامة له ولم يبق الا ان ينفجر ذلك البركان المكبوت الذي شق الاتراك بحممه بعدئذ قالت امرأة تدعى « بنت مكاوي » تحرض المهدى على قلب نظام الحكم وهو آنذاك يستجمع حوله من الشيعة والاتباع ما مهد لحركة المهدية الثائرة وما مكن له من الجهر بدعوته الجريئة ليخلص بالبلاد من النير التركي الفادح ولقد كان هذا على توفر الدواعى الأخرى سبباً قوياً في بعث المهدية وهو أحق الاسباب هنا بالذكر لانه الحقيقة التاريخية الثابتة والعامل الأولى الؤثر في خلق تلك الدعوة برغم ما تأولها البعض من وجوه . واود ان يتنبه القارىء الى خطر هذين البيتين فانهما قررا مصير أمة يوماً من الايام وابتعثا دعوة جريئة حازمة لم يشهد مثلها التاريخ في سرعتها وقوة أثرها فى حياة هذه البلاد :—

طبل العز ضرب هوينه في البرزه غير طبل امكبان أنا ما بشوف عزه
ان طال الوبر واسيه بالجزه وإما عم نيل ما فرخت وزه

ولا أجل وقعاً من هذين البيتين فى التحريض ولا أشد أثراً منهما في العبث بدم شعب يوشك أن يثور يومئذ لما يغالب فى نفسه من عواطفه المكبوتة الحانقة من تصرفات الأتراك المجحفة وتعسفهم البغيض ولكن هذه الثورة التى كان يغالبها ويشقى بها فى أعماقه الغايرة لم تكن لتجد المنفذ الرحب الذى يدفع بها شعلة واقدة الى الآفاق فيما يرجو لها القوم من قساوة وعنف إلا عند هذين البيتين الجريئين ومن عجب ان يكونا من وحي امرأة لا أكثر ولا أقل . وقديماً استطاعت المرأة بما لها من نفوذ الكلمة في جموع الرجال أن تملى على التاريخ صفحات مقدسة من منطق الخلود . تقول شاعرتنا الحكيمة :—

الآن يا قوم لقد دق طبل العز مجلجلا داوياً فى العراء مؤذناً بيقظة لا مثيل لها ان اجيبوا لداعيه ولست أرى في الحق امجد نغماً ولا أعذب رجعاً ولا أجلب للعز والحرية المسلوبة من طبل « امكبان » اي الثورة الدامية أو الحرب السحوق . ثم تلتفت في قوة امرأة وسلطان أمراة الى المهدي موجهة إليه الحديث وكأنها تضع على عاتقه وحده الاضطلاع بعبء هذا الأمر الفادح الشاق وتطالب إليه في اسلوب حكيم هو خير ما عرف حتى الآن من أساليب الأمثال ذات الأثر الدائم بقولها

إن طال الوبر واسيه بالجزة واما عم نيل ما فرخت وزة

أي إن فات الامر حده فضع له حداً . تشير الى أن الاتراك تجاوزوا كل حدود المعقول فيما خولوا من سلطة وماسوغوا من نهي وأمر ولهذا يجدر أن يأخذوا درساً قاسياً لقاء ما قدموا للبلد من هون

وتحقير وكأنها لم يقنعها أن تأتى بمثل واحد للاستدلال المنطقي على ان لا بد من ثورة عاجلة إذ تردف ذلك بقولها « واما عم نيل ما فر خت وزة » أى ان الثورة أمر لا محيد عنه بحال فالنيل ان لم يطغ ويغمر ما عرى من شاطئيه وان لم يفض هادراً فواراً يزحم المسالك ويأخذ بالسبل فلن يفرخ الاوز. وكذلك نحن وكذلك امر هذه البلاد فان لم تنشب بها تلك الثورة المرتجاة فمحال أن يراش من الامة ما انثال من جناحيا المهيض. ومحال أيضاً أن نظفر بما نطمح إليه من حياة

* * *

ولما احتل سمو الامير اسماعيل باشا خديوى مصر دنقلا طلب من رجال الشايقية أن يقدموا عن طواعية منهم ما بين ايديهم من عتاق الخيل وذكور المهاري ليستعملها فى مهامهم رجال الباشبزق السواري. ولكن الشايقية الذين طبعوا على ما يطبع عليه كل عربى أبى من أبناء هـذا البلد رأوا ان فى هذا الطلب ما يقصد به الى اضعافهم وسحق كرامتهم وربما كان ذلك من بعد سبيلا الى أن يلاقوا من صنوف الهون ما يبرره موقفهم الأعزل أمام القوة المسلحة وعندئذ سوف لا يقع لهم أن يجدوا ما يقاومون عليه ان حزبهم أمر أو جد بهم حدث فرفضوا فى عزة الواثق وانفة الحمى أن يكون شيء مما طلب اليهم تقديمه عن يد صاغرة ما دام يدفق فى أعراقهم دم يأبى أن يبيت على ضيم . ولم يثنهم عن هذا الرفض والاصرار ما كان يبثه الحاكم من مختلف التوعدات حتى لقد أصدر منشوراً وزعه عليهم احمد باشا الجزار يقول فيه ان كل من لا يقدم حصانه للخدمة العسكرية فى ظرف كذا من الزمن لا نرى جزاء أوفق له ولا أوحظ لغيره من ان يعدم شنقاً أو « بالخازوق » فلم يسع الشايقية بعد ما وقفوا عليه من أمر هذا المنشور الغريب الا أن يعلنوا ثورتهم على الحاكم فنشبت بينهم وبين الاتراك مناوشات كانوا يتغنون فيها بقولهم في حماس ملهب واستبسال مدهش :—

الباشا علمنا الهوان ... وحمانا لدات العنان
تتلاقا بسيوفنا السنان ... ويتفرجن معز القنان

* * *

الباشا البيشانوقه يهدد ... حمانا لدات العقد
نتلاقا بالسيوف نتقلد ... عند اليشيم فيها العقد

ومتى طفر في ذهن السوداني خيال المرأة فلقد هانت لديه التضحية في سبيل المحمدة أو خوف العار بكل ما يملك من دم وروح . وانت ترى الشايقية كيف يحلون المرأة في هـذا الغناء — مكان من لا يعنيهم الا ان يرضى وحده ان سخط العالم أجمع . فهم يقولون أولا ان الباشا يحاول بما فرض عليهم من

امره هذا ان يروضهم على الهوان ويأخذهم على الضعة وان يحول بينهم وبين ما ألفوا من تصريف اعنة الخيل ولكن دون هذا موقف الحياة أو الموت في يوم اللقاء بتلك السيوف الرهفة وسترى الفتيات الحبيبات كيف يكون البلاء وكيف تهون التضحية في سبيل الكرامة عند الابطال من فتيانهن الغير المسايير. ويقولون: عبثاً يحاول الباشا بما يتوعدنا به من الشنق ويتهددنا من فظاعة «التخزيق» ان ننزل له عما لا سبيل مطلقاً الى التسامح فيه بحال وأن يحول بيننا وبين العبث والتلاعب بأزمة خيولنا المفداة. ودون ما حاول من قصى المطلب لقاء فاصل لا عناق فيه بغير هذه السيوف المتواضب بين يدي تلك التي يروقني منها ما أشيم في جيدها الحبيب من عقد . . . وهكذا يحدثنا التاريخ بثورات مختلفة لعرب السودان إزاء حكامهم من الاتراك ولا يتحرجون ان يصادموا في كثير من الاحايين أوامرهم وان يعلنوا سخطهم على ما يراد بهم من سوء وربما تحملت ظعنهم راحلة احياناً من المكان الذي يبسط الباشا أو الحاكم نفوذه فيه فراراً مما قد يلحقهم فيه من مهانة يعرفون من نفوسهم انهم قد لا يستطيعون الاغضاء عنها بوجه كما اتفق أن وقع لعرب الشكرية وقد فروا من وجه أراكيل بك أخ نوبار باشا رئيس وزراء مصر عند ما عين حاكماً للسودان في سنة ١٢٧٣ هـ و١٨٥٧ م الى البطانة بحجة انه نصراني لا يقرون حكمه على قوم يعمر الاسلام قلوبهم المشرقة بنور الايمان ويحسون احساساً قوياً بأن احقرهم اكرم عند الله منه من حيث الدين الحق الذي يكره ان تسيطر عليه النصرانية. والواقع ان ليس هذا وحده هو السبب العامل في فرارهم وهربهم من وجهه الى البطانه ولكن يضاف الى هذا ما ذكرنا من خوفهم أن تلحقهم مهانة يستحيل معها ان تهدأ ثائرتهم مهما كلفهم ذلك من انفاق المال وارخاص دم الرجال. ولهذا آثروا تفاديا لما قد يقع ان يضربوا في البطانة قائلين: —

الباشا البعنوا له شن عرضه وشن طوله
كان حجر حلو له حت شرق الله البارد هوله

وهنا يجد القارىء صورة شيقة من صور البساطة المحبوبة ولكنها بساطة من يرى ويقدر أنها ضرب من الحق في بساطته ومن يعرف تماماً مبلغ ما ستبعث في تلك القوة المسيطرة من بواعث الاشفاق والسخرية. أما الشكرية فيما بينهم فلقد تغنوا بهذين البيتين يوم انصرفوا الى البطانة ويوم اطمأنوا اليها واستروحوا فيها نسيم الحرية المطلقة فكان غناؤهم بهذين البيتين لا يخلو من بسمات تلوح على الشفاه لانهم كانوا أشد علماً بما فيهما من بساطة الحق الذي يقدرون ما سيثير عليهم من هزء الحاكم وسخريته. وأما اراكيل بك فلقد لحق بهم مع حاشيته بعد قليل في البطانة فاستدعى الرؤساء وأخذ يلاينهم ويسوسهم على ما عرف من دهاء الحكام ويطلب إليهم ان كانوا يرون خطأ في عمله أن يضعوا إصبعه عليه حتى يصلح منه وإن كان كل ما يحدوهم الى هذا العمل هو محض كراهيتهم له من حيث انه «نصراني» فينبغي ألا يخرجوا على خليفة المسلمين الذى أعمله عليهم حتى يطلب اليه أن يجيئهم بوال

١٠ مسلم إذ ليس هو غير رجل ماجور في هذا العمل الذى يقوم به . ولقد وفق ارا كيل بك كل التوفيق فيما ساسهم عليه من دهاء ولين وقد استطاع أن يحدث انشقاقاً في صفوف الشكرية فمنهم من اذعن ومنهم من أصر على المعارضة والرفض وطلبوا منه أن ينظرهم الى الغد فلعلهم منتهون الى رأي واحد . وتم لهم ان يعقدوا مجلساً بعيداً عنه يقلبون فيه الامر على كلا الوجهين من الاذعان او الرفض واحتدم الجدال وتباعدت بينهم شقة الخلاف فقال أحدهم يصف ذلك الموقف الدقيق في جد لا بساطة فيه وسترى الآن من روائع الكناية والتلويح ما يدعو الى الدهشة والاعجاب :—

حرف القطعه الناس عقد روسه   واحدين فوق صفا واحدين شورتهم معكوسه
فرعون يوم هلك وقفت جبارة موسى   ديك ود سند فطس قبال تجيل الخوسه

اعرفت ما ذا يعني . . . ؟ حرف القطعة رمز الى اسم أرا كيل اذ هو مبدوء بالقطعة أي الهمزة ولم يرمز اليها الشاعر عبثاً ولكنه يود ان يستعين بهذا الرمز الى تقرير معنى آخذ فى الافصاح عنه . فحرف القطعة هذا ما ذا فعل ؟ لقد عقد رؤس الناس أي البس عليهم الصواب من امرهم و « قطع » عليهم سبيل الرأي وسلط عليهم عوامل الخلاف حتى اصبحوا وان طائفة منهم لتغاير فى رأيها ما يحرص على التمسك به الآخرون . وهنا فقط يعرف الشاعر كيف يستعين بما قدم في صدر هذا البيت من كلمة « القطع » ثم ما ترى في البيت الثاني وقد حمل فى جزئيه ضرباً من الكناية والتلويح الى المعنى لا أعذب ولا آثر منه عند مهرة الشعراء والمتحدثين . ثم من هو فرعون هذا ومن يمثل منهم موقف موسى فيما يرمى اليه في البيت الثانى ؟ لا أعتقد أنه يقول إن بعضاً من هؤلاء الناس سوف يذهب ضحية فى سبيل نجاة البعض الآخر من طغيان الحاكم وشدة بطشه . فان فرعون يوم انفلق البحر لسيدنا موسى واصحابه فعبروه وتأثرهم هو وقومه فتلاءم عليهم الماء إنما ترتب على ذلك نجاة سيدنا موسى واصحابه من اخطار فرعون واذن فلا بد فى هؤلاء الشكرية من ناج وهالك . ثم ايضاً ماشأن ديك ود سند هذا الذي مات قبل ان يذبح خوفاً من الذبح وما يعني يسوق هذا المثل في معرض الحديث عن قوم يختلفون في أمر الاذعان الى الحاكم أو الخروج عليه ؟ لعله يريد ان ينعى على من يجنحون الى الطاعة أنهم أوجسوا خيفة من سطوة ارا كيل قبل ان يوقع بهم ما يرهبون من بطشه ولذلك فهو يرى أن مثلهم مثل ديك ود سند وقد مات اخزاه الله — قبل ان تعمل فيه مدية الذابح ! !

ذلك هو بعض شعور الاهلين فى عهد حكومة الاتراك وتلك المسامة قصيرة عن شعرهم السياسي الذى يغنونه ويتذا كرونه في مجامعهم كلما أخذوا فى الحديث عن الحكومة وتصرفاتها الجائرة على أن أكثر ما سجل من شعر في ذاك العهد ليكاد يكون في مجموعته نقداً صارماً دقيقاً لاعمال الاتراك في شتى وجوه الهجاء والتأنيب والتذمر والضيق بهم وبحكومتهم حتى لاحسبه لو جمع ورتب وبوب ثم أرجع كل الى

أسبابه انني أوحت به لتألف سفر ضخم شامل دقيق عن نفسية الشعب ودقة مآخذه وعمق نظرته الى ما ينبغي أن يكون عليه الحاكم الذى يلائم نفسية هذا الشعب الذكي الفاهم . وغرضنا من هذا العرض القصير الذي اوردناه عن الشعر السياسي في عهد الاتراك ان نعطي صورة عن الغناء السوداني القديم ولكنا نحرص بجانب هذا على الفائدة التي تقدر أن يجنيها القارىء من وراء ما يطلع عليه من صور شعرية ولنطبق أيضاً موضوع كتابنا على كل فقرة منه . نعني ان يتوفر في كل صفحة من هذا المؤلف عرض مزدوج من الأدب والتاريخ والاجتماع . وسنسير بالقاريء على حسب الترتيب الزمني فنورد فى باب الشعر السياسي أيضاً بعض شعور الاهلين ازاء حكومة المهدية مكتفين ببعض صور قليلة ولكنها نافعة ف شرح ما كان يضيق منه عامة الشعب لا خاصته في تلك الحكومة التي حالت بينهم وبين كثير مما كانوا يألفون من اخلاق وأرغمتهم على ان يسيروا وفق المنهج الدينى الذي رسمته لهم في عهدها القائت . ولقد كان أول آثارها الظاهرة عند عامة الشعب هو هذه الحيلولة الكثيفة بينهم وبين الخروج على ما أمر به الدين وما نهى عنه . وذلك العمل المتصل في ان تصبغ الحياة السودانية بصبغة فيها زهادة وخشونة فلا خز ولا دمقس ولا رفاهة فى ملبس ولا فراهة فى مركب . وانما القلوب وحدها هي التي ينبغي أن تكون موضع العناية لان الله تعالى ينظر الى القلوب لا الى الاجسام وعسير على شعب كالسودان ان يحمل على هذا المركب الخشن فلا يضيق عامته ولا يبرمون به ومن هنا كان بعض المناصير والشايقية يتغنون باشعار يعلنون بها سخطهم على المهدية أن وضعت حداً للملاهي والمسكرات من نوع ما يرى القارىء في هذين البيتين وقد قيلا في عهد الشيخ محمد الخير :—

لا مريسي ولا طنبير ولا تمباك ولا سنجير
ودا كله من مهديك الكبير وعقرباً تطقك يا محمد الخير !!

وما أملك نفسي ان اضحك كثيراً لهذا الاسلوب من الحسرة المرمضة والغيظ الموجع فلقد نظم هذا هذا الشعر تحت تأثير انفعال غريب وسخط لاذع لما حرم عليهم من الخمر والطنبور وشرب السجاير ومضغ التمباك . وهذا كله يا صاحبي من مهديك الكبير إذ لولاه لما نجعوا فيما يؤثرون من كيوف ! . وكم في هذا الالتفات المفاجيء الى محمد الخير من لذاذة ومتعة ولقد والله يعجبني كثيراً هذا الالتفات المفاجيء وعقرباً تطقك يا محمد الخير !!

ولقد كانت طائفة من قبيلة الكبابيش يومئذ ترقب عن بعد ما يجرى في اول عهد المهدية من ظواهر الانقلاب الذي طرأ على الحياة السودانية فبدلها سريعاً ووضع حسب النظام الجديد حياة أخرى يظهر انها لم ترق في نظر شاعرهم الذي كان ينقد المهدية وزي رجالها وسيرتهم وتمسكهم بشعائر الدين والعمل على الترغيب فيه هذا النقد الساخر ، فاسمعه يقول :—

مقدم ناس لفيت ابو دفنا راخيها   طاقيته سعف بي إيده شافيها
وجبته مرقعه حتى الجلود فيها   من دفشن كبير صلاته باديها
لا عارف ليها فقه ولا جيها   ان ذاكرك بالجنة تقول كان فيها

أفان اراد أحد ان يبلغ بالتهزئة والتشويه والعبث بازياء المهدية فوق مابلغ اليه هذا الكباشي الماجن تراه ما ذا يقول : ؟! وانظر اليه كيف يصف حقارة حالهم وزري ثيابهم التي ما يعوزك ان تجد بين رقعها كل شي حتى الجلود ومع هذا فان الواحد منهم ليبدأ صلاته من الفجر الاول راكعاً ساجداً قائماً قاعداً وهو إن تحدث لك عن الجنة وما فيها من نعيم وما عندها من خير للمتقين يؤكد لك حتى اوشك أن تحسب أنه كان مقيماً بها حتى وصفها هذا الوصف ورغب فيها هذا الترغيب

ولقد اتخذ الشعراء من كل مناحي المهدية مادة للحديث وما كان يحفظهم منها شيء مثلما تحفظهم هذه الازياء مما تفرض المهدية على الناس . وكم أقذت عيونهم هذه « الرقعة » التي تستجمع من شتيت الالوان ومختلف الاصباغ ومتنوع « العينات » ما لا يتوفر وجود جميعه حتى في أكبر محال المنيفاتوره ولكنهم او ولكن بعضاً منهم لا يجد مناصاً قط من أن يدخل فيها على كره منه وأن يزهو بها أحياناً كما يزهو الطاووس بما يملك من أصباغ وألوان . فاذا ما خلى بنفسه واذا ما اطمأن الى وحدته وأمن شر أعين اخوانه من المسلمين أذن لنفسه أن تخرج صريحة عارية من بين هذه الأوضاع ولو بمقدار ما يسر اليها وتسر اليه نجية مما ينفسان به عن ثورة الفؤاد المختنق · وهل غير الشعر يهرع اليه المسكين يبث به شكاته وينضح به لهيب قلبه المضطرم ولكن . . في كثير من الحيطة والحذر . وهذا هو الحردلو برغم ما ستقرأ له من مواقف أخري تحدثك عن انصاريته الصميمة لا يتحرج اذا ما التفت فلم يجد أذناً تسمعه ولا عيناً تنظر اليه أن يقول مخنفاً محنقاً بينه وبين نفسه في وقت ما يكاد يجرؤ أحد على ان يسر بمثل هذا الحديث حتى الى أخلص الاصدقاء وأصدق الخلصاء :—

قدلن واتهكمن   جان الزمان وقعن
نجبد في الدلوق رقعن   نفنت والزعل فقمن

فالحردلو شاعر قبل كل شيء يحرص دائماً كعادة الشعراء أن يكون ظريفاً حسن البزة نظيف الملبس متخايلا مدلا لأنه حبيب العذارى وطلبة كل فتاة كما يخيل اليه ولقد تحقق فى يوم ما بكل هذه الاوصاف فقدل أي مشى الخيلاء وتهكم أي مشى مشية الدلال والبطر ولكنه لم يكن يقدر ان الزمن سيطوح به الى هذا المصير العجيب فهو يشير الى ماضيه ليظهر الفرق الهائل بين ما افلت منه وما انتهى اليه من ترقيع الخرق البالية ومع هذا فما يسعه الا أن يتزمر في قرارة نفسه وأن يئن في اعماقه في حين أن الغضب يمزق احشاءه من فرط ما يكبته ويتكتم حليه . والحردلو بعد ذلك يضيق بأ[illegible] ويحاول ان يتهرب من وجه المهدية الى حيث لا امير لها ولا عامل يقع تحت نفوذه وغاشم سلطانه الى [illegible] العراء الفسيح والمهمه

الواسع الممتد ويدبر خطته فيشكم حماره حتى لا ينهق فتحبط كل مساعيه في سبيل النجاة بنفسه من وجه-المهدية ويقول انه لا خير فى البقاء على هذه الحال . وليس المهدية ما يروق أو يعجب وليس فيها ما يقبل أو يعقل فلقد لبسنا مرقعاتها فارهقتنا بما فيها من ثقل وضايقتنا بما فيها من خشونة ولا خير في تلكم العمائم ايضاً ولعمرى ما اجمل الخنق بها ما حصلت بينك وبين احد مشادة فكأنك تقدم اليه عنقك والحبل لينفذ بسهولة فيك حكم الاعدام ! !

من دار الامير نرحل نشيل الفنقه ونشكم الحمير من الشهيق والمنقة
لبسنا الجبب بقلنا وقره وزنقه ولبسنا العمم بقت سماحة الخنقه

ولما قتل المهدي الشيخ التوم ود فضل الله ود سالم زعيم الكبابيش كان اخوه الشيخ صالح جلطه مقيما فى واحة القعب غرب دنقلا وكان يفور حقداً على المهدية فمما أثر عنه قوله ينصح خاله ألا يستجيب لدعوة المهدية فيرقع ثيابه ويصبح من انصارها البغيضين اليه وهو يصف له حاله من الحرية وعدم التقيد بقيد وان الدنيا زاهية امام عينيه وانه يمشي مع الايام الى نهايته الاخيرة مرتاحاً ناعم البال ثم ينقلب الى المهدى وتكذيب دعوته بانه لم يسمع ولم ير أن المهدي الحق يكون خليفته من البقارة وهم ما هم من الحقارة والهون :—

يا طير ان مشيت سلم علي خالي قول ليه لا ترقع دليقك تبقى لي انصاري
انا بتبطح في الرغام والدنيا زاهيالي بقاصر فى السنين لما تروق داري
ما شفنا الامام خليفته بقاري

والمصراع الاخير يحدث عن بعض ما كان يتذرع به المرتابون في صدق المهدية وصحة دعوتها وهو على غرابته يبين رأياً من آراء الناس فيها ويشرح وجهاً مما كان يراه القوم فيها من مواضع الضعف فهم لا يتعرضون للمهدي في ذاته ولا يأخذون عليه شيئاً فى أعماله وتصرفاته الا ان يكون خليفته من البقارة ولكن ما كان يتوهمه الشيخ صالح جلطه لنفسه من الحرية والبعد عن يد المهدية وسطوتها عاد فشق به بعدأن جردت له حملة في سنة ١٣٠٤ ﻫ سارت اليه بالصحراء وبادلته حرباً ضروساً كانت القاضية عليه وعلى صفوة رجاله من فرسان الكبابيش الذين كانت لهم أغان شتى في هجاء المهدية تدل على انكارهم أصل الدعوة ورفضهم الانضواء تحت لوائها ومظاهرتهم للحكومة المصرية التي انجدتهم بالسلاح وأمدتهم بالذخيرة وفي ذلك ما فيه من مسوغات تنكيل الخليفة بهم . على ان صالح جلطه وان كان يحسب يوم نظم ذلك الشعر انه بنجوة من الخليفة فلم يكن بعد ذلك غبياً حتى يظل آمناً على نفسه حتى النهاية وعيون المخاطر مبثوثة من حوله والشعراء ما يألون جهداً فى النصيحة له ان يكون حذراً شديد اليقظة لما يحسون من الخطر المحدق به وبرجاله ومن ذلك قولهم له :—

أبق حريصاً بعشوم واجرى جرياً زين حتى تشوف الدوم
الناس الرقط ناساً مايخافوا اللوم قبالك قاتلين الشيخ التوم

أي كن حريصاً يقظ القلب حذراً متحوطاً لنفسك ناجياً بها كما يفعل البعشوم « الثعلب » الحذر الخفيف وارم بنفسك بعيداً عن هذا الافق واجر ما شاءت لك الخيل العتاق وما اسعفتك كرام النوق حتى تتبين شجر الدوم في صحراء ليبيا — وهو يقع بين الكفرة من اعمال السنوسية واقليم وداى — ويقولون له ان هؤلاء القوم الرقط من القساوة والعنف الى الحد الذي لا يخشون معه لومة لائم ويعنون بالرقط اصحاب المرقعات من انصار المهدية ويذكرونه بمقتل الشيخ التوم وأنه ان وقع في قبضتهم فان تكتب له النجاة مطلقاً فخير له الا يمكنهم من نفسه والا قضوا عليه قضاء لا محيد عنه . ولكن كل ذلك لم يدفع عنه ما قدر له من مصير . !

ولما تعارضت اهواء دعاة المهدية وبدأت الاطماع اشد ما تكون وضوحاً وحدة في سنة ١٣٠٩ وانشق الاشراف على خليفة المهدي واستطاع بدهائه وحكمته ان يخنق الفتنة قبل ان تستفرخ وتتخذ مظهرها الخطر بالقائه القبض على زعمائها والضرب على ايديهم وزجهم في السجن واقصاء بعضهم الى الرجاف والى غيره كانت هذه الظاهرة قد تركت أثراً سيئاً في كيان الحكومة وكشفت عن ضعفها وابانت عن المطامع التي كانت سائدة في جوها فوقف الناس على حقيقة وهنها الطارىء وبالغوا في تصور هذا الوهن حتى لقد قال احد شعراء الجعليين الحاج علي ود سعد النفيعابي معرضاً بسياسة الحكومه مستهجناً خطة الخلفاء في التصريح باطماعهم والعمل في سبيلها على مرآي ومسمع من الرعية التي اشركتهم بدورها في هذه الفوضى :—

دنقرنا في العريان خبط وقلبنا من الخوف ثبت
أهل الرياسه لكوها وأبت بعد ما شابت عقبان حبت

والآن وبعد ما وقفوا على ما وقفوا عليه من أمر الحكومة وانقسامها في بعضها واشتغالها بهذا الحدث العجيب فلقد أمنوا بعد خوف ولم يعودوا يرهبونها ويحسبون لها حسابا ولن تستطيع هي ان تفرض عليهم هذه الرهبة ولا ان تحملهم ليحسبوا لها حساب حكومة ذات نظام مستقر ووضع محترم . وانما كل حقيقتها الآن محاولات غير مجدية ولت وعجن من جانب الرؤساء يرجع بها الى دور الطفولة بعد ان شابت وكبرت واستقرت على نظام معلوم

اهل الرياسه لكوها وابت بعد ما شابت عقبان حبت

والحق ان الشاعر وفق في وصف وتصوير اخطر دور تمرست به الحكومة في هذا البيت وذلك بعينه الواقع في اجل صوره يعرضه علينا شاعرنا السياسي المحنك

ولم يكن ليقف امر ذلك الانشقاق عند هذا الحد بل لقد دبرت مؤامرات لاغتيال رئيس الحكومة الخليفة عبد الله في نفس سنة ١٣٠٩ وصوبت عليه طلقات نارية لم تصبه فقال الحردلو ساخراً منهم مادحاً الخليفة وهو اروع ما سجلت به هذه الحادثة وامتع ما قيل في موضوعه :ـــ

انصارك تامين عبرت الكيل يشبهوا نبت الربى عن ركوب الخيل
كان ماجور زمان وناساً بصرها قليل شرك (ام قيردون) كيفن بقبض الفيل

وهذا الشعر ان دلنا على مقدرة الحردلو على السخرية والتصوير فان فيه شيئاً آخر يعنينا الحديث عنه والانصراف اليه بنظر سريع قبل ان نتناول ما فى هذا الشعر من جودة واتقان . وهو هذه الظاهرة التي تشير الى انه غير اعتيادي كغيره من الشعراء القوميين . ولا شك انه تقف قليلا من صور الادب العربى ولا شك انه شدا جانباً يسيراً من الاطلاع يظهر اثره في قوله :ـــ

يشبهوا نبت الربى عن ركوب الخيل

وهل هو الا قول البوصيرى في البردة يصف اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربى من شدة الحزم لا من شدة الحزم .

واذا لم يكن شيء من هذا فان الحردلو اذن يصدر عن عقلية مدهشة ممتازة وفيض من ينبوع ثر متدفق وخيال خصب يضعه في مصاف كبار الشعراء على انا نشك ان يكون هـذا من وحي نفسه والا يكون متأثراً فيه بقـول البوصيري وما نحسب الحردلو فقيراً الى ان تنحله هذا المعنى على سموه فان في عالمه الشعرى من الكنوز ما لا يقعد به عن الروعة والابداع

ولقد احسن ماشاء في تصوير فشل هذه المؤامرة وبساطتها فيما دبرت لاغتيال تلك العظمة الماثلة واصطياد تلك الشخصية المهيبة بما يضحك من واهن الشراك :ـــ

كان ماجور زمان وناساً بصرها قليل شرك « ام قيردون » كيفن بقبض الفيل !

وام قيردون هذه ضرب من بغاث الطير . فهل ابلغ يا صاحبي في السخرية والهزء من هذا الذي ترى وهذا الذى تقرأ . ؟ ؟ وهل اعجب مما عرض الشاعر عليك من أمر هذه المؤامرة التي لم تنجح والتى يرجع اسباب فشلها الى انها ـــ كما ذكر ـــ لم يكن مراعى فيها قدر ما دبرت من اجله . واذن فالحردلو يكشف لنا عن قصد أو غيره حقيقة نفسه ويحدثنا عن رغبته في ان لو كانت المؤآمرة أدق حبكة واشد احكاما واوسع نطاقا واكثر اتفاقا معمكانة الخليفة ولو اسند إليه عمل هذه المؤآمرة وتنفيذها لعرف كيف ينصب للفيل ما يصلح في قنصه من شراك . افليس كذلك ؟ ! ونحن نقول هـذا استناداً على نفسيته الغامضة ورغبته الخفية التى تتردد متلجلجة في اطواء شعره ، مستعينين في تقديره بما نعرف من

ضيقه وبرمه بالحكومة وتجسم رغبته فى زوالها ولم تتعمد ان تصنع للحردلو جريمة خفية ولكن هكذا نرى وهكذا يفصح مفهوم بيته الثانى والا فهل تجد له من المعنى غير ما ذكرنا من مفهوم هذا المنطق الملفوف . ؟

الحق ان الحردلو كان يود بملء نفسه أن تنجح المؤامرة وان تحقق ما ترمى إليه وان تسحق الخليفة وحاشيته وان تأتى على ملكه وتقوض دعائم عرشه ولكنه عند ما ادرك تقطع الشباك عن الفريسة واحس بغضبة الاسد الذي افلت والفيل الذي نجا توشك ان تزلزل الارض وتنسف العالم وادرك خطر العاقبة على المذنب والبرىء لبس مسوح الكاهن وجنح الى المكابرة وانضم الى صنوف المستائين لوقوع مثل هذا الامر الخطير وبالغ في تصويره وهول في فشله وندد ما شاء برؤس الفتنة وسخر منهم وعبث بهم وهو يعلم انه يطوى في دخيلته نفساً يسوءها ما انتهى إليه امر هذه المؤامرة وذلك ما كشفنا سره واوضحنا عنه فى سياق الحديث !!



فى الحكم

(٥)

والحكم في الشعر القومى قطعة من الاحساس العميق بالحياة ، ونتيجة للتمرس بالوان شتى من التقلبات ، ونظرات بعيدة هادئة الى الكون ، وامتزاج قوى بصروفه وأحداثه ، ومغالبة واصطدام بحقائقه وأوهامه ، وقياس دقيق في تقدير وقائع المستقبل بما يكمن فى النفس البشرية من طباع وما يتغلغل في النفس السودانية بوجه خاص . والشعراء السودانيون يرسلون الحكمة لمحات قصيرة في الشعر والحديث لتكون قانوناً شاملا للحياة ويندر جداً الا تطرد في مجراها او أن تتخلف عما وضعت له . وهذا كله ينبىء عن صدق نظرتهم الى الحياة ونضج تجاربهم فيها وبحسبنا ان نعرض منها بعض الامثلة ليرى القارىء الى أي مدى تمتزج بالحياة وتتبطن دخائلها وتسلك أغوارها ويمكننا هنا ان نستعين بشطر بيت الحردلو الآنف الذكر وأن نأخذه مثلا مضروباً فى الاستحالة وحكمة سامية فى موضوعه وبقول بنت مكاولي :—

« ان طال الوبر واسيه بالجـزه　　　واما عم نيل ما فرخت وزه »

على ان كثيراً من هذه الحكم تمس اخطر المواضيع واغمضها وتفتح للباحث احياناً باباً من الشك فى صحتها وانطباقها على الواقع فلا يظهر له منها بعد طول النظر والتعمق والاستقراء ما يترك شكا فى انها قطعة باقية من الحياة . ولكي نوضح هذا اللون من الحكم نثبت للقاريء هذه القطعة على خطورة ما تحدث عنه وهى إن صحت فما نجهل خطرها في أسمى وانبل نواحي الانسان :—

الريـد الكتير لا بد تعقبـه عـداوه　　　والقلب الفسل بوصيه ما بداوى
ان حصل القنـع يا بنيـه ما تتـلاوى　　　والقوى والضعيف ميزانه ما بساوى

وينبغي أن نكون دقيقين فى حساب الشاعر لنرى ما اذا كان مرتكزاً على طرف من الواقع أم هو محض كلام . واذن فهل صحيح ان الحب متى كان شديداً حاداً عنيفاً يعقب عداوة ويخلف بغضاء . أفلا ترى ان هذا الكلام فاسد لا أصل له . وذلك ما يبدو للناظر فيـه . ولكن من أنى للشاعر بهذه الحقيقة الخلقيـة خلقاً ثم اقحمها اقحاماً فى طباع الناس وسجلها على القلب ظاهرة خطيرة تبدو كلما تقدم هذا القلب في اظهار عواطفه النبيلة الساميه . ولسهل على ان أصدق ان الماء متى وصلت برودته أقصاها التهب وتضرم ناراً أو أن النار متى استحرت وذكت ابتردت وتجمدت ثلجاً من ان افهم وجهاً لما قررت حكمة شاعرنا واوحت به عبقريته في احدى تجلياتها على الكون ولكني مع هذا اعتقد ان الشاعر لم يسجل ما سجل محض عبث واختلاق.ووضع على طبائع القلوب . . . وبعد تأمل ونظر هادىء طويل

و نقطاع الى نبش أسرار القلوب وتعرف دخائلها تبين لنا انه محق كل الحق فى قوله وان الحب العنيف يحمل فى تضاعيفه عداء حاداً من نوع غريب ولكنه خفي اذا وجد طريقه انبعث قوياً خطيراً فكأن العوامل التى كانت تعمل في خلق هيكل الحب كانت تعمل عن طريق آخر فى اقامة صروح العداء وبث عناصره وبذر نواه في أعمق اعماق النفس . . وكأن هذا الشاعر مغرم أبداً بتسجيل الغرائب شغوف دائماً بتقرير ما يبدو معقداً مستعصى الفهم مناقضاً للواقع . واذا آمنا بذلك افنؤمن أيضاً بصحة ما ذكر من أن « القلب الفسل بوصيه ما يداوى » والايمان بهذا أشد خطراً من غيره اذ لا يجعل فائدة لبعض صنوف العلاج النفسي والتربية الخلقية والتهذيب والمحاولات الاصلاحية التي غايتها تقويم المعوج واصلاح الفاسد . ولكن من قال بهذا . فالعلاج النفسى للادواء الخلقية في مجموعه لا بد تارك أثره حتى في أشدها استعصاء على الطب واعتياصاً على الاطباء . وان صحة هذه الحكمة معناه كما قلنا فساد بعض ضروب التربية والتهذيب . ومهما يكن أمر فسالة القلب وفساده فان محاولة اصلاحه غير منكورة الاثر فى أصلب القلوب واعسرها على تقبل العلاج ولكن يجب الا ننسى ان الشاعر يقول « بوصية ما يداوى » وهو لم يقطع بأن لا جدوى ولا فائدة لعلاجه في غير الوصية والنصح وهو لم يمس غير هذا الضرب من علاج القلوب الفاسدة بما يقدم لها من نصائح . وما عدا الحق أبداً فيما نرى من ضعف عمل الوصية في القلوب المريضة

ويقول الشاعر فى البيت الثانى « ان حصل القنع يا بنيه ما نتلاوى » مخاطباً زوجه التي يظهر ان خلافا وقع بينهما وعداء نشب على حين كان حبهما على اشده كما عرفت من البيت الاول الذى يجعل العداء نتيجة لازمة لهذا الحب وهو يؤثر إن قنع بعضهما عن الآخر ان يفترقا من غير نزاع ولا مشادة وألا يحاولا استرجاع ماضى علائقهما فى مثل ما كانت تزخر به من حب وعطف

ان القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يشعب

على انها ان جنحت الى ايثار النزاع والمشادة والملاوات فلن تجديها شيئاً اذ بقدر ما يكون هو قوياً تكون هي ضعيفة « والقوى والضعيف ميزانه ما يساوي » فالرجل في بيتيه هذين يصدر عن تجربة ويصدر عن احساس ويحدث عن هدى وبينة فيما يحدث عنه

ومن الحكم الواسعة المرنة التي توجهها انى شئت وتصرف فيها ما اردت قول الشاعر :—

برمه ما يقشيل مياً يشق عتمور ورخمه ما بتجيب صقراً يباري صقور

فالبرمه هى الجرة والعتمور يقصد به الصحراء والرخمة طائر معروف يذكر بشدة الجبانة وفرط الخوف

ويقول في البيت الثانى :—

إن جاك الرفيق أديه زي مايدور اخطا له الطمع والحاجب الغرور

والصلة بينه وبين البيت الاول بعيدة بعض الشيء ولكنك تستطيع ان تربط بينهما بقليل من التأمل والتفكير . وهذا البيت مما ينبغي أن يتأدب به الناس في معاملاتهم للرفاق والاصدقاء فالرفيق يجب ان يعطى ما اراد مما يحتاج إليه وفقط يلزم ان تتخلى الطمع معه وأن تتجنب اظهار استيائك له واشمئزازك منه

.. وشعراؤنا القوميون يحرصون دائماً فى حكمهم على ان يوحوا لنا ببعض متممات الشخصية ومؤثرات القوة والكمال الذاتى المنشود بما يرسمون من خطط وتقاليد مرعية عند من يرغبون في خلق شخصياتهم وتركيزها على أساس اخلاقي متين . وهم يحفزوننا احياناً الى تعمل الارستقراطية أو العظمة لنكسب بها فى عيون الناس مهابة وروعة ولنضرب بها حولنا هالة من القداسة والجلال فاسمع الى قول هذا الشاعر الارستقراطي :—

الخفه بتخفك عن جميع الناس والتقله بتعزك ويحفظوا لك باس

ويعود فيقول مرتباً حديثه على ما اسلف من حكمه :—

ود اصل ما بيخيب ان ودو لي حز راس والفسل ما بيزين ان قروا له نحاس

اى إن من كان طيب النجار كريم الاصل فانه لن يخيب ابداً فى كل ما يراد به ويراد منه حتى ولو ارسل لتقطع رأسه . وان الخبيث في عنصره لن يفلح حتى ولو دقت له الطبول . وبين البيتين صلة خفية يتوقف عليها فهم ما يرمى إليه الشاعر من فكرة فهو يعود كما ترى فيجعل قانونه الذي يقول به ينطبق بالوراثة أكثر من انطباقه بالدروج عليه وذلك هو معناه البعيد فالعظيم الهادى الرزين عظيم بالوراثة والخفيف الطياش خفيف بالوراثة لحقارة في عنصره ولكن هناك من ليس بطيب العنصر ولا خبيثه بل ذو وسط بين شيئين وهذا فليتوقر ان لم يكن وقوراً وليتعاظم ان لم يكن عظيما حتى يحفر له فى صدور الناس صورة قوية مرهوبة الجانب



فى الوصف والتصوير

(٦)

وهنا فقط تتجلى مواهب شعراء الامة والمحدثين بلغتها والمصدرين عن شعورها واحساساتها . . هنا حيث تتبين الحياة القوية الصاخبة وتلمس الكون الحي المتحرك يزخر في كلمة ويعج فى بيت شعر . ولا أدل من هذا على درجة فهم الامة للحياة ورجاحة مذهبها فيما تقف عليه من صورها ومجاليها فتبعث خيالها يعمل في جمع هذه الصور والملاءمة بينها واستخراج مثل قوية ناضجة من عمل الحقيقة والخيال . وبقدر ما تدل بهذا العمل على قوة امتزاجها بالحياة تعبر به أيضاً عن قوة اتصالها بالكون الخبيء الآخر من الجمال الروحي العجيب . وطبيعي ان يكون للون الحياة التي يحياها شعراء الامة وافرادها أثر تام فيما يعلون من صور وأوصاف والا فلا معنى البتة لان يعيشوا في بيئة لا يستمدون من جوها ولا يتنفسون من هوائها وينقلون عنها بعض ما يتصل بمشاعرهم من حقائق مضافاً اليها عمل العاطفة والخيال والتهويل وتلك هى متممات الصور الفنية أو قل موجداتها . ونحن قد نشاهد الآن عند بعض شعراء مصر والسودان ممن يعيشون فى جو شرقي خالص من الاخيلة الاوربية والتصورات المعجمة يحرصون على أن ينقلوا عن جو أوروبي بحت إن مرنا على تذوق صوره واستمرائها فان لدينا اجواء غاصة بما يشبع النفس ويرضي مطامح الاديب . ومن الخطأ بل من العقم الادبى ان نغمض اعيننا عن عالمنا الشرقي محاولين اخماء عمل البيئة فى دمائنا بما نعمل من غربية مبهمة في الذوق والتفكير . ولقد كان لهؤلاء عذرهم لو اقنعونا بخلو هذه الحياة التي نحيا وعقمها واصفائنا من ملهمات الاديب فنه . ولكنهم وهم لم يطرقوا بابها ولم يخرقوا حجبها محاولين الوصول الى محرابها الاقدس يتشدقون بأن طبيعة الحياة الشرقية طبيعة كزة جافة لا تبض بقطرة من ندى ولا تفيض باشعاعة من نور . واذا كان لشعرائنا السودانيين القدماء ما نحمدهم عليه فهو هذا الانقطاع الى الاستمداد من عالمهم وحده ، يعينهم على ذلك استحالة اتصالهم بالاجواء الاخرى التي افسد علينا اتصالنا بها ذوقنا الشرقي الجميل . وما يزال بعض شعرائنا القوميين حتى الساعة برغم ما التاث على الناس من الطبائع والتوى من الاذواق منكمشين على أفقهم السوداني العربى لا يسمحون ان يظهر به نجم لا يشبه نجوم الشرق ودرارى صحرائه اللامعة . ! !

ولا ينتظر القارىء منا ان نفاجئه بغير ما يتردد عادة في حياة الصحراويين من خشونة وغلظ ومن ليونة احياناً فالعربي السوداني يعيش بعضلاته واعصابه وكل رجولته ويعيش بقلبه وعواطفه كذلك ولكنه يؤثر وصف صور القوة في شعره أكثر من الضعف . وسر ذلك فى غلبة تلك الناحية عليه وايثاره لها وتحققه بها في كفاحه للحياة ونضاله في سبيل البقاء

ونحن نعرض الآن من صور القوة هذا العجيب المدهش مما تقشعر لتصوره الابدان فى وصف الخشونة والغلظ ووعورة الجانب :—

ربعن ما اكل لي مدة الخاموس   ودا اسد يشه البقوم من عجته الجاموس
جمرة نار صبي عينه . وضوافره الوس   دا ابوجمعه البسوق من قصته الناموس

أقسم ان قشعريرة تدب في جسمي وفزعاً وهميا يملأ على مسالك الفكر فاحاول جهدى ان اتهرب احيانا من تصور ما يحمل هذا الشعر من وحشية وشدة بطش والمعنى أنه كالاسد « المربعن » وهو الذى لم يأكل اربعين يوماً ثم بالغ الشاعر باضافة عشرة ايام اخرى الى فترة انقطاعه عن الاكل مما يزيد في شراسة الاسد وضراوته ويصف زأرته فيقول انها تنهض الجاموس فزعاً من مربضه وإن انسان عينيه كالجمرة الحمراء وان اظافره كالموسي في حدتها القاطعة . ودا ابو جمعه اي وهذا ابو جمعه وهى كنية الاسد وكل ذلك زيادة في الالباس واعطاء المشبه كل لوازم المشبه به ويسمى علماء البيان هذا النوع من المجاز ترشيحا وتجريداً ثم انظر الى تلك الكآبة العميقة والعبوس المقطب والتوحش المريع فى قوله « البسوق من قصته الناموس » فيا لهول المنظر ويا لروعة ما يدفع به الفنانون في دمائنا من دمي وتهاويل !

واذا ما استطعت ان تطرد من نفسك أثر الخوف والرهبة من المقطعة الآنفة . واذا ما استجم فكرك وتهيأ لتلقى صورة أخرى من صور القوة عرضنا عليك هذه :—

ادريس جابته اللبوه من القنات   ينفر وينطبق يرقد تلات طيات
اسد الكرمك ~~الوثبات~~ متبعات   يعزل في مكان العنز الفاردات

فادريس هذا البطل الشجاع القوي انما ولدته اللبؤة من الاسد الزآر وانه ليتمطى وينكمش وينبسط وينقبض شأن الضرغام في غيله حتى يبدو منطويا ثلاث طيات . وهو كأسد الكرمك خفيف الوثبات يفعلها دراكا متعجلة فكانما يرمى به من قوس . . وهو شجاع ماض جسور لا يتهيب شيئاً حتى لقد يتخير فريسته وينتقيها رابط الجاش متماسك النفس من بين مربض وحيد القرن الشرس الغيور

واسمع الى كلام عبد الرحمن الجويتي يصف السلطان علي دينار الكبير سلطان وداي ويمدحه ويحذر اعداءه من شدة بطشه :—

ولدت مومو بقة عقود السم   جاموس الخلا البكرف حركة الدم
الدود انتهر تحت الارض تسلم   يا مكازي الامير احسب ايامك كم

فأم علي دينار ولدت جرعة من السم النقيع ، وما علي دينار الا كجاموس الخلاء الذي يشم رائحة الدم فتهتاجه . والشاعر يقول « بكرف حركة الدم » ونحن نفسر الحركة بالرائحة وهو كما ترى تفسير

غير دقيق ولكن كل الخلق وكل الابداع فى هذا التعبير الذي يجعل للدم حركة تشم . . !

وعلي دينار هو الاسد ان نهر تجمعت الارض وتضاءلت من تحته فرقاً وذعراً . فقل لاعداء الامير احسبوا ايامكم فما اظن الا انها قصيرة توشك ان تنقطع لوقوفكم في طريق بطش الاسد وفتكه

ومن محاسن التصوير قول الحردلو وقد سأله أحد السجناء من أبناء بلدته في حكومة المهدية عن حالة البلد فوصف له بشائر الخريف ومعالم الخصب بقوله :ـــ

الخبر الجا قالوا البطانه رشت	وسارية تجود حتى الصباح ما انفشت
هاج فحل امصريصر والمانح بشت	وبت ام ساق على حدب الجميل اتعشت

ففيما جاء من أخبار البلد أن سارية مثقله العياب مليئة الجوانب جادت البطانة وامطرتها وابلا من الغيث حتى الصباح ومع هذا فلم تفرغ كل ما تحمل فى احشائها من غيث ورحمة ، فسرت الحياة في حواشي الارض ومشى البشر في نفوس الحيوانات وبدأت علائم الخصب ونزعة الانتاج فى الارض والحيوان سواء بسواء فاهتاج الجمل للقاح ودرت اخلاف النوق بفيوض من اللبن المحبوب وكست الاعشاب أديم الارض حتى لتعشى الناقة من طرف المنازل لفرط ما عم البلد من خصوبة ولين . وأبدع من هذا قول امرأة من قبيلة المرغوماب تدعى « شغبه » قتل الشيخ برير البطحاني ولدها « نائل » في احدى غاراته على المرغوماب فبكت الوالدة ابنها بكاء مراً وتفرقت نفسها له أسى وحسرة واستثارت القوم للاخذ لها بثاره فوعدها رجال القبيلة بأن يأخذوا لها به وضربوا موعداً لذلك فصل الخريف . ولما دنى الاجل المضروب قالت شغبه تنبه قومها الى حلوله وتستنجزهم ما وعدوها به مصورة لهم الخريف من أدق نواحيه واجملها تصويراً متلائماً في غير نفرة مجوداً فى غير تلفيق :ـــ

الليله على القبله الحزرق بات	وكاكا ركضت وتفالت النطاط
باروك القوائم فى المناهل عاط	وخلف التر على الزارق جرن قانات
قولوا لبرير ماعندي ليك آيات	غير الدكري ودرق الجنى الكفات

وهذه القطعة خريف تام الصور والمناظر جميل المجتلى والمستمع ، فيه الطبيعة الصامتة والجمال الصارخ ، وفيه الحركة المعجبة والسكون الفاتن . وما تعوزه الا ريشة الفنان ليكون مثلا ناطقاً بحركة الحياة . . فهنا السحاب يجثم فى الشرق مؤذناً الارض بعودة شبابها الاخضر أو هو قد أذنها أمس وقبله و يؤذنها الليلة بوا كف مدرار . وتلك هى دجاجة الوادي ترجع كعادتها في الخريف الى بيضها تحتضنه لتهب له الحرارة والدفء . وبدأ الجراد الصغير يتفلت ويتوثب وانها لدقة عجيبة في وصف حركة هذا الجراد الصغير النزات . .واخذ نقيق الضفادع يعلو فى المشارع والمناهل وعدت نتائج الابل و اولادها

مسرعات خلف آبائها وامهاتها فرحاً بالخريف واستبشاراً به . وبالاختصار فقد شمل الارجاء كلها خريف لا شك فيه فلم يبق الا أن يوفي رجال القبيلة وعدهم لها بالغارة على الشيخ بربر

وللحياة الزراعية التي يحياها السودانيون القدماء أثر بليغ في تجويد الدقة الفنية وانمائها وتهذيبها في نفوسهم الفطرية الساذجة ومتى مست أناملهم ناحية الطبيعة الملهمة عرفوا كيف يلونون مناظرها بشتى الاخيلة والعواطف وكيف يستجلون محاسن ما تفيض به أطوائها من جلال الفن وعظمته

وعلى أثر الانقلاب الهائل الذى طرأ على الحياة السودانيه ولم يلبث ان تغلغل في احشائها وتركز في قرارتها كان الشعراء أشد احساساً به واكثر عبوساً وتجهماً له . . وكانوا أقدر على تهويله وتجسيم أمره ولا سيما في الاخلاق وقد أعتورها ما مسخها من خبث ورياء وأثرة ونفاق ومكر هيأ للسافل ان يعلو وللرفيع أن يسفل فتحكمت الشرور والآثام وانفسح المجال للخبثاء والدساسين وامتلأ الجو بانفاس دنسة وظواهر شاذة في الحياة السودانية مما أوحى الى أحد شعرائنا الحديثين هذه القطعة التي يلذني ويلذ غيري أن يتمثلها غير مرة امام عينيه وقد تضحك لها كثيراً وقد تحزن لها كثيراً ايضاً وقد تسأل الله لهذا الشاعر الظريف ان يزيد فى وساوسه اللذة وأوهامه الممتعة حتى يطرفنا بما نستعين به على فهم الواقع :—

انقلب الدهر كسر الرق بتمامه والصقر الكبير يزعق وخاطفه حمامه
التمساح غرق واحتاج له لى عوامه انا شفت الاسد يجري وتسكه نعامه

فبالله ربك كم ضحكت وقد تمثل امام عينيك هذا المنظر . صقر بين منقار حمامة وادعة تخطفه وتطير به وهو يصرخ ويصرخ ويستغيث ويستنجد . وتمساح يغرق فيحتاج الى شيء يسبح عليه . واسد يجري وتعدو وراءه نعامة باسلة تريد ان تفترسه . ! وكأن الشاعر يقول إن الاشياء نزعت طباعها وخصائصها وبدلت بها طباعاً وخصائص على النقيض كما شاء لها الزمن المتحول وهذا كقول الشاعر الآخر :—

الدنيا دار العبوس اليها دايمه ما شيه مع الارامل والاكابر نايمه
جلبت الاريل الفي خلاها سايمه وغطسوا التماسيح وفاضله الورايل عايمه

ثم اسمع الى قول الاول ايضاً في تصوير الناس :—

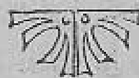
جيب للناس مقاعد وقدم ترى إيش ناس ان غمضوا ورموا السهم ما بطيش
وناس في الوجود ساكت عزارة جيش غاية حياتهم زحمه وخسارة عيش

* * *

الناس الزمان اليوم صحيح ما فيش وصبحوا الناس عداد بس زي عداد الفيش
شكواك الدهر ساكت كتر تفتيش والزول مهما كان فوق عمره قط ما بعيش

والشاعر ياصاحبي لا يرضيه ان يصور لك الناس وهم بعيدون عنك وعنه بل يسعى جهده ليجمعهم في مكان واحد ويطلب اليهم مقاعد ليجلسوا عليها ثم يتقدم بك لترى اخلاطاً من الناس وصنوفاً شتى من الخلق فمنهم من اذا أغمض عينيه ورمى بسهمه فان يطيش ابداً لسداد فى حظه ويسر فى دنياه وتوفيق الى كل ما يطلب واولئك هم السعداء والمجدودون . ومنهم من لا اثر له مطلقاً ولا فائدة من ورائه الا ان يزيد فى « الرقم » ويضيف الى عداد الناس عدداً آخر وغاية حياة هذا وامثاله ان يزحموا مسالك الارض وان يشركوا الناس فى استهلاك « عيش » الغبن كل الغبن فى استهلاكهم له . ويقول صحيح ان الناس الذين مضوا لم يبق منهم احد فى مثل طباعهم واخلاقهم وانما لو تحققت في امر هؤلاء الموجودين الآن على كثرتهم لوجدت انهم اصبحوا اعداداً فقط كاعداد الفيش فى لعبة « الضمنة » ! !

تلك امثلة قليلة نزرة في الوصف والتصوير نعرضها سريعة لننصرف الى غيرها مسرعين أيضاً وقد بلغنا بالقارىء الى ما نريد به من تشويق الى البحث عنها والعناية بها كما نزعت نفسه الى تعرف صور الادب القومي السوداني الخالص . وعلى اية حال فستمر به بعض الصور الفنية المجودة في فصل الغزل والمدح والهجاء إذ قوام كل هذه هو الوصف والتصوير



فى التحريض

(٧)

ولقد كان السوداني العربى قريب الانفعال شديد التأثر تستطيع أحياناً أن تحرك اعصابه و دمه بقليل من التحريض ممزوجاً بقليل من التحميس ولا سيما اذا كان موتوراً فهو ساعتئذ يلتهب كالنار وينطلق كالسهم مضحياً بكل شيء تحت تأثير ما سمع من تحريض واغراء . ولقد رأيت قبلا أثر التحريض وعمله البليغ في تأريخ حياة هذا الشعب . ذلك الأثر الذى سحق دولة وأقام أخرى وأباد حكومة ونشأ أخرى على عمد راسخة من الاستقلال الداخلى في عهد المهدية . ورأيت ايضاً أثره فى حرق « ابن الباشا » والهابه كثيراً من الثورات فيما قدمنا فى فصل الشعر السياسي . ونخصص له الآن فصلا مستقلا بذاته ليستقيم لنا عرض شيء يسير من صوره في مختلف الاغراض

فقد حدث ان نهب أحد البطاحين إبلا من قبيلة الشكرية وفر بها الي الشيخ ادريس ود التوم السعدابى الملقب بخف الجمل . وقد رفض هذا بدوره ان يسلم الابل ومن جاء بها الى أصحابها الذين ثاروه في خنق وموجدة مصرين على قتله واشفاء غيظهم فيه . وكان رفض الشيخ ادريس عاملا قوياً في استقدام جمع غفير من الشكرية يصحبهم بعض حلفائهم ليكون الموقف خطره فقال مغنى الملك نمر مستخفاً بهذه الجموع مستبيناً بها محرضاً الملك على استئصال شأفة الشكرية والقضاء عليهم :—

لمت جيينـه بوادره وام بادريه	ومن ود ابفروع اهل السبب شكريه
خلينا من عربياً فراستها حليب ورعيه	فوق فرع النمـر ما باضت القمـريه

وبوادره وأم بادريه هان قبيلتان تهيمان في القضارف قريباً من الضبانية « أنظر صفحة ٣٤ من محاضرتنا « العروبة فى السودان » وبيت القصيد الذي يرمي اليه الشاعر قوله « فوق فرع النمر ما باضت القمريه » وارجو الا تعزب التورية عن ذهن القارىء في كلمة « النمر » فهو يورى بها للمعنيين القريب منها والبعيد ومن عادة النمر دائماً ان يربض في فروع الاشجار يتحين فريسته فينقض عليها من عل ويهتبلها من حادر . فمحال أن تبيض القمريه في فرع النمر فتدفع بنفسها فى مكمن الخطر . وهؤلاء الشكرية وحلفاؤهم يحاولون الآن أن يثبوا الى النمر في فرعه وسيعرفون الخطر الرابض من خلفه ان لم يعدلوا عن ما اعتزموا من مناوشة الملك واتباعه ناجين باعمارهم منه تاركين الابل ثمنا للنجاة من المأزق الذى زجوا بانفسهم فيه .

ومن غريب ما حفظنا من التحريض قطعة بابهجة الشاافية . وقصتها أن رجلين تزاحما على امرأة فحظى

بزواجها احدهما دون الآخر وقد كان على فرط حبه لها وهيامه بها يامل أن تصبح قرينته يوماً ما فيما وهم ما بدد احلامه وأخلف أمانيه ظل ينفس على مزاحمه ظفره بها من دونه ويترقب الفرصة ليعمل فيها عملا جدياً للتفرقة وبث بذور الخلاف بينهما عساه يظفر بها زوجة بعد طلاقها من الآخر . فسمع ان زوجها سيرحل بها الى بلدة نوري وهي في موقعها بعيدة عن النيل ويشرب اهلها من مياه الآبار وهي راغبة عن ذلك فأخذ يحرضها على الطلاق برسم مثل اعلى في نظرهم يومئذ للحياة الزوجية ويقول :—

قالو لي الليلى طارن لك رحالي — تمير المشركى الماع في الخالي

شرابك يبقى من ماء الزلال — على نوري ابعجاج المويه غالي

من الفركي الى قرن ابسحالي — ولباسك يبقى من الكسو الغوالي

سوى هدمك في راسك تعالي — وكت يبقى لي عيشة الكيالي

. . . أي ايتها الحبيبة . انت يا شبيبة بلح المشركي الرطب عذوبة ولينا . . بلغني انهم سيرحلون بك الى « نورى » وفي نوري ذات العواصف والاعاصير جو لا يلائمك حيث الماء صعب عسير وحيث الحياة على غير ما تألفين من نعيم ودعة . فاذا لم يكن بد فافرضي عليهم اذن ان يكون شرابك من الماء العذب القراح وان تكون ثيابك من ارفع الثياب واغلاها ثمناً كالفركي مثلا وكقرن ابسحالي وهما نوعان من الثياب كانا في احد الايام — يا سبحان الله — كل ما تطمح إليه المرأة السودانية من هندام اما اليوم فسل الازواج يحدثوك عن مبلغ ما يعانون من مشاق في سبيل مطالب الزوجات بعد هذا البلاء الذى دفعت به إلينا المصانع الاجنبية مما تسميه ثياباً وكلها علم الله شفوف أرق من « ثوب الرباء » . وهذا الشاعر الغيران يقول لحبيبته فان لم يتح لك من الوان الحياة الزوجية ما رسمت لك فانشزي على زوجك وخذي متاعك وتعالي تجدي صدراً رحباً ما يبرح لهيف القلب الى ان يضمك إليه

ويستعين بعض شعرائنا القوميين أحياناً فى مواقف التحريض كيما يصلوا به الى دم المحرض فلا يعتم ان يفور ويثور ويتلظى . . يستعينون على هذا بالاشارة والتلويح الى مجد أبى المحرض وسمو مكانته من الشجاعة والفروسية والقوة وغيرها مرتبين على هذه الاشارة واحدة من اثنتين . فاما الا يقصر دون شأو أبيه فيكون له نعم الابن الشبيه به واما ان يدل بضعفه وتهيبه على انه ليس منه في شيء . والواحد من هؤلاء السودانيين يؤثر أن يموت ولا إن يقال عنه انه وقف دون مدى أبيه في الشجاعة أو الكرم او ما شئت من مجيد الصفات . والشعراء لا يفعلون هذا الا بعد أن يروا من المحرض بعض الفتور والتراخي عما يراد منه . وقد قال أحدهم يوماً للمك نمر ولعله كان يرى غير ما يراه القوم من الدخول في معركة ربما كان هو غير مطمئن فيها الى الفوز والظفر ولكن الشعور العام لم يوافقه على رأيه

وأوشك الناس ان يسجلوا على الملك أنه يفزع من لقاء الفرسان :—

ما شفت أبوك يركب على المتـوردي   هو هنا ويتر قبـل قوز برى
اما اركب كاس وقل للخيول إندري   واما اقعد فكي ورد مرتضاك يقري

وانه لاسلوب عجيب في الاستثارة جدير أن يعدل بالملك عن رأيه ويسحره حتى عن النظر الى ما حوله ويجعله يخلع الحكمة والحذر والتحوط ويطفر بروحه وكل قطرة من دمه الى صميم المعركة غير هياب ولا وجل . ولعله فعل . وإنه ليعلم — وقد ذكر وإن لم ينس — فعل أبيه وفروسيته وشجاعته وجهرة صوته القوي الملىء الذي يشبه زئير الاسد وقصف الرعود فليركب هو شجاعاً وليمض بخيله متقحما مندفعاً كالسيل والا فليقف بعيداً موقف الفقيه او معلم الصبية المستضعف . وما ادري لم يزدرى السودانيون بالفقهاء ومعلمى الصبية ويصمونهم بالذلة والمسكنة ويجردونهم من اعمال الرجولة والفروسية وإن منهم لمن يظهر من ضروب البسالة ما يدهش ويريع . وان منهم لمن غزا وفتح وقاد واشترك في اخطر المعارك ولقد تولى الفقيه بدوي ابو صفيه قيادة جيش صدم به النوبيين سكان الجبال والشلكاويين سكان اعالى النيل يوم كانوا يغيرون على قرى العرب ويهاجمونها ويقاتلون بها الابرياء الآمنين في عهد الملك بادى ابي دقن ملك سنار . واستطاع الاستاذ اسماعيل الولى أن يخضع بسطوته بعض جبال النوبه وغير هذين من رجال الفقه والدين وما عهد المهدية عنا ببعيد . والغريب ان نجد السودانيين ينتقصون الفقهاء ومعلمى الصبية فى حين يحفظون لهم في قلوبهم خير مكان وتبدو هذه المعاملة متناقضة ولكن الواقع انهم يميزون بين الرجولة والدين ويجعلون لكل منهما وقته فلا يحسن مثلا في أيام المعارك أن يكون الانسان في وقار الفقهاء وانكماشهم وبطء حركتهم . على انا لا ننكر ان بعض الفقهاء ومعلمي الصبية هم الذين وضعوا بنفوسهم فى طريق الزراية والتحقير بما يتعملون من وقار وبطء حتى في أوقات الشدة والعنف وإظهار القوة والرجولة

في الشفاعة والاسترحام

(٨)

وبقدر ما يوفق الشاعر فى التحريض يوفق فى الشفاعة ، وبقدر ما يجيد في المدح يجيـد في الهجاء أيضاً . فالذى يجيد شيئاً بعينه يميز تماماً نقيضه ويعرف كيف يكون مأتاه اليه وكيف يكون مخرجه منه . وأنت اذا عرفت المسـاوىء كنت اعرف بالمحاسن واذا اجـدت الاستثارة والتحريض كنت أجود للتهدئة والتسكين . ولكل نفس وجهان من الخير والشر وفيها استعدادان لاتيان هذا او ذاك . ومن يشفع تحت تأثيرك عليه قدير ان ينتقم تحت تاثير غيرك ان قدر لتحريضه أن يسبق شفاعتك او لبيانه ان يعلو بيانك وكل هذا شهادة للـكلام بقوة الأثر واعتراف له بسمو المنزلة وبعد الخطر في خلق الخير او الشر . والامثلة على هذا كثيرة لا تحصى . فحينما غضب خليفة المهدى على الشيخ عماره محمد حمد أبى سن استدعاه إلى امدرمان مهيئاً له حتفه الذي لا محيد عنه فجاء وجاء معه الحردلو الشاعر اللسن . وعند ما مثل عماره امام الخليفة وهو مقتنع بأن لا مناص من ان يساق الى الحفرة من موقفه هذا وكذلك كل الحاضرين يؤكدون انه هالك ما في هلـكته شك وثب الحردلو واقفاً والقلوب آنئذ واجفة والجباه مطرقة والانفاس الواجفة تعمر المجلس والصمت الرهيب يسود المـكان فبدد بصوته الجهير سكون الديوان ومزق بعقيرته الداوية رهبة الموقف وهو يقول موجهاً الحديث للخليفة مستدراً عطفه على عماره مستشفعاً له عنده :—

من قومة الجهل ولداً بميز عومه   وحفلات اللبوس فيهن بغزر كومه
خليفة المنتظر عماره أغفـر لومه   كبش ضحيه جاك والليـله آخر يومه

* * *

من قومة الجهـل يركب على المتشابى   وحفـلات اللبوس فيهن بعزل النابى
خليفة المنتظر عمـاره جاك ما مابى   طالبك بالرسول تقول له من أصحابى

يقول ان الخليفة منذ نعومة أظفاره يعرف ما ذا يأتي وما ذا يترك وقد طبع على الفروسية منذ الصغر حتى إنه ليحرص دائماً على ان يجعل نصيبه من الخيل أوفر نصيب ثم يلتفت لغرضه قائلا للخليفة أضرع اليك ان تغفر لعماره ذنبه فانه لا حيلة له وقد وقع في قبضتك وانما هو الآن خروف ضحية هذا آخر أيامه فان رأيت ان تعفو عنه فعلت . ثم يعود الى مدح الخليفة مرة أخرى فيقول انه منذ نعومة اظفاره أيضاً يركب على المهر اللعوب والفرس المتطاول وانه يتخير من الخيل أجودها لما طبع عليه من الشجاعة وتعود من حب الحروب ويلتفت فجأة الى غرضه فى المرة الثانية قائلا للخليفة لقـد

جاء إليك عمارة ولم يرفض فناشدك الرسول ان تقول له انك من اصحابي . . !

وما عسى ليت شعري يكون الحردلو حتى يتقدم الى أمر شفاعة العظماء فيه على جلالهم مردودة، سفارة الكبراء من أجله على عظمتهم غير مضمونة النجح، ولكن هو الشعر وسحر الشعر يذلل الصعب يهون، ويضرب العقدة فتنحل، ويمس الصخرة فتنفجر، ويحايل المستحيل فيقع، اذ أمكن الحردلو أن نضح موجدة الخليفة بذنوب بارد من سحره، ويلين عسرته بطلى رائق من شعره فلم يتردد الخليفة أن ال مجيباً على كلمة الحردلو الأخيرة متجهاً بكل جسمه الى عمارة « انك من اصحابي وعفوت عنك » التفت للحردلو فشكره لمدحه واجازه عليه . وفي هذا كل الفخر له اذ تشفع في امر جليل كهذا فلم يرد الخليفة شفاعته وقديماً كان الشعراء يفاخرون بان لشفاعتهم مكانتها عند الملوك والامراء قال البحترى :—

ان أبق أو اهلك فقد نلت التي ... ملأت صدور أقاربي وعداتي

وغنيت ندمان الخلائف نابها ... ذكرى وناعمة بهم نشواتي

وشفعت فى الأمر الجليل لديهم ... بعد الجليل فانجحوا طلباتي

وصنعت فى العرب الصنائع عندهم ... من رفد طلاب وفك عنات

على ان من اتيح له ان يعرف من كثب من هو الخليفة عرف كيف يقدر نجاح الحردلو فى شفاعته لعمارة عنده . !

ولقد رأيت ما كان من موقفه إزاء حادثة الاشراف وافتئاتهم على خليفة المهدي وتدبيرهم تلك المؤامرة وتصويبهم عليه الطلق النارى الذى لم يصبه وهو فى الجامع ورأيت ما كان من مدحه الخليفة وانصاره وتندره برؤس الفتنة وهزئه بهم وان كان الغموض أغلب على موقفه والمجاملة واضحة فيه والرهبة متمكنة منه وقد طوى فيه شيئاً يدل على ان فشل المؤامرة لم يرضه . وهاهو يشفع في هؤلاء المتؤامرين وقد أقصاهم الخليفة وتمكن منهم مستميحاً اياه العفو طالباً اليه ان يتجمل بالثبات والصبر :—

فوق رغد وفوق محل في البايه ما بتمحن ... فراج كرب الهم القبايله بوحن

وقت حسناتك السيتهن ما صحن ... خير أيوب بتتقل به الليالى ان شحن

والغنى سواء أنت يا مولاي في أيام الخوف والأمن واوقات الشدة والرخاء متبصر لا تضل، مفكر لا تضيق، خبير لا تعرف الحيرة ولا الضعف أمام ما يجد ويحدث ولقد طالما فرجت من الكرب وأزلت من الهموم ما رزحت تحته قبائل لو لم تكن لها أنت لقضى عليها . واذا لم تفد كل حسناتك

التي عملتها فان في ما نقل لنا من خبر سيدنا أيوب ما يجمل بك أن تتذرع به في لقاء صروف الدهر وحدثانه . وأية مقدرة هذه على الاساليب الشعرية في قوله « خبر أيوب بتنقل به الليالى ان شحن » . وتفسيره الدقيق ان الليالى ان شح صبرها وخف ثباتها فان في خبر أيوب ما تنقل به كفتها ويرجح به عندها جانب الصبر . وعقيدة الصبر عقيدة تركزت فى نفس الحردلو وذهبت مذاهب شتى فى شعره فهو يشير به للخليفة ويشير به لغيره ويحمل عليه نفسه ويرتأى فيه آراء كثيرة ويرتب عليه فوائد ونتائج وربما كان من الخير ان نسوقها هنا استطراداً في الحديث :—

شن بسوى لك الدايز يعيقك امسك له المتيكى وارخي له ريقك

عقبان الصبر في اتنين يعيضك يا جاب لك لقا ويا عاق رفيقك

وكقوله :—

الزول ان كظم غيظه وعليه اجلد ووسع صدره عن وقع البلا ما تبلد

صبر أيوب صحيح بيه الليالى بتشهد ومعلوم الصبر منه الكمال بتولد

وما ورد في الشفاعة والاستعطاف كثير يتعذر حصره في الشعر القومى سيما ما كان منه فى عهد المهدية لما يسود اخلاطها يومئذ من حب الايقاع ونزعة الاضرار بالغير مما جعل للشفاعة والشفعاء ميداناً فسيحاً يظهرون فيه كلما ظهر في سماء المهدية ما ينبيء عن أن انتقاما يدبر لعظيم او جريمة تصنع لاحد .

وقد ورد فى الشعر العربي كثير من شفاعات الشعراء فى الجاهلية والاسلام وخاصة في عهد الدولة العباسية وعهد ملوك الطوائف . وخير ما رأينا من هذا قصيدة المتنبي يشفع فيها لبني كلاب عند سيف الدولة وقد تمردوا فاغار عليهم وسبى نساءهم واطفالهم جاء فيها :—

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجانى عتاب

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العقاب



فى المدح

(٩)

ويضيق هذا الباب فى الادب السودانى القومى على فرط اتساعه في الآداب الاخرى حتى لا يكاد يسع اكثر من بضع خلال بمعنى ان الصفات التي تستوجب المدح عندهم محصورة في دائرة البطولة والكرم والمروءة وما الى ذلك مما لا يعدو ان يكون هو هذا بعينه ، وتلك هى الصفات التي يعبدها فتى البادية ويكبرها رجل القرية لاتصالها الوثيق بحياة الفطرة القائمة على أساس من التضحية والحب والاخلاص

وما ترى من خـلة هم اكثر تمدحاً بها وتمجيداً لاهلها من هذه البطولة المستميتة والمروءة المخلصه والسماحة الواهبة ، واذا كانوا يحسون بضرورة كل أولئك لهم فانهم من غير شك مقدرون فى البطل معبودهم القوى الشجاع وفي الكريم صديقهم البر العاطف وفي ذي المروءة غوثهم البطل ومنقذهم الكريم ، والمدح عندهم قيمته فلا يطوقون به جيد كل عابر ولا ينحلونه من الناس من هم منه براء ، بل لقد يعرفون انهم محاسبون عليه مسؤولون عنه متى جاملوا فيـه وساوموا به مساومة السلع . ولهذا كان الممدحون في كل عصر أفراداً معلومين توجه الى اعتابهم وحدها قصائد المدح فيتسقطها الناس ويحفظها الرواة ويتغنى بها المغنون اذ يكون اعترافهم بعظمة هؤلاء مقنعاً لهم بصحة ما يمدحهم به المادحون ولكي تروج القصيدة وتنفق سوقها يلزم ان تكون فى مدح عظيم قوى الحياة في البلد والا فليست بشيء مهما افرغ فيها الشاعر من اسرار البيان القومي وما تنشب ان تمضي بها الريح ويعصف بها الاعصار المستمر . وابغض شيء الى عرب السودان الكذب والمداجاة والمواربة والنفاق والغش فلا يمدحون لجاه ولا منصب الا اذا كان وراء هذا الجاه والمنصب ما يدعو الى المدح من كريم الخصال ومجيد الفعال . والتكسب بالمدح معروف لديهم ولكنه نادر ، والمتكسبون به هم افراد قليلون من سليطي الالسنة الذين يعتمدون عليها غالباً في الاستفادة اكثر من اعتمادهم على مدائحهم المزجاة . وليس ادل على صدق المادحين واخلاصهم من ان يجيء وحيهم مجرد تعبير عن الشعور وافصاح عن التمجيد للعظمة والبطولة غير مغرضين فيـه ويختص الملوك والسلاطين بشعراء ومغنين يلازمونهم في اكثر الاوقات ويرتجلون لهم المدائح يسجلون بهـا أعمالهم ويشيدون فيها بفضلهم ويصورون بها قوتهم وخطرهم ويندّدون بها على اعدائهم ويتحدون بها منافسيهم . ولشاعر الملك أو مغنيه مكانة تستمد خطرها من جلال الملك ونفوذها من عظمة السلطنة ويكون دائماً من آثر أخصائه إليه وأحبهم عنده واكرمهم عليه . وقسط غير قليل من هذه القصائد الباقية هي قصائد ملوكية لشعراء ملوكيين .

قلنا ان قصائد المدح تكاد كلها تنحصر في التنويه ببضع خلال هي فى مجموعتها « البطولة » لا غيرها فالكريم بطل لانه استطاع أن يقهر في نفسه عوامل الشح ويدفع عنها الجبن المادى بما يسديه للناس من نفع وما يقاسمهم من رزقه ويمدحون الولي الزاهد لانه بطل تغلب على نفسه وانتصر على رغباتها واهوائها وخلص بها من أوضار الارض وأدران الحيوانية ولأنهم يرجون منه ان يفتح لهم باباً الى السماء واكبر فراغ من ميدان المدائح يشغله مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومدح آله واصحابه واهم ما يعنون به أيضاً حتى في هذا الجانب هو البطولة يشيدون بها فى شخص النبى واصحابه الكرام . ولو تسمعت الى قصيدة تنشد من هذا الضرب ورأيت كيف تثير الحماس وتضرم الشاعر لا يقنت ان للبطولة عند عرب السودان المكانة الاولى والأخيرة فى تخليد الاشخاص ولو رأيت ما ذا يفعل اسم «علي الكرار» كرم الله وجهه فى دمائهم لرأيت عجباً من عبادة البطولة في اقوياء التاريخ

* * *

قال رجل يمدح الملك نمر بعد حرقه سمو اسماعيل باشا :—

الليله النمر اصبح حديثه ملوح وقارحه من لقاء الخيل ما شوح
سيطك لي مصر شالو المسافر روح بيك اطمأنت المعزة الجلادهن فوح

* * *

سموك النمر فوق النموره مشيت حرقتك سمائمك لا من انحميت
في العجم والعرب نظيرك قط ما رأيت دبك الخيل يفز من حسك ان قحيت

* * *

الليله النمر اصبح يلاسب فرعه وفوق كفه اليمين مكتوبه قولة انفرعوا
من واديك يطير النمر يروح بمرعه بى رده القريب منع الرشايده يرعوا

فانظر الى البيت الاول تستشعر رهبة الموقف في قوله « اصبح حديثه ملوح » بعد وقوع الحادث الرهيب اذ ان الظرف يقتضى الجد والحزم وبعد التفكير ويقتضي ان يحتفظ الملك في دخيلته بخططه وتدابيره وألا يطلع عليها قومه بل ينبغى ان يلوح لهم بظلها وأن يوهمهم بتلويحه أنها حكيمة حازمة وبهذا يأمن شر المعارضة وتضارب الآراء والخطط ثم انظر الى حسن الالتفات فى قوله :—

سيطك لي مصر شالو المسافر روح بيك اطمأنت المعزة الجلادهن فوح

واذا كان المقتول هو سمو اسماعيل باشا فبديهى ان اسم الملك نمر سيدوي فى أرجاء مصر ولكن ليبد

الحفائظ عليه ويحرك الضغائن نحوه ويستجلب الحقد و الوجدة والغيظ منه وكل هذا لا يعنيهم بقدر ما يهمهم ان يأمنوا على نسائهم شر ما أريد بهن من سوء وأن تطمئن أولئك النسوة والعذارى العطرات الأردان الطيبات الرائحة بعد ما ساورهن من خوف وقلق

واسم الممدوح « النمر » ولكنه شأى النمور وابتزها بعمله هذا الجرىء واقدامه هذا المدهش . ولقد تحرق من سمه كما يتحرق الافعوان وضاق بقوته حتى ضحى اي ظهر واستهدف فدل بهذا على ان لا نظير له فى عرب ولا عجم . وهو مهيب رهيب يخافه كل شيء حتى ان الخيل لتفزع وتجرى هرباً من دونه ان سعل لما في سعاله من ارعاد وقوة . والنمر وقد فعل ما فعل واحدث ما احدث ، أصبح محساً موقناً بأن شيئاً لا بد واقع فهو يتهيأ ويتحفز ويستعد وذلك هو معنى قوله « يلاعب فرعه » اذ يشير الى حركة التهيأ للوثبة من جانب النمر الذي كتب على يمنى كفيه قول « احذروا منه » والقطعة كما ترى بليغة فى لغتها واسلوبها القومى دقيقة في الاحاطه برهبة الحادث وموقف الملك ازاءه وموقفه ازاء قومه . ومدحه شاعر آخر بقوله :—

الليله النمر اصبحن خيله بصهان من كد العلوق حفرن قلوبهن وضهلن
دايرات مكبس الضحى الدميه بهان وعارفات رنة المنه القبائل سهرن

* * *

الليله النمر عينه الولا بترمشي شايل الدكرى الخشما بشابه التمشي
طارى ام زين حضرة فريك الشمسي قايد الخيل على حس الدناقر يمشي

وهو الى الاغراء والتحميس اقرب منه الى المدح . ويعجبني فيه حديثه عن خيل الملك وشدة شوقها الى الحرب شوقاً بغض اليها العلف الذى حفر قلوبها — نعم حفر قلوبها وهذا تعبير جميل وتخيل حسن — من فرط ما اخلدت له وانقطعت اليه . ولا شيء احب اليها الآن من ملحمة الضحى ذات الدم المسكوب الهتان . وما هاج عليها هذه الذكريات الا أنها سمعت صوت الملك الذي أسهر القبائل رهبة منه وفزعاً من سطاه والنمر هذا الذي لا تخفق اهدابه من خوف يحمل اليوم في يده السيف الدكرى القاطع الغرار، الماضي الحد تدفع به الى الحرب ذكرى حبيبته السمراء قائداً الخيل سائراً بها على توقيع الطبل وموسيق القتال

وقال احدهم يمدح النور عنقره بعد واقعة فلابات

من قام صغير ما جاب كمة ضالمه وتبسم ضحك وقت الجبش جات طالعه
وقت الشوف بشوف والعقول مخالعه صدرك زحمة النار أم هبوباً قالعه

يصفه بالعقل والثبات والاقدام وأنه من لدن كان طفلا لم يؤثر الناس منه كلمة ظالمة يأخذونها عليه وانه مستخف بالمهالك حتى لقد تبسم يوم طلعت عليهم جيوش الحبشة في عديدها وعددها . وهو بعد اذا التقى الجيشان وتخلعت القلوب وذهلت العقول مقدام متقحم حتى لتكاد تحسب صدره مما يعلو ويهبط مزحم النار التي تضرمها الرياح وتذكيها العواصف . وعينا لا أجمل من هذا أبداً فى تصوير حالة البطل المغوار من الحركة الدائمة يدفع بها جاهداً بين الصفوف مهمها بصدره منفعلا لا يهدأ ثائراً لا يقر . وبعد عودة الزبير باشا من دار فور مدحه رجل يدعى كنانا من سكان بلدة الصبابي مشبها اياه ببشير ود عقيد المسلماني فلم يرق فى نظر ابي شورة هذا التشبيه فقال يعاتب كنانا ويمدح الزبير

يعجبك وقتين ينهم للعبيـد	مطلوق يمين في الجود والرأى سديد
اخطـأت ياكنان خطـأ شديد	كيفن تقيس حدباى بي ود عقيد
ما فيـه قفلات خوف ما هو البليد	مضروع عشارى تمام باعين يزيد
كل يوم بيفتح دار فتحاً جديد	مثل الامـير خالد بن الوليـد

وبشير ود عقيد هذا هو الذي ثارت علينا من جرائه قبل ايام ثائرة بعض الكتاب لانا نقول عنه انه « شيخ » لا اكثر وهم يقولون عنه انه « ملك » لا أقل . ولأنا أوردنا بيتين مما يحفظ التاريخ في ذكر استبداده ونسيان ماضيه . ونحن — والحمد لله — لا نبطن لبشير ود عقيد هذا بغضاً ولا عداوة حتى نتهم بالتحامل عليه ولكننا كنا نقف ازاءه موقف المؤرخ يتلقى الحوداث فيسجلها لا مغرضاً فيها ولا متزيداً . . وألا فليقرأ الآن معي أولئك الذين ينكرون علينا ما ذكرنا لبشير مما سجل له التاريخ ليقرؤا معى قول هذا الشاعر وليقولوا لم خطأ كنانا على تشبيهه للزبير باشا بود عقيد ولم انكر عليه ذلك ان لم يكن ثمة ما يدعو الى هذا الانكار . وما ابعد الفرق فى الواقع بين بشير هذا وبين الزبير باشا رحمت لو لا غباوة الشاعر وجهله بالعلاقة ووجوه الشبه

وفى هذه الايام الاخيرة وقد تلقحت أفكار بعض الشعراء القوميين بلقاح العصر وأثرت فيهم هذه اليقظة العالمية التي انتظمت العالم عن بكرة أبيه دخلت في المدح عناصر أخرى جديدة وتعابير أخرى جديدة وافكار أخرى جديدة كذلك وبدأنا نستعرض أدباً قومياً يحاول ان يقرب الشقة بينه وبين الادب العربي بما يستعين به من الكلمات الفصحى . ولقد كنا نقدر له ان يظهر ملفقاً متنافراً غير مستقيم فى الذوق ولا منسجم مع الحس ولكن « الجيد » مما قرأنا منه يكفي في الاقناع بأن بعضه ليس كما كنا نقدر له ان يكون . وهذه قصيدة من نظم الشاعر القومى الحديث سيد افندي عبد العزيز في مدح صاحب السيادة الحسيب النسيب السير السيد عبد الرحمن المهدي :—

وحيد النيـل يا نيل البعاد وقراب رجل الموقفين الامة والمحراب

* * *

امام الدين يا من بالجلاله مهاب بنور الله لا بالجبره والارهاب
رحم بيك الوجود الراحم الوهاب والقاصد خلافك جارى خلف رهاب

* * *

يا نور اليقين الماك برق خلاب نصير الحق بحق والحق دوام غلاب
أبا الفـلاح أبا العمال أبا الطـلاب أبا الاصلاح وبابك قبـلة الطلاب

* * *

يوم حارن عقول العجم والاعراب واهل الراي بقت في موقف استغراب
مين غيرك تقدم عالج الاضراب والـكايه لولاك كان عماره خراب

* * *

قومت المدارس العليا والكتاب وكم قومت مسجد فيه يتلي كتاب
البلغاء والشعراء والكتاب مهما قالوا فيك ما تجاوزوا الاعتاب

* * *

مجاعة سنجه يا ما حيرت الباب ومين غيرك برز قال لي خطوبها حباب
ربنا لي رحمته اختارك الاسباب فديت ارواح امم اطفال وشيب وشباب

* * *

تعجب لي مآثرك ايما اعجاب كشفت بعين بصيره عن الفضيله حجاب
بيت الدين وعند الله دعاك مجاب وكم ولدت قريحتك وخلفت أنجاب

* * *

طالع السعد طالع اسمك الماغاب في برج الكمال ما مرت الاحقاب
ذو الاسما العظيمه وأعظم الالقاب صدور منك اشاره بيخضعو لها رقاب

* * *

صادق قولك الفاصل لكل خطاب ذو القول الصواب به كل خذو حاب

سقيت العلم حتى زرعه أثمر وطاب — يا اللابس ثياب التقوى خير ثياب
رضا الرحمن مناك فى حال ذهاب واياب — يا أمل الشيبه وملجأ الشباب

***

« سيد » لو يزيد وزن الشعر أبواب — وينطق عن حكم حاضر سؤال وجواب
لي قدرك قليل وحق النبى الاواب — مهما قلت فيك الناس يقولوا صواب

وهى من القصائد التي هيىء لها الانتشار وغني بتلحينها المغنون وأقبل عليها الشعب يحفظها ويتذاكرها ولا حد لشغف الصبيان بها ينشدونها في الطرقات وفى المجامع ويرفعون بها اصواتهم العذبة الرقيقة وهم غادون أو رائحون وغنى بها الشباب من سواد الامة فوقعوها على نغم اخاذ جميل وحببوها الى الناس حتى لاصبحت هي وكثير غيرها من امداح « السيد الاغر » ينشدها افراد مخصوصون في الاعراس والمحافل والمجتمعات ومع هذا فان عذوبة الفاظها وسحر موسيقاها وجمال معانيها جعل لها مكانها الخاص في نفوس الناس وهى تذكر بعض ما ثر السيد فى مواقف شتى كحمله طلبة الكلية على العدول عن الاضراب والرجوع الى دروسهم وهو اضراب بدأ خطيراً من بدئه وحاول كثيرون من رجال الأمة معالجته فلم يفلحوا فيه وكمجاعة سنجة الساحقة التي احدثت بها اضراراً لا تحصى فكان من كرم السيد أن تبرع لاهلها بما يدهش ودعي المحسنين الى التبرع لها حتي فرج عن اهلها ما حاق بهم من ضائقه وكعنايته بالمدارس ومد يد المعونة اليها وتشييد المساجد واعانته لطلبة العلم وغير ذلك مما لو حاول الشاعر حصره لحاول عبثاً ولما استطاع ان يلم منه الا بالنذر اليسير

ونحن نرى من الخير لهؤلاء الشعراء اذا مدحوا أحداً ان لا ينتقصوا غيره بحال من الاحوال



فى الهجاء

(١٠)

واذا كانت المساوى، في كل صقع وفي كل بقعة وفى كل مجتمع وكل أمة بل فى الارض كلها اكثر من المحاسن فطبعي دائماً ان يكون الهجاء اكثر من المدح وذلك هو بعينه ما نجده في أدبنا القومى. نجد أن الهجاء على ايجاعه واقذاعه وسلاطته يملأ فراغاً من صفحات التاريخ السودانى. وعلة ذلك أنهم يهجون على الكبيرة والصغيرة وربما كان أكثر هذا الهجاء في أمور تافهة لا غرض من الهجاء فيها الا التندر وخلق النكتة وسوق المثل وهذا الضرب أغلب على هذا الباب. ولئن كانوا كما عرفنا فى الفصل الماضي يقدرون البطولة فهم يكرهون الجبان ويوجهون هجاء لا لين فيه ولا هوادة ويمقتون البخيل والبطيء والمتخلف عن النجدة وكل ذي خلة لايريدونها. وهم يستعينون على الهجاء أحياناً بما يشتهر عند قوم من اعتقاد او كلمة او تعبير او عادة او غير ذلك كما قال مغني دار حامد مخاطباً الشيخ أمبدى أبا كندي زعيم قبيلة دار حامد وقد خاصمه بعض الدناقله في أرض الخيران غرب باره مشيراً في معرض الهجاء الى محصولهم الزراعى والى اعتقادهم العجيب في ان الطير تنسج الحرير :—

يا لارقط العاصر راسه على شدره إت ما لقيت تخاصم غيل قبيلة البصله

كرهم من هان وديهم لي دار أبوهم الما بتصب فيا مطره

مكان بتر الطير وبتطحن البقره

... الشيخ امبدى بالنمر ويعيب عليه أن يخاصم هؤلاء الدناقله « قبيلة البصله » لان مزارعهم فى باره تنتج البصل بكثرة ويشير عليه أن يطردهم من بلده الى دار أبيهم التي لا يجودها مطر وهي دنقلا

وحينما هزم الشيخ الهدى في واقعة الكرد التي نشبت بين انصار المهدية وجيش الحكومة بقيادة مصطفى باشا ياور قال أحد شعراء الشايقية يهجو الشيخ الهدى وقد كان هو قاضياً لفراره من تلك الموقعة :—

الله من رمتوناً في الكرد المنه قاضى الاسلام شرد

سبق الجمال أمات غرد وجاب خبر الشوم فى البلد

والرمتون هذا نوع من السلاح القديم يقول الشاعر انه رمتون عجيب ذلك الذى شرد منه قاضي الاسلام ناجياً بنفسه حتى سبق الجمال السريعة وجاء بالخبر المشؤوم في البلد قبل ان يجيء به

الركبان . ولما تمرد المك نمر على حكومة الترك وانشق عليها ، ظاهرها الشيخ بشير ود عقيد السلمابي من بلدة أم الطيور فهجاه احد الجعليين بقوله :—

بشير ود عقيد نسى القديم الحرسه   دفارة ابوه وسوفت كلابه ومرسه
زاحوا ناس أشعب جرو اللبوه البكر فى مرسه   موجعن العوج ركبة منور وجرسه

وهما البيتان اللذان اشرنا اليهما فى الفصل الماضي وذكرنا من قصتهما معنا ما كان ينبغي أن يوجه الى التاريخ وحده من لوم —!

وقال مغنى دار حامد واسمه ساق اربت وقد كان مكرماً محظياً عند بعض فروع القبيلة كالمعاقلة والعريفية وغير مكرم عند فرع الهبابين الذين كانت توجد فيهم الرياسة وذلك لتعاظمهم وكبريائهم عليه . . — قال يهجوهم :—

معاقلتي وعريفتي البعرفو الـتر   كما قت سلام اكلى وشرابى حضر
كان للهبابين كلاب ناقصين قولة جر   وحات أمى وحات أبوي بحر
كلامى ما قطيعه ديل طعن أمكريشه قبل

وجر هذه كلمة يزجر بها الكلب . وفي قوله البعرفو اتر كنايه جيلة واتر هو النزل يقصد أنهم يعرفون المكارم فيأتونها من بابها وهو يجهر بهذا الحديث فى هجاء الهبابين ومدح غيرهم ويقول انه لا يقوله سراً وانما يجاهرهم به رأساً برأس كطعنة الرمح

وقد حدث أن الشيخ أمبدي أبا كندى زعيم دار حامد اكثر غاراته على قبيلة حمر وكان ذلك بتحريض المغنى « قريب » فحنق عليه زعيم حمر واعتزم أن يقتله فارسل اليه ليحضر ووعده اذا جاء أن يعطيه ابلا ويصله بصلات كثيرة ولكن قريب ادرك هذه المكيدة المكشوفة ورفض قائلا :—

شن بودني لي ناساً تجدهم عطشان   في يميني العاديك وفى شمالي البشيري ملان
وحداي القاتيه كان بقيت هيمان   قولوا لي ود عديله الخادم أم دلقان
عماه ساق اربت مالو كان اعطاه ظعن وركب ليه حصان
ما عيل برمة مربسته وكاسه الملان ضبان

ويظهر ان هذا الشعر قيل في أيام وجود ساق اربت عند زعيم قبيلة حمر والعاديك والبشيرى اسما خورين والقاتية معدن الملح وعديله هي أم زعيم حمر يقول ان ما وعد ان يفعله معي ان كان حقاً لم لم يفعله مع ساق اربت وهو من سوء الحال الى الحد الذي لا يشجع أحداً على الذهاب اليه « ما عيل

برمة مربسته وكاسه الملان ضبان » أي هل وجد عنده من الاكرام الا هذا حتى اجيب انا دعوته . . .

وحدث ان اغار جماعة من جبال كاجا علي قرية من قرى حمر فنهبوا ابلها من المراعي ولم يكن اذ ذاك بالقرية عدا رجل واحد يدعى فضيل فجبن واحجم عن اللحاق بهم ورد ما أخذوا من قبيلته فقالت امرأة من عشيرته تهجوه وقد كان هو شاباً وسيما :—

يالتمر القنديلي نظلك لزوم لي شيلي
ان قتلوك في بيت هل بت تموت يافضيلي

التمر القنديلي هو أجود انواع بلح السودان تقول له كنت أحسبك أيها الشاب الوسيم تحمي ذماري وترد عني المكاره ولكنك جبنت حرصاً على الحياة وهذا الحرص ليس بنافعك شيئاً فانك لابد هالك

وقال أحد الجعليين يهجو امرأة اخيه واسمها مستوره :—

يا مستوره البطيئه حركتك ويالطويله المنزوعه بركتك
ما تعرضي وتشيلي درقتك كان معتوقة اجيبي ورقتك

وهو غاية في المجون والايجاع

وضرب آخر من ضروب الهجاء على نحو ما كان ينشب بين الفرزدق وغيره من شعراء العرب نطلع عليه في هذا الادب القومي فنرى فيه التقدار والتحامل العجيب الذي يمهد له السيرورة والانتشار فيكون بمثابة الجرائد تنتقل الى كل الانحاء قشيبة أبداً مقروءة في اليوم وبعده مذكورة كلما انتهى اليها بالسامر الحديث ، أو كلما انقلبت اليها بالندى الذكرى . وما هي بمنسية يدا الدهر ولا مملولة ما طال بها الترداد . وانا لنقرأ الآن ما بين جرير والفرزدق وغيرهما من هجاء فنلتذ ونستمتع به على بعد ما بيننا من دهور وتكون اللذة أتم لو عشنا في عصرهم لان الانسان مشوق بفطرته الى أن يرى ما يشمت له او يعجب منه . واذا كنا نستمتع على بعد المدى بمهاجاة شعراء العرب فبأكثر من هذا ينبغي ان نستمتع بمهاجاة قدماء شعرائنا القوميين ونحرص عليها ونود ان لو عشنا معهم لنكون اكثر استمتاعاً بها وحرصاً عليها وحفظاً لصورها واستيعاباً لروحها ومناسباتها الواضحة والخفية كما يعرف منها معاصروهم تماماً وهم قد شغفوا بهذا الهجاء كثيراً وعلقوا به كثيراً حتى لم يعد عجيباً عندهم أن يسير البيتان والثلاثة من شعر المهاجاة فما تكاد تجد أحداً لا يحفظها مع علمهم احيانا انها ليست وليدة بغض او عداء . واذا كان للهجاء أثره في المجتمع العربي القديم حتى ليذل البيت الواحد قبيلة بأسرها

ويكون لها عار الأبد كبيت جرير في هجاء بني نمير فان اثره فى السودان بليغ ايضاً ولكن لا الى هذا الحد
قال سبدرات وهو شاع الديناني يهجو الجسير وهو جبلابي :—

عبره في البلد المولى خالقكم ركوبكم الحطب والبوص بنادقكم
لدار كردفان برسل فضيحتكم ماكم متنا قطع الله ريحتكم

ثم قال

الجبلاب مراح حاجه ناساً في القبائل عيشتها نساجه
ان مشو للصيد ما شين دجاجه وعن قدح الكسار تجدها هراجه

ثم قال

نحن من مثلنا في جنى عرمان حربتنا مطرقه للفارس الطغيان
ما شفنا يالجسير جدك سعى له حصان وما لبس الدرع ولا شقق الميقان

ونحو هذا من الهجاء المر الذي رد عليه الجسير بأ كثر مرارة منه . فانت ترى الشاعر يعيب على الجسير وقبيلته بعض ما اشتهروا به من الحرف ويتخذ من ذلك مادة لسخريته بهم في قوله « ركوبكم الحطب والبوص بنادقكم » بمعنى ان الناس ان ركبوا الخيل وحملوا السلاح فان هؤلاء الجبلاب يركبون الحطب أى « السنن » ويحملون البوص فى مكان البنادق لما اشتهروا به من عمل الغزل والنسيج . ويهددهم بانه سيرسل فضيحتهم الى اقصى ديار كردفان وينفي بشدة ان يكون امثال هؤلاء الناس منهم ويسأل الله ان يذهب ريحهم ويطهر منهم وجه الارض وهو يصفهم بالفقر وبالوضع ويعود فيطري نفسه وقومه ويزيد في تحقير الجسير وتهوين أمره وكفى بهذا مثلا على مبلغ ايجاع الهجاء في ادبنا القومي

التغـزل (١)

(١١)

والخيال القومي في هذا الباب يستمد اوصافه وتشابيهه غالباً من الادب العربي القديم فالمرأة هي الظبية وهي المهاة وهي القمر . . . وامثال خصر كالخاتم ، وثغر كالدر ، وقوام كقضيب البان وعجز ككثيب الرمل ، وغير ذلك مما نقرأ في الغزل العربي القديم بلا أخيلة شعرائنا القوميين ولكنه لا يمنع من نبوغهم في بعض أوصاف يستمدونها من محيطهم وحده كقول الحردلو :—

البارح حديث الناس بدورو فرقنا   كل مرق كضب عقبان صفينا ورقنا
الدقسه أمشلوخا سته مالكه عشقنا   تمايح متل قصبة مداق الحقنه
المولى الكريم البلجمال خصاها   شقريب الملاين شوفوا كيف رصاها
سلطان الغرام بالتيه على عصاها   شمبانيها ريشة قلبي تب قصاها

ولو نحا نحو اخوانه من الشعراء لوفر على نفسه البحث عن صور الليونة في غير ما الفوا من نحو قضيب البان ولكنه حاول ان يبتكر في التشبيه ويخرج على الوضع السائد والمنهج المطروق من قبله فتم له ما أراد ووفق كل التوفيق في هذا الوصف الذى لو وفق القارىء الى فهمه فى تصوير الليونة لعجب له اشد العجب « تمايح متل قصبة مداق الحقنة » ولو اتيح لك ان تكون مزارعاً يوماً ما لعرفت ما هى قصبة مداق الحقنه وهي التى تنبت في طرف الجدول الزراعى تحت مد وجزر الماء في ارتفاعه اليها وانحساره منها وتكون دائماً غاية في التمايد والليونة وكقوله

المولى الكريم البلجمال خصاها   شقريب الملاين شوفوا كيف رصاها

والشقريب خطوط صفراء دقيقة توجد فى الاجزاء اللينة من جسم المرأه . ورصاها اي صفها . فانظر كيف رمى بفكره الى هذا الغور البعيد حتى لاحظ اشياء قد لا يدور تخيلها بذهن اعمق الشعراء وادقهم واحرصهم على الأحاطة بكل وجوه المحاسن في المرأة . ولهذه القصيدة قصة ليس هذا مكانها . والحردلو هو القائل :—

الغي والحسار ما قلت عقب بطراه   بعد خمسين سنه وشعري البياض عماه
قاعد فاضي بال من الشباب وعناه   الى ان بان جمال زولا عظيم معناه

وكما تجد في الشعر العربى العصرى والقديم وفي الشعراء الرجعي والمجدد تجد فى الشعر القومى أيضاً عصرياً وقديماً ورجعياً ومجدداً ولكننا بالذات نؤثر القديم منه لاشياء اهمها انه كل ما نملك

(١) يخطىء بعض الادباء في أخذهم « الغزل » على معنى النسيب . وهو في اللغة خطأ محض والتغزل هو الاصح

من الادب السوداني الصميم ، ولأنه عامر بالمعاني غير متجوز فيه بالالفاظ فلا تحس فيه الكلفة ولا التلفيق كما تجد في كثير من القصائد الحديثة على ان سوق الادب القديم ما تزال قائمة معقودة لها روادها وانصارها من سكان القرى والعواصم الى اليوم

وللشيخ ابراهيم العبادي على الطريقة القديمة في التغزل :—

اقتبس البدر من آمنه نوره ودارته   الخز والدهب عارض جسيمها نضارته

الدر حين نسب لي فاها شوفوا قدارته   اضحى على الرؤس يحمل ونافذه ارادته

وله على الطريقة الحديثة التي توشك أن تضاف الى القديم لهذا التحول السريع الذي يلازم الشعر في الايام الاخيره :—

الجداول تجرى   فوق خدودك در

والرشمات بقن   بالعشيه خضر

يعمى عيني قبلك   ما نظرت بدر

فيه ليلا حالك   يعلو غصناً ماح

بل لقد أصبح حتى هذا أيضاً قديماً « مخرفاً » فى عرف الخبراء من الهواة والمغنين واصبحنا نسمع أمثال :—

فاق الصباح   قول لى

اهو نورك لاح   خلى

يا خفيف الروح

هو هذا نداك   أم ندى الازهار

وأمثال

آه من جور زمانى   وما بى من نوائب

سهران ليلي طايل   حارس بدرى غايب

و

يا جميل يا جافي بيك طالت آلامي
جد علي برضاك قبال تجور أيامي

* * *

يا جميل يا جافي حالي شرحه كلامي
قصدى طيفه ينور لو كان ينور به ظلامي

وحركة التجديد في الغناء سريعة دوارة لا يستقر معها شيء برغم ان كثيراً منه يسجل على الحاكي وما تمضى ايام عليه حتى يقذفه القوم قذف النواة ويطمحوا الى غيره . والشركات التي تملا الاسطوانات كشركة اديون وبيضافون عرفت هذه الظاهرة من السودانيين فاصبحت تحرص جداً على توزيع الاسطوانات وبيعها حالا بمجال حتى تأمن من شر حركة التجديد . وقليل من الاسطوانات ثبت لها انها صالحة الى مدى سنوات عديدة وان الشعب مقبل عليها فهي لهذا تجدد تسجيلها مرة بعد أخرى . . . واما رأينا عن هذه الاغاني الحديثة المتجددة في كل لحظة وفى كل يوم فهو على اية حال رأي من لا يقرها كلها ولا ينكرها كلها ففيها البديع الحسن وفيها الغث التافه . وان محض تجددها هذا السريع وانصراف الشعب عنها بعد بضعة ايام الى غيرها مما يجد، يتلمس فيه الجمال والرقة والفنون لدليل كاف على أن عدم استقرارها وثباتها ناشىء عن الفساد والتلفيق والتعسف الواضح فى أساليبها والفاظها ومعانيها ، وليس ناشئاً عن سمو فى الاذواق يحتم هذا التقلب ويبرره ولا عن ترقق في العواطف أو توثب فى الافكار لان صور الادب الجميلة التي لم تزور على العاطفة ولم تختلق على القلوب هى أبداً قطعة من القلب الخافق بالحب والنفس العامرة بالجمال ، تكون دائماً اثبت على الزمن من الزمن نفسه ما دامت مفصحة عن حقيقة الاحساس الدائم . واذا كان في ما يتجدد من هذه الاغانى مايفسر عاطفة اويشرح غوامض احساسات المحبين ويحدث عن شتى مشاعر العشاق فيكشف لكل انسان جانباً من نفسه ويسمعه لحنا من خلجات فكره وضربات قلبه لقلنا في ذلك ما يسوغ هذا التجدد السريع واما وقد وجدنا ان اول ما يعوز جديدها هو هذا فان السبب يكون فى أنها لم تركز حتى الساعة على جانب حقيقي من النفس . وفي الفصل التالي ندرس الاغانى الحديثة ونجيء بالمامة عن اطرف ما في الادب القومى الحديث وعن مشاهير شعرائه وملحنيه ؟

الاغاني الحديثـــة

(١٢)

ولا سبيل مطلقاً لتحديد الفروق تحديداً دقيقاً بين القديم والجديد من أغانينا الا اذا تحددت الفوارق بين الحياتين. الحياة قبل مائة سنة لا بل خمسين عاماً وبينها اليوم. وهي الآن بالطبع غيرها بالامس، لقد تبدل كل شيء حتى القلوب التي تحب وحتى الجمال الذى يعشق، ولكن أي الحياتين أقرب الى الفطرة ؟ بهذا يجب أن نقيس، وعلى هذ الطريق يجب أن نذهب لنعاير ونقايس بين الحياتين ثم بالتالى بين الادبين واذا كان ثمة مجال المقايسة وإظهار الفروق فليس هو الا هذا. وبعدئذ تكون صحة الحكم على احداها للاخرى بقدر صحة المقارنة ودقة القياس. ونحن نجعل الفطرة كلا في كل وبخاصة في الشعر وما يتصل بالعواطف التي كلما كانت بعيدة عن كذب الحضارة وخداع بهرجها الزائف كانت أصدق وأنقى بقطع النظر عن أن تكون مهذبة أو غير مهذبة اذ الغرض فقط أن نعرف أي أصحاب الحياتين استطاعوا ان ينقلوا مشاعرهم من غير تزيد ولا تزوير. والادب كله هو الصدق والدقة في نقل أثر العاطفة او الفكر ومتى وفق الاديب الى نقله وعرضه في كلمات هي قطعة من العامل الذي أملاها والمؤثر الذي أوجدها فلقد بلغ غاية التوفيق الذي يطمح اليه الادباء واستوجب منا أن ننظر الى أدبه نظرة احترام وتقدير مهما كان بسيطاً ما دامت هذه البساطة هي الصدق بعينه. والجمال ياصاحبي هو الجمال الا اذا انحط، والقلب هو القلب الا اذا فسد، ومحض دعاوى كاذبة ان تتهم الاقدمين بأنهم لم يعرفوا الجمال لان نظرتهم اليه لم تهذب فيكون هذا القول اصدق على ابناء العصر لان نظرتهم اليه هى التي انحطت بانحطاط المرأة العصرية في نظر الدين. وان كنا نعرف ان المرأة ليست هى كل الجمال لان الكون بأسره جميل يمد الشاعر ويلهم الاديب ولكنا نلحظ فى حديثنا هذا ناحية الغلبة على شعرائنا في فهم الجمال وحصره كله او جله في المرأة

لقد كانت المرأة العربية قبل هذه الايام مثلا عالياً للمرأة التي تعرف قدر أنوثتها فتنزوى بها في ركن سحيق من الحياة الاجتماعية لتلهب الرجل شوقا الى ان يراها او يرى ولو طرف ثوبها او بعضاً مما يتصل بها او تمسه يدها او تنظر اليه بعينها فقط وكان الرجل لهذا لا يحبها وحدها بل يتسع هذا الحب ويتنوع ويتعدى الى أشياء كثيرة ويظهر فى مظاهر شتى .. يحب جارها ويحب خادمها ويحب قطتها ويحب الخارج منها والداخل اليها ويقدس بيتها وتراب بيتها ويقبل جدرانه ويتمسح بها مطوفاً عليها مقبلا مدبراً من حولها وهو يعلم انها ليست هى ولكن الا تكنها فان سراً غامضاً منها يدفق على

كل هذه الاشياء :—

أمر على الديار ديار سلمى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ويود بجدع الانف أن يكون بين يديه شيء منها كخاتمها او قطعة من سيور وخفها او نحو هذا . . لقد كان الحب جنونا ، جنونا محضا وكانت المرأة — ما ادري كيف أصفها — شيئا لا حد لعظمته وسلطانه فتبعث في الرجل الشعور بالحب وتمجيد الجمال وتفجر في نفسه ينبوع الادب الصادق والاحساس المجيد . والمرأة اليوم في الحياة الحاضرة . هذه المرأة المتبذلة الوقاح هي التي سحقت بكفها سلطانها وازالت بيدها عن الرجل الوهم الشريف الذي يملأ عليه فكره وافهمته أن لا سر هناك وان الحياة كلها متاع لا اكثر ففسدت القلوب ومسخت العواطف وابترد الادب وفتر والمحل الا اقله ووضعت بهذا حداً بين الحياة في اغرائها السامي المثير وفي تبذلها الوضيع المنحط !

تلك هي ناحية من نواحي الفروق الهائلة بين الحياتين آثرنا ذكرها وحدها لانها أهم تكأة للادب واخصب مستمد لحديثه وقديمه وهي ناحية الجمال

فصورة المرأة في التغزل الحديث شبح باهت لا قوة فيه ولا وضوح بما يتعملون لها من النعوت التي لا صلة لها مطلقا بالمرأة او الجمال ، ذلك لان ضعف سلطان المرأة الذي ذكرنا فسح مجالا واسعا لعناصر كثيرة تحاول ان تشترك كلها في خلق امرأة من نوع غريب ولا ينتج من هذا الا تلافيق اصدق ما تكون في الدلالة على كذب اصحابها وانخداعهم غالبا بلمعان بعض الجمل والالفاظ التي ترغمهم على ان يثبتوها غير حاسبين للحقيقة او شبهها وزنا ما ، وشعبنا الذي ينخدع بالموسيقى لا يمكن ان نتهمه بفقدان النظرة الفاحصة ولكنا نقول انه ماخوذ فيما يسمع بما توقع عليه هذه القصائد غالبا من النغمات الشجية التي هي في الحق عصير من الدم السوداني العربي ولو بحثنا في اكثرها لوجدنا صلة قوية بينها وبين النغمات العربية القديمة . وكان اظهر ما في النغمة السودانية قبل هذا انها ترسل ارسالا في بيت الشعر وتعمل الموسيقى عملها في آخر كل شطر من البيت وذلك كالدوبيت مثلا وغيره

وتلك العناصر التي قلنا انها تحاول ان تشترك في خلق امرأة من نوع غريب وذكرنا انعكاسها بعد الى مسخ لا قوام لها الا في اللفظ البراق هي التي عبثت بالادب العصري ايضا في الشرق كله فاصبح لا هو بالشرقي الخالص ولا الغربي الخالص بل مجرد هواجس ضعيفة خافتة ووسوسة تلم بالافكار المسمومة فيخيل لها أنها شيء قوي مليء بالمعاني ولكنك ان ضربت على كيانها باصبعك لانهتك عن فراغ مظلم . والغناء الحديث تشيع فيه الليونة والاسترخاء والتجوز بالالفاظ والتفريط وعدم الدقة في الوضع . على ان من الواجب في التغزل خاصة ان تفصل الفاظه بقدر معانيه وان تكون معانيه قطعة صادقة من الاحساس

بفرحة الجمال او الم الحب ويعجبني من سيد افندي عبد العزيز توفر هذه الدقة فيه ويظهر ذلك واضحاً في قصيدته « يا أنة المجروح » . فاذا عرفت أن « انة » هذه هي امرأة هكذا تسمى عرفت جمال التورية ودقة الاستعانة بها على ايراد هذا المعنى العذب . والقصيدة من اشهر اغنائي الرائع نعرضها فيما يلي :ـــ

يا أنة المجروح بالروح حيانك روح … الحب فيك يا جميل معنى الجمال مشروح

* * *

لي الحب زناد في الجوف زي الزناد مقدوح … منه الجبابره تابن لي صوت بلابل الدوح
وتصاحب انسمات تنقل معاها تدوح … من نعمة الاشواق ومحاسن الممدوح

* * *

مصريه فى السودان بى حب ليك ابوح … يا ضب جناين النيل انمى منه صبوح
وانشد فؤادي الضال بين الرياض مذبوح … وأرى الملال في ظلال تلك الخميلة يلوح

* * *

الناس تحب رؤياك بي الخاطر المطروح … يا ملفت الانظار يا بسمة المفروح
وانا اهدي ليك الحب حب من فؤاد مجروح … حب الشحيح لي المال .. حب الجبان لي الروح

* * *

أنا لو ضمنت رضاك اكون سعيد ممنوح … يا من تسر رؤياك تفرح تنسى النوح
تكسي النهار بي جمال خديك جمال ووضوح … منه الغزالة تقيف فى موقف المفضوح

* * *

من الوله لي لقاك دمعي الغزير مسفوح … ناقم على الايام مع أنه طبعي صفوح
أنا والخيال في جدال وانت بى نداك منفوح … كل ما النسيم بغناك زي الحديقة تفوح

* * *

ناثر كحيل نعسان انسان رقيق وجموح … ساحر العيون بى جمال فى سواك ما ملموح
ان كان تميس بنميس وان كان تموح بنموح … عدل الطبيعة جمل جور الحبيب مسموح

ويجب ان نلفت الانظار الى ان الجمال السودانى لا دخل له أبداً في ايحاء هذه القصيدة وكذلك كثير غيرها مما يجعلنا نعود فنصل حديثنا بما ذكرنا أولا ونضيف اليه أن المرأة السودانية تنزل اليوم غير منزلتها الاولى في نفوس الشعراء لما يرون من الجمال المتبذل السافر الذى فتنهم عنها وألهاهم بغيرها ومهما يكن الأمر فالقصيدة مثل عال للشعر الغنائي الممتع . ومن المعروفين بالدقة والتجويد عبيد افندى عبد الرحمن وقصيدته « آه من جور زمانى » هى من غرر شعرنا الغنائي :—

آه من جور زماني وما بي من نوائب   سهران ليلى طايل حارس بدرى غايب

* * *

في آمالي سابح وفى آلامى راسب   أنت الساهى لاهى ومالك الحاس حاسب
هل يمكن تجامل يا الحاذر محاسب   وترحم من صدودك بي القدر الناسب

* * *

كم قاسيت شدائد وكم عانيت متاعب   شدد عزمي حبك لى صراع الصاعب
لا شيء غير نورك راهب لى راهب   قاتل متجاهل بلما إنت لاعب

* * *

ياظبي المسالمة السارح عقلي غائب   سالب نوم عيوني وسائب قلبي ذائب
ذاهب لى الدراسة وبين أترابه آيب   سافر بدره سادل ليلين في ذوائب

* * *

هوي يا الخالي نايم طرفك وطرفي واجب   انت اللي مجنن وأنت اللي عاجب
لو أشكر جمالك لا شكراً لواجب   أبلج أفلج أدعج أزج مقرون حواجب

* * *

كيف أوصف محاسنك ولحظك لى محارب   ما استوفيت ثنايالك بالوصف المقارب
شفتك مرة غافل نسمة جاني ضارب   أصفر أخضر أحمر زى شفق المغارب

* * *

عاذل لى مؤنب حاسد صدره لاهب   عامل نفسه عاشق سارق الحب وناهب
ادراك المدارك مقدار المواهب   شرع الحب تفرع وحب الناس مذاهب

وللشاعر القومى مصطفى افندي بطران طريقة حسنة فى النظم ولكنه لا يراعي الدقة كثيراً في الملاءمة بين الصور الفنية في القصيدة. وقصيدته « أطرد الاحلام يا جميل » لا بأس بها لولا ما ستقف عليه فيها من تنافر الصور :—

أطرد الاحلام ياجميل اصحى قوم نقضى الليل في ضفاف النيل ننشد الفسحة

* * *

شوف جمال الليل ياجميل اصحى واسمع البلبل ولهجته الفصحى
الغصون ما خدات مع النسيم كسحه والطبيعه تخيل ثوب كاسي النيل من جمال مسحه

* * *

عير كلامى معاك يا جميل لمحه قوم معاى وميل قامتك السمحه
كل شيء ميسور والظروف سامحه منظر النوار يغني عن أنوار ولى الظلام تمحى

* * *

ديك شواطيء النيل بى السرور طافحه لابسه بدرى التم ولى النجوم لافحه
شتلة الياسمين مايله بى صفحه ميلها يشجيك ومن شذاها يجيك كل حين نفحه

* * *

شوف وجوه الروض باسمه منطرحه وتضحك الازهار مبنه بي الفرحه
ليه شجرة النل ياخى منشرحه والورود بى المر لونه ليه احمر كأنه منجرحه

* * *

شوف طيور منظوم رونقه زى سبحه طاره كالآمال في الفضا سابحه
فى جوارنا قريب ظلالها جات شابحه ياخى مافاينات اظنهن بايتات وفي الرياض صابحه

* * *

النسايم لو غاديه أو رايحه بي ندا الازهار والعبير فايحه
والفروع بتميل بي الطرب مايحه والسواقي تئن بى نغمة الحن صوت كالنايحه

***

منظر البدرى وبهجة الفاضحه تبدو ليك في النيل كالدرر واضحه
والطيور تختال في الغصون صادحه والسرور ميل روق وآتخيل كنة الراجحه

فأنت تراه يطالب الى حبيبه فى هزيع من الليل ان يصحو ليذهبا معاً الى ضفاف النيل حيث الخضرة والنضرة .. الى حيث يشاهدان جمال الليل ويسمعان تغريد البلابل !! ويتردد ذكر الطيور والبلابل وتغريدها فى قصيدته هذه ولو تحرى الدقه قليلا او لو فكر لعرف ان هذه الصورة ملفقة فاسدة فاسألوه إن كان قد شاهد يوماً ما طيراً يتردد مرحاً بين الغصون في الليل أو سمع صوتاً ينبعث من حنجرة بلبل في الظلام .. !!

ولعبيد افندي عبد الرحمن أيضاً قصيدة « أفكر فيه وأتأمل » وهي حسنة لولا ان بعض تعابيرها ليست من الشعر في شيء :—

افكر فيه وأتأمل أراه تجلى وأتجمل
هلالى الحل واتكمل

***

تفاصيل قولى والجدل سأصبر يا نبي إيه أعمل
إذا قلب الفتى اتحمل مصائب الدهر وآلامه أرى الصبر الجميل أجمل

***

حديثى ودمعي يتسلسل فصول في رواية تمثل
أقيف فى مواقف أستبسل وعن رؤيا الحبيب حالا أيس في مناظره اتوسل

***

هواه بجسمي يتخلل مجارى الدم إذا يحلل
وقيع لرضاه أتذلل وما هاه يا سيدي دا واحد اصل بتدلل

* * *

ترك أفكاري تتضلل بعذره البيـــه يتهـــال
فما شرع الهوى حال لقانا نهار ولا في الليل اذا الليل

* * *

صريع قانون هـواك خول هلاكي وقلبي ما تحول
حقيقة وليس تـأول صريع لحظات سيوف لحظك وحالي ان شفت تهول

* * *

تذكر عهدنا الأول صحي الايـــام بتـــدول
قريب يوم داك وما طول مضت أيام ويا حليان بحت أحلام وتـــأول

والشيخ ابراهيم العبادى أكثر هؤلاء تحققاً بمشاعر قومه فى أغلب قصائده وربما صور لك الطبيعة فأجاد وربما تحدث لك عن جمال البدو فأحسن وهو في نظري يسف أحياناً ولكن سرعان ما يمحو من نفسك أثر هذا الاسفاف بما يتوفر فى شعره من جودة واتقان فاسمع اليه يقول :—

شوف محاسن حسن الطبيعة تلقى هيبة وروعة وجلال

* * *

ماحي شاهد هاهي الطبيعة زاهية زاهرة بى زهور ربيعة
دون سوق يسرف نبيعه ما في شتلة السائم بيبعه ما في صيده اتقادت تبيعه
دون مجالب حسن الطبيعة لا تصنع وصبغة دلال

* * *

شوف نواحي الوادى الخديره والحمائم يشجيك هديره
تلقى بدر التم فوق قديره هي المحاسن وانا قلبي ديره صاح املا عيناك وديره
شاهد [illegible] هيبة ونفحة وجلال

***

فوق هضاب الوادي الوثيره الزهـور منظومـه ونثيره
عن جمال البدو تروي سيره وعن محاسن الباديه الكثيره والجداول في حال مسيره
في جبين التل زي مسيره والغـداير حـول الهـلال

***

شوف هداك الصيد لج شارف يرعى ناله الحول المسارف
أوعى من الخور سيله جارف ميل شمالك وابري المصارف عج على السيال ظله وارف
دائي بنت البدو وانت عارف بل شفاى من دائي المضال

***

بهوى ياخي السكنت براحه في هدوتها وعيشة انشراحه
في غدوها وساعة مراحه بهوي فيها الحيا والصراحه ما بتجول بي كرب خاضبه راحه
ياخي بعشق جارة مراحه في ربوعـها الخلف التلال

***

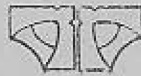
شوف جمال البدو مو مضاره شوف دى صفرة الفضحت نضاره
هادي نادي الغامق خضاره دون تجندر ولهجة حضارة شوف طبيعة البها والنضـاره
شي يعيد الروح فى احتضاره الخضار والماء والجمال

***

دون فصاده سواك ألمك والابار ما لمسن شفاهك
بى فظاظه ما فاه فاهك فطرة ادبك وطبع انتباهك دون تعلم مثبوت نباهك
ما بيدروا ديل جيل جاهك بالحقيقة بناجوا الخيال

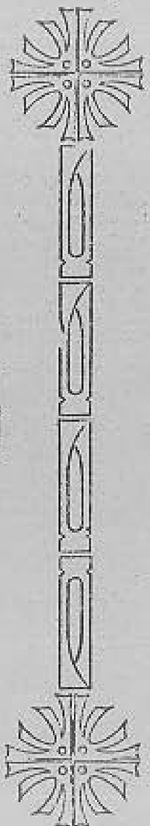
وكل هذه الأغانى من تلحين الحاج محمد احمد سرور . واسم « سرور » اسم له في الغناء السوداني خطره الذي لا يزال عن خطر اسم الاستاذ محمد عبد الوهاب مطرب الامراء والملوك فى مصر

وصوت سرور صوت ندي ملىء فيه جهرة وفي مخارجه وضوح هي التي يمتازبها عن غيره مع عذوبة في تموجات أنغامه ورجع أغانيه وما نعيب عليه إلا أنه لا يراعي تلوين الكلمات بالوانها الملائمة من الصوت فالكلمات الرقيقة مثلا يخطيء المغنى خطأ لا يغتفر ان احتدبها أو تهر وهذا سر الغناء الذى يحفظ للمعانى ألوانها من اللين أو القوة ، من الخفة او الثقل ، من الرقة او العنف . ومن يتسمع لعبد الوهاب يجد أن أول ما يتصف به هو هذا . وبين النغمات السودانية والمصرية فرق كبير واختلاف تام لا يتوافيان معه على مشرع واحد مع أن أغاني القطرين كثيراً ما نجد بينهما مشابه في المعنى والتعبير . وأنا اعجب لهذا البون في النغم والتوقيع في الوقت الذي يوشك ان يتوحد فيه بينهما الادب وتلتقى المشاعر والافكار . ومما يؤسف له أن السواد الاعظم من الامتين لا يستطيع أن يفهم انغام الآخر او يطرب لها وهذا شيء نرى أن يعالج وان يهتم به القائمون بأمر هذا الفن في مصر والسودان ولا تخلو معالجته من خير سوف يعود بأجزل المنافع على مستقبل العلاقات وحاضرها بين البلدين ذلك لان شأن الغناء شأن له أثره العميق في مثل هذا . وانت إذا أدركت اليوم الذي تلمس فيه الشبه بين النغمتين وتحس أن الفوارق السحيقة أخذت تتحطم وتندك فاعلم انهما يومئذ فقط اصبحا صوغاً واحداً وجزءاً لا يتجزأ بحق لا في سطوح الجغرافيا بل في أعماق النفوس . وفى التاريخ القديم لمصر والسودان نجد أن آلات الطرب والغناء واحدة مما يدل بوجه على أن النغمات أيضاً ان لم تكن واحدة فقد كانت متقاربة جداً للوحدة التى تنتظمهما اذ ذاك . ولما بعد ما بينهما وتفرقت بهما المذاهب بدأت هذه الوحدة تنحل وتفتر حتى وصلت الى ما نرى وتناول الانقسام كل شيء . ولكن الامل قوي الآن في أن تنتظم النيل وحدة تقاس خطواتها في مصر والسودان بمدى ما يصلان اليه من توحيد شؤون الادب والغناء





الحاج محمد احمد سرور مطرب السودان الشهير ومن اهم رجال النهضة الغنائية الحاضرة في السودان





الاستاذ محمد عبد الوهاب المطرب المصرى الشهير وهو من اقوى عوامل النهضة الغنائية الحديثة في الشرق



الاستاذ ابراهيم العبادي
الشاعر الاديب المعروف وصاحب الاثر القيم في ادبنا القومي



خليل افندي فرح

ورحم الله الاستاذ خليل افندي فرح فلقد دفع بحركة الغناء والتلحين شوطاً لو لم تغله بعده غائلة المنون لاعقبته اشواط أخرى وهو صاحب القصيدة المشهورة « عزه في هواك » وملحنها والشاعر الوحيد الذي يجمع بين الميزتين



الصيدح السوداني الفرد عبد الله افندى الماحى

الادب القومي على المسرح

(١٣)

ولقد حاول الادب القومى أن يثب على خشبة المسرح وأن يقوم بمهمته في أدب الرواية والتمثيل مجاريا الآداب الاخرى فكانت وثبة جريئة صعد بعدها الى القيام هونا ما بما زجه فيه بعض الشعراء من الميدان الواسع الذي لا يقوى على السير عليه فى وقت لم يتخصص احد من هؤلاء الذين يريدون به ذلك في أمر من أمور التأليف المسرحي وإنما تلقوا منه شيئاً يسيراً مما يقرؤون من روايات ويشاهدون من تمثيل وليس هذا بكاف على أن يعدهم اعداداً مسرحياً ويهبهم الفكر المبدع والنظر الناقد المدقق فى الوضع والاختيار . ولكنهم أصروا على المضى فكانت الرواية الاولى وكانت الدهشة الاولى يوم خرجت رواية « تاجوج » ويوم مثلت ويوم أعجب بها الناس ويوم دلل بها الادب القومى على انه سيكون أدب له خطره واعقبت هذه روايات تمثيلية عدة كلها محدثة عن مقدرة الادب القومي على المساهمة الجدية فى أهم المواضيع كرواية (خراب سوبا) و (فتاة البادية) و (المك نمر) و (عائشة بين صديقين) « والجعليين والجوامعه » وغير هذه وهى بالنظر الى أن الادب المسرحي لا وجود له فى السودان وبالنظر أيضاً الى أنها بلغة الشعب تعتبر خطوة موفقة يسجلها الادب القومي فى السودان قبل غيره . وان كنا نأخذ على هذه الروايات شيئاً فهو أن الخيال وعمل المؤلفين فيها أكثر من عمل الحقيقة كخراب سوبا مثلا والمك نمر ويتفق حيناً أن تغيب الحقيقة بأكملها بين تضاعيف الصنعة وتسامح المؤلف او جهله بالواقع او عدم صبره على التدقيق . والفن الروائي — وان يكن غير سرد للحوادث التاريخية فقط — فانه لا يأبى أو يشمس ان يحمل الحقيقة مزخرفة بطلاء المسرح موشاة بأسلوب التمثيل . أما أن يجنى هذا على صحة الحوادث فالخير كل الخير في ألا نسمع له نامة من بعد . ولعل أدباءنا القوميين يتلافون هذا النقص فلا يضحون فى سبيل « الحبكة » او خلق العقدة او حلها بحرمة التاريخ ولكن هذه تجارب أولية للتأليف المسرحي نأمل بعدها أن يدقق المؤلفون وبخاصة فيما يمس الحوادث التاريخية الهامة . وما ذا ضر لو درس الواحد من هؤلاء موضوع روايته درساً طويلا متثبتاً فيه على من يثق انهم ملمون بتاريخ السودان أو جزء كبير منه فلا يصغى لاحاجي جداته وتهاويلهن واهماً أنه عثر على كنز من التاريخ حقيق ان يتخذ منه مادة لروايته « خراب سوبا » او « المك نمر » مثلا وقد لا يتحرج هو ان دعا أمر ان يحسن مالم يرق لديه وان يضيف ما أعجبه او ما قدر أنه سيعجب النظارة والسامعين وبهذا تضعف او تضيع تماماً معالم الحقيقة بين افراط الروائي وتفريط الراوية !

ذلك وحده ما نأخذه عليهم مما يدخل تحت دائرة اختصاصنا في التاريخ تاركين النقد الفني لمن يعنيهم أن يوجهوا فن التأليف المسرحي خير اتجاه يعلى من شأنه ويعظم من فائدته للادب والاجتماع . ولا بأس

ان نزودهم منا بنصائح يستبدون بها في طريق التأليف الروائي حتى يقوى ويكتمل وتجزل جدواه وتعم فائدته . ولا أجمل به من أن يستغل في ناحية التاريخ ويستخدم في تصوير الحوادث ذات الاثر العميق الكبت والنسيان وترقب بنظر ضارع وقلب لهيف من يثيرها من مرقدها الذي طال ، ويبعث بها حية من مخابئها الخانقة واغوارها المثقلة بالظلام . وبهذا العمل سوف يقدمون للتاريخ يداً مشكورة يلتقي فيها الحق الصراح بالفن المزخرف . ومتى افرغ التاريخ في قالب الرواية فلقد سهل وساغ وانتشر ولكن نصيحتنا الى الروائيين هي في ان يتصلوا باحدى مدارس المراسلات الدولية اتي يوجد في برنامجها نظام التعليم الروائي فيجيء انتاجهم وفق المناهج اتي اقرها الذوق تحت إرشاد العلم والتجربة والمزاولة أما ان يندفعوا فى الطريق على غير هدى أو بينة فانهم مهما وفقوا في انتاجهم فلا بد من أن تحس فيه نقصاً يعمل عمله في تقليل قيمة هذا الانتاج . ولا يستهين احد منهم بما لتعاليمها من أهمية لا يستقيم العمل بغيرها لمن يرغب في أن يصنع من نفسه روائياً يكسب اعجاب الناس ويشبع موضوع روايته . أما هذا الانتاج الروائي الذى رأينا فان هو الا الوحي الذاتي من جميع نواحيه فكأن المؤلف يعرض الينا فيه نفسه ونظام تفكيره ومقدار حيله وتصرفاته ونظرته الى الحياة والى الناس وكأنه هو بطل الرواية واشخاصها لا غيره . واذا أخذ بطرف من هذا العلم عرف كيف يلبس شخصيات روايته وكيف يقف بعيداً عنها وكيف يدخل الى الناس من ناحية افكارهم لا من ناحية فكره هو ويطل عليهم من كوى التاريخ ونوافذ الماضي الدفين وراء الغيوب بوجه غير وجهه ونفس غير نفسه ، الأمر الذي يحتم عليه ان يستكنه موضوعه ويتشرب روحه ويعمر به انفاسه ويملأ به فكره بعد ان يكون قد حطل فيه كل شيء الا الصنعة والصوغ . واكبر معوان فى هذا ان يتخير الواحد موضوع روايته وأن يتحسس عمق الأثر الذى يتركه في نفسه اذ من لوازم النجاح ان تكون هناك رغبة وتأثر وأن يكون الموضوع هاماً يعنى اكثر الناس إما من الناحية التاريخية واما من حيث أنه يحدث عن شتى منازع هذا الانسان . والاجادة والاتقان رهينان دائماً بحسن اختيار المؤلف للموضوع أولا ثم درسه وفهمه فهماً دقيقاً يتناول حتى شعابه المختلفة لانه يكون حينئذ قد عرف روح « الحياة » او « العصر » أو « الظرف » الذى كانت تدور فيه وقائع الرواية وحوادثها فلا يؤتي من ضعف ولا يؤخذ فى إهمال

طرائف شتى

من الادب القومي

قالت فاطمه بنت نندل ترثى ابنها الشيخ كره ناظر دار حامد المتوفى سنة ١٢٨٦هـ

يا عيال ما شفت كره   فرسه غزال دوكار قومتها فره
لبسه شعاع سرحان يوم يفره   وسيفه برق ظلام يوم يسله
معشي امزور شايبها دله   كل يوم قال غريب الريح فش ليه دله

تقول يا هؤلاء الشباب أفرأيتم كره ؟ إن فرسه النجيب الطواع لكغزال « دوكار » وهو مرعى من مراعي الصيد ، يثب طائراً كأنه القطاة في غير بطء ولا تمكث ، وان ثوبه لكشعاع السرحان اذ ينشره من حوله او على الاصح اذ تنشره من ورائه الريح وهو يعدو بجواده ، وان سيفه لكالبرق اذ يستله من غمده ، وانه ليكرم فرسه ويوسعه تدليلا وبراً ليقوم له بما يريد . وانه يغير فى كل يوم على الكبابيش فيشفي لي علة فيهم فواحرباه على كره . !

* * *

كان ابراهيم محمد حمزه الانقرياني رجلا فاضلا شجاعاً ذا خطر فى قومه وكان يحرص على حقوق الضعيف منهم فلا يتحيف عليه أحد وحدث ان استدعاه خليفة المهدي الى أم درمان واعتقله بحجة انه عمل فى تهريب سلاتين باشا فظهر من بعده أناس في الباوقة رأوا الجو قد خلا من رهبة ابراهيم وأخذوا يعبثون بحقوق الضعفاء فقال محمد الشناوى يمدح ابراهيم ويعرض بالذين استبدوا من بعده :—

أسد الكتر الانطرح في هيشه   قبلك ما اندخل من الخليفه وجيشه
كل الكلن قبيل حائم ممط ريشه   هيهب وراك قال للضعاف ما تعيشوا

أي ان من قصصت اجنحتهم بسطاك ورهبتك عادوا من بعدك فأزغبوا واصبحت لهم من الشر خواف وقوادم يرفرفون بها في كل مكان مستأثرين بحقوق كل ضعيف مهيض الجناح . ولقد أحسن ما شاء في تصوير حال أولئك الأئمة من القوة بعد الضعف والتمرد بعد الاستكانة والاستخذاء

* * *

وقال أيضاً موجهاً الحديث الى ابراهيم فى الامر نفسه :—

كلمات السفه يابكنه اتناساهن   تعقب جديد تبعين لا من خلاص تخساهن
خرفانك بتن قوين على الجساهن   قال فيهن عرق عقب جديد أخصاهن

فانظر الى البيت الثاني تدرك جمال الكناية وغرابتها في ان كباشه اللاتي خصاها من قبل عادت فصرخ فيها عرق جديد يقول بوجوب خصيها مرة أخرى وهو أجمل ما رأينا في ترجمة لسان الحال

***

قال أحدهم يغنى جمله :ـــ

يا الراسك دلو فى عد وبا التمغى رسن القد
ناس أم زين بعدوا الرد سكنوا الراى عد القرد

وما أظرف هذا الحديث واوقعه في النفس ولقد بلغ غاية الاتقان في تشبيه رأس الجمل بالدلو يمد من عنقه برشاء او حبل ـــ اشارة الى طول هذا العنق ـــ ويحتمل أن يكون المغنى ان رأسه وحدها كالدلو بجامع أخذ الماء في كل فيكون قوله « وبا التمغي رسن القد » في مكان الاشارة الى عنقه الذى يفيض ملء العنان وتسحب ملء الرسن . والحق ان « أحدهم » هذا لم يبلغ في نظرنا ما بلغ بهذين البيتين الذين ما يسعنا ازاءها إلا أن نقول انه يصدر فيهما عن نفسه وينقطع فيهما لخياله غير مردد لصدى غيره من زعماء الشعر العربى ممن لا يألو « الاستاذ » جهداً أن يصنع من نفسه « شركة » منهم يساهم فيها امثال البحترى والمتنبي والشريف الرضي وغيرهم وغيرهم وهؤلاء الثلاثة وبخاصة الرضي ان حرصت على ان ترجع اليهم كل شعره لما أعوزك ان تجد لكل بيت او تعبير اوفكرة مكانها من دواوينهم التي تملا الارض . وعند الحديث عن الادب العربي ستقرأ رأينا عنه وتقرأ كذلك رأينا عن غيره من بعض شعرائنا المقلدين الذين لا فضل لهم الا انهم وجدوا جملا مجهزة فاستكرهوها في نظام يقولون انه « شعر » ويقولون إنه من وحيهم الخاص ! !

***

قال حاج العاقب في ذم الدنيا :ـــ

تصبح لك عروساً ريقها مواقع وتسقيك من حلوها الصافي الناقع
وتمسي لك عجوزاً تقعد تصافع وتشرط في مكان ما كنت راقع

والحاج العاقب كثير الشبه بابى العتاهية في نظراته المتشائمة لهذه الدنيا ووصفه لها بما يدل على زهده فيها ورغبته في تزهيد الناس عنها بتمثيل خدعها واباطيلها وزخارفها التي لا تغنى شيئاً يوم تقلب للواحد ظهر المجن ويوم تمسي له كالعجوز الوقاح السيئة الخلق فتصدع ما يرأب وتمزق ما يرفو وان اصدق ما قيل في وصف الدنيا قول الشاعر :ـــ

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

قالت امرأة ترثي ولدها وقد مات حتف أنفه :—

ما بدور لك الميته ام رماداً شح   بدور لك يا عشاي بى دمك أتوشح
ألخيل في القلب والسيف بسوى التح   والايت مسولب والعجاج يكتح

ولئن اعجب الناس بالجمل المعترضة وعنوا بها وبحفظ كل ما ترد فيه وعقدوا لها فصولا تبحث فيم وفي صورها وضربوا لها الامثال في قصرها وايجازها وحسن موقعها وتعلوها فى نحو قول لبيد :—

ان الثمانين — وبلغتها —   قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فان اعتراض جملة يا عشاى عند من يستوعب روح هذه الكلمة ليحتل من نفسه أطيب ما تنزل صور الكلام .

* * *

وقال الحردلو ساخطاً على المهدية :—

يا ربب يا كريم تجيب الجرده   وتدي الـدبم تـرده
وتقـرض الفـاقر قـرضـه   وتدي الجبابـه الارضـه

وقالت امرأة من قبيلة الشايقية تهجو عمها :—

يا النحيـف التشبه انضب   ويا الادروج العادم السبب
ان كان فيك نعيم كان قام ليك شاب   خلوا عمي وزوروا اتربب ! !

ومن أطرف ما ورد في التغزل السوداني قول الشاعر :—

شوف كحل السهر أنا في عيونى اضره   وبعد الحاله لو شفت ام رشيم ماضره
السبب الدهاني وخلى عيشتى مضره   شلاخه وعيونه ودغمته الخضره



الادب السوداني العربي

(١٤)

الى وقت قريب كان يشك بعض الناس في أن يكون للسودان ادب خاص يحمل طابع شمسه المشرقه وطفراء بدره الوضيء، ويخص بعنايته الحياة السودانية وحدها منحنياً عليها يصفها ويحللها ويصدر عنها ويرسم لها منجذباً اليها مندفعة اليه موثراً فيها متأثراً بها . ثم ينكش على النفس السودانية يوسعها درسا وتمحيصا وتقرية فينقدها ويمتحنها متحيناً بها اسباب الرقي والكمال مستخرجاً من مبادئها غاياتها ومن يومها غدها ومن أحلامها حقائقها دافعاً بها حافزاً لها مسيطراً عليها نازلا منها منزله العقيدة من نفوس المؤمنين يحوطونها بالرعاية ويذودون عنها بالنفس . والى وقت قريب بل الى هذه الساعة ما تزال المغالطات قائمة على أشدها في أمر هذا الادب أهو سوداني صميم من صنع البلاد أم هو خليط مما يرد علينا من الاقطار الاخرى فقال البعض بهذا وقال البعض بغيره ولكل رأيه ومعتقده ولنا نحن ايضاً رأينا فيه وما هو بهذا ولا ذاك فما نقول انه سوداني محض ولا خارجي محض ولكن كفى دليلا على أنه لم يتركز بعد ولم يتضح أمره فنصرفه الى ناحيته الخليق بها ، هذا الخلاف القائم حوله اذ لو كان الامر فيه واضحاً لما نجم انشقاق في الرأي . وهذا برهان صريح على ان في كلا الرأيين مجازفة وتسرعاً بالحكم . وظلم صريح ان تنكر على السودان ان يكون له أدب . ومجاملة صريحة أن تنحله الكينونة الادبية والانتاج المستقل . وقد وقف القارىء على طرف من رأينا عنه عند الحديث عن الادب القومي اذ قلنا ما معناه ان الادب القومي في نظرنا اصدق في التعبير عن الحياة السودانية من غيره . وما ذاك الا لانه من جو سوداني خالص من المؤثرات الخارجية التي يجترها من وراثه الادب العربي المشترك بين كل البلاد العربية حاملا معه خصائصها وميزاتها ومنازعها بقدر قوة الامة وتأثيرها فيه . ومعنى هذا أن الامة القوية في تفكيرها وانها تفرض شخصيتها وحياتها ومناهجها الادبية على الشعوب الناشئة والامم التي لم يتركز تفكيرها بعد على أساس من حياتها الداخلية فتظل حائرة مترددة بين حياتين تحاول أن تنسى انهما متغايرتان ولكن الواقع يطل عليها بوجهه فتغضي على ألم ويشتد الصراع بين الفكرين حتى يقدر لاحدهما التغلب على الآخر . والسودان اليوم وان يكن يقع في مثل هذا المأزق فان فكره لم يستسلم ولم يفتر عن العمل والانتاج ولكنه انتاج من يغالب في نفسه عوامل كثيرة محققة العمل في نفسه وذلك هو شأن الادب في السودان فانظروا ما ذا تسمونه ؟ ونحن نرى من العدل الا نقر عنوان هذا الفصل على حاله بل ينبغي ان يكون هكذا: « الادب العربي في السودان » ولا يفهن [illegible] معنى غربة الادب [illegible] وانما كان الامر فانه ولا [illegible] والادب العربي

لذين اليهم وحدهم ننتمي وعلى دوحتهم الفنواء الفارعة نجمت فروعنا وانتهت انسابنا في التاريخ ولكن انقطاع السودان زمنه الأطول من الحياة الادبية وحرمانه حرمانا تاما بفعل الظروف القاسية من العلم والمعرفة واخلاده كل ذاك ادى الى الادب القومي وانشغاله بروايته وحفظه والتمكين له وتلمسهم عنده اللذة الشعرية التي اخطأتهم في غيره واعوزتهم الا عنده كل أولئك وسع الشقة بينهم وبين الأدب العربي وجعل من المحال ان يواصلوا جهود آبائهم في الادب فيتم لهم أن يضيفوا إليه ويضعوا على أساسه أدبا سودانيا تقرؤه فتقرأ السودان لا العراق ولا دمشق ولا سوريا ولا حلب ولا غيرها. واذا قدر للسودان بعد ذلك ان يصل ما انقطع من تاريخه الفكرى أو ان يحاول البدء من حيث انعدمت به أسباب الحياة الادبية فمن غير السهل ان يستعيض كل ما فقده في ايام معدودات كما يريدون له ثم من المستحيل ان يفرغ في روحه صوره التي جدت واساليبه التي حدثت بفعل العصور بمثل هذه السرعة فيستبدى بها في طريقه واضعا الى جانبها اساليبه وصوره وتعابيره الادبية السودانية البحتة. ولعمرى لو لا هذا لكان للسودان اليوم شأن عظيم في ايجاد ادب خاص فيه الحياة السودانية والفكر السوداني ولرأيت صدق هذا العنوان وانطباقه على الواقع من غير تجوز ولا تسامح. ولقد كنا احرص الناس على الاعتقاد بان لنا ادبا سودانيا لو كان في كل ما قرأنا منه انتاج سوداني خالص وعلى كل حال فان الدم العربي السوداني في ادب القرن الماضى اوضح واظهر منه في هذه الايام التي كاد يفقد فيها الفكر السوداني شخصيته وينسى وجوده نسيانا تاما ويتفرق وجوده في مشايعته للآداب الاخرى. والادب فى القرن الماضى بجانب ذلك قوي اذا قارنا بينه وبين بعض صور الادب المصرى عهدئذ. على أن اليد المصرية بطبيعة الموقف كان لها عملها فيه ونظرة واحدة نلقيها على الفكرين يومذاك تبين لنا ان السودان لولا الطوارىء والثورات لكان له مثل ما لمصر من الأستقلال او شبه الاستقلال الفكرى لان الاساليب الادبية التى كانت شائعة بين مصر والسودان تجد أنها بدأت تتركز في السودان وتقوى اكثر منها فى بعض صحف مصر كجريدة الوقائع مثلا وقد نشرت قصيدة مع مقدمة نثرية للشيخ الامين الضرير معلقة عليها بأسلوب تدرك لاول مرة الفرق الهائل بينه وبين أسلوب القصيدة ومقدمتها مع ان الواضح في لهجة الجريدة انها تعتبر مجرد تشبث السودان بالأدب معجزة المعاجز بعد ان كان وكأن لم يكن بينه وبين الانسان من صلة وهذا هو نص ما ورد في جريدة الوقائع عدد ٣٢٠ بتاريخ يوم الخميس ١٨ جمادي الاولى سنة ١٢٨٦ ه :—

الوقائع ٣٢٠ يوم الخميس ١٨ جمادي الاولى سنة ١٢٨٦ هـ

كثيراً ما نشرت مقالات واردة من السودان شريفة بعضها لحضرة حكمدارها المجيد وبعضها لحضرة نجله الحبيب السعيد وبعضها لمن يستدل بكلامهم على تمدن تلك الجهات وتنور قلوبهم بالمعارف وتحليهم بجميل الصفات في هذا العصر المبارك والعهد الذي لا يشارك من بعد ان كان لا ينصرف عند الاطلاق لفظ السودان الا لما هوى أمة متبربرة كأنها ليست من نوع الانسان بعدهم عن العلماء كما بين الارض والسماء وعدم اشتغالهم الا بما تبعثهم عليه الوجدانيات كالجوع والعطش واشباه ذلك من الضروريات على خلاف ما هم عليه الآن من الاجتهاد والتشبث بالعرفان الدالة عليه مقالاتهم الواردة المشتملة على كل شاردة . ومن ذلك ما بعث به هذه المرة حضرة ذاك الحكمدار الذي هو فى وجه بلادهم غرة ونسبه الى حضرة عالمهم الشهير الشيخ الامين البصير يريد زيادة بيان فضله وبراعته بين امثاله ونبله والدرجة التى وصلت إليها هاتيك البلاد والحاق علمائهم بعلماء المدن في الاستعداد وفرحهم بطبع الكتب واستسهال ما به يحصلونها من المصارف وشكرهم بكل لسان جميل جمعية المعارف واجتهادهم في العلوم والبحث عن المنطوق والمفهوم والتشبث بالعلوم الادبية ومحاولتها كغيرها من العلوم العربية بالانشاء والتأليف والاملاء والتصنيف حتى حصلوا حسب الطاقة القدر الوافر وخرجوا من ورطة الطبع المتنافر . ولعمري ان كل ذي لب يستكثر من أولئك ذلك وننشره للوقوف على حقيقة الدرجة التى هناك والتشويق الى الزيادة من الافادة والاستفادة ولقد تردد علينا اناس منهم مشتغلون بالعلم بالازهر المعمور هم في غاية التهذيب والنجابة والاستقامة في كل الامور تحسبهم لو لا انهم كلهم غيلان وخطط الانصار لا السودان وبالجملة فالواجب نشر مآثرهم بلغت ما بلغت شكراً على تناسي بربريتهم التي لغت في هذه الاوقات الحالية بالهمة الخديوية العالية وهذا لفظ ما ورد للشيخ الامين الموعود به قبل في التبيين

« بسم الله الرحمن الرحيم »

لما اطلعت فى نمرة ٣٠١ من الوقائع المصرية المتكفلة بنشر المنافع العصرية على ما دورته من جميل الآثار التي حلت بها هذه الاعصار وتجملت بها مصر بين الامصار في ظل الحضرة العلية الخديوية الاسماعيلية أنه تأسست جمعية معارف مصرية للتعاون على نشر العلوم كمرغوب الحضرة الداورية تحت حماية حضرة العزيز الاصيل والمشير الجليل دولتلو محمد توفيق باشا اكبر انجال الخديوي الاكرم وولي عهد جنابه المعظم ابقاهم الله حرزاً للمعارف وحرزاً لكل عارف انشأ لسان المقال قفياً لسان الحال وتالياً ما يقتضي تأكيداً حسب الحال مبتدئاً بعد بث احوال الزمان بما لتلك الجمعية من الاوصاف الحسان مترقياً الى

مدح ولاة ذلك الاحسان لا سيما صاحب تلك الحماية والمتفضل بهاتيك الرعاية ثم ختمت ذلك بتاريخ غاية في المرام به حسن الختام

ألود مأدبة والصدق اخوان ... والصادقون لدى الآداب اخوان

اشعارهم ذات اشعار بحالهم ... فهي اشعار حظوا بالوصل أو بانوا

فالمرء مختبىء تحت اللسان وما ... غير الكلام له كشف وتبيان

قلوبهم حاضرات حيث ما حلوا ... وان تناءت ببعد الدار ابدان

لكن عليهم قد كان في دعة ... والناس في غفلة والدهر وسنان

خان الاخلاء حتى قال واصفهم ... ما للاخين بهذا الدهر خلان

ياليت شعري هل يبدو لنا زمن ... لا يستوي باقل فيه وسحبان

فقلت قد لاح لي والله ذو كرم ... وجعفر الفيض بالخيرات ملآن

حسن التخلص من أهل الزمان بمن ... تضمنوا النفع كي يرتاد ظمآن

فيا أولى الجمع أهل العلم انكموا ... في نشر ما يرتضيه الله اخوان

ومصركم مصر والتوفيق حافظكم ... والمعتنى عارف والوقت ابان

أما حويتم بتوفيق العزيز حمى ... ابعد توفيق رب العز خذلان

اليس عارفكم يبدي معارفكم ... كما يرى وله للنصح ديوان

الم توزع عليكم كلكم كتب ... في العلم نافعة بالطبع تزدان

الم يكن جمعكم أرعى لصحتها ... الم تيسر على التدريج أثمان

الم يبح لكم فيها تناوبكم ... اذ ليس يمنع مما رام انسان

فحاصل القول ان العلم قد سهلت ... اسبابه اذ بدت للخير اعوان

لذاك قلت رجاء نيل وصلكم ... وما رجاء الامين الاهل حسبان

عسى الاحبة ان يرضوا مشاركتي ... فانني باقتناء الكتب فرحان

مع انني آلف التأليف اذ صدرت ... عني رسائل ميراث لها شان

وفي الزوايا خبايا او وجدت لما ... دهراً لكان لها والله وجدان
ما قلت ذلك الا من محبتهم ... نشر العلوم كما ابداه اعلان
فالله يحفظ هذا الجمع متبعاً ... توفيقه وله عز وسلطان
في ظل والده الممدود في عمر ... له مع الطول بالخيرات عمران
يسدي الفواضل للقوم الافاضل لا ... يثنيه عما يريد الشهم شنآن
حتى يرى دهرنا فوق الدهور علا ... وأهله فوق أهليها الأولى بانوا
حتى نقول على عكس الذي زعموا ... من ساءه زمن سرته ازمان
فالعصر يغلبه عصران اوضح ذا ... ما في الحديث وما اخفاه قرآن
من معشر ما زهت مصر بمثلهم ... من الملوك وللتحقيق برهان
بحور فضل بلا من ولا علل ... نعم لهم عمل بالحسن مزدان
فالجد جد علياً في محامده ... وسيفه الشهم ابرهيم معوان
لما غدا رافعاً اعلام نصرته ... مع نصبها انخفضت بالفتح بلدان
فصار يكسر بالتقويم شوكتها ... فلم يعد اهلها للحرب بل دانوا
هذا وجودهما مستعبد بشراً ... اذ طالما استعبد الانسان احسان
وصاحب الوقت اسماعيل زاد على ... ما كان اضعافه والدهر جزلان
مخائل الخير في توفيقه ظهرت ... اكرم بشهم له التوفيق عنوان
عين الفضائل لا تحصى فواضله ... لانه فاضل الاعيان محسان
صان المواطن توفيق العزيز كما ... حمى أولى العلم مهما كان أو كانوا
لذاك حسن ختام اقول أرخه ... دون المواطن توفيق وعرفان

١٤٦ ١٣٧ ٥٩٦ ٤٠٧

سنة ١٢٨٦ هـ

وعدها لاح في وعد الكليم فلا ... في العد والوعد بالتكميل نقصان

والقصيدة كما ترى بليغة في أسلوبها قوية في تعابيرها تفضل بعضاً من الشعر المصري فى ذلك الوقت ولقد كوفىء عليها من سمو اسماعيل باشا بانتخابه رئيساً ومميزاً لعلماء السودان فظل في منصبه حتي سنة ١٣٠٢ﻫ و ١٨٨٥م اى الى سقوط الخرطوم وزوال دولة الاتراك ولقد اشتهر بالادب والشعر فى الزمن الماضى كثير نذكر منهم الشيخ عبد الغني السلاوي والشيخ يحي السلاوي والسيد احمد الازهري ومحمد بك راسخ والشيخ الحسين الزهراء والشيخ عمر البنا والشيخ عمر الازهرى والشيخ محمد هاشم والشيخ احمد مدنى الازدري والشيخ يوسف انعمه والشيخ الطاهر المجذوب والشيخ محمد المجذوب وسنجيء بتراجم قصيرة لهولاء مع عرض مختارات من انتاجهم الادبي

١

عبد الغني السلاوى

ولد بالخرطوم حوالي سنة ١٢٣٧ ﻫ ١٨٢٢ م

كان عالماً فاضلا تولى القضاء الشرعي فى مديرية دنقلا وغيرها في عهد حكومة الترك ويقال ان له حاشية على تفسير البيضاوي واليك قصيدة رفعها الى السيد محمد احمد المهدي فى سنة ١٣٠٢ ﻫ

راق الصبوح ورقت الصبباء ... مذ كان فيها للعليل شفاء
ربية نبوية ملكية ... مهدية روحية وسماء
شمسية قمرية ما فض عنـــــــــها ختمها فى دنها ورقاء
تشدو بأعلى صوتها طرباً بها ... فغدت تناوب شدوها الشعراء
معصومة عما يحرم كأسها ... فأشربه ثم أدر هناك هناء
ان كنت من انصار مهديها لنا ... مهدي الورى من فاض عنه هداء
ما هديه غير الكتاب وسنة ... والتاركون لذاك هم كفراء
أجلى الصدا وازاح أنواع الردى ... وسمت به فوق السما علياء
اضحى به روض المعالي يانعاً ... وعلا لرواد الضلال رداء
امست به آثار طـه نورها ... يعلو ولا يعلو عليه سناء
فالمجد فيه مؤثل والفضل منـــــه مؤمل والناس فيه سواء
آياته نسجت بمحكم ناسج ... ولواؤه بالنصر نعم لواء

ان فاه يوما في الذي خلق العلى ابدت عجائب نطقه صدحاء
ما قيس ما سحبان ما احزابهم في بحره ابداً لهم إدلاء
الله اكبر لا ارتياب لديه والجاحدون له اذن اعداء
والآخذون به لقد اسلاهم أوج العلا فخرت بهم علياء
امسيت فيه حليف ود لا ارو م به بديلا لو بدت بدلاء
من اين تبدو والختام ختامه والروح شاهدة وفيه كفاء
والعقل قبلا فيه يشهد أنه بعث المدى يا أيها العقلاء
هلا رأيتم موجبات الصدق فيـ ـما يدعى أو ليس فيه خفاء
ولنا عليه نتائج بالفكر نـ م لأصين النظرا له اضواء
اذ نصره من ربه مشهود كا ـل العالمين وليس فيه مراء
وقتيله يوم الطعان معجل إحراقه وبذاك لي انباء
هذا وما قصدي بنظمي ان أضم م الى الاولى مدحوا وهم بلغاء
لكنني عبد متيم حبه استخدمتني مدحه الآلاء
وكذاك لا الدنيا بمقصودي وإن انا ذو احتاج لي إليه شكاء
بل مقصدي نظر بعين رضائه عني وان لي في الهواء اهواء
نظر به يمحي شقائي وكلما كسبته حقاً مني الاعضاء
يا سيد السادات يا مهدي الورى مني النداء ومنك لي الأرضاء
ان الزمان هو المحاول صرعتي ويدي لدفع اذاه لي شلاء
لي ذمة ارجوك نجح شهودها وكذلك الاباء والابناء
ان قمت يا بن الطيبين بنا فما هول له نخشى ولا حوباء

والقصيدة الى شعر « الفقهاء » اقرب وهي ان لم تكن من الشعر الجيد فانه لا يعوزك ان تجد فيها البليغ الحسن احيانا كقوله :—

فالمجد فيه مؤثل والفضل منـ ـه مؤمل والكل فيه سواء

الشيخ يحيى السلاوى

ولد بالخرطوم حوالى سنة ١٢٦٢ هـ ١٨٤٦ م وهو ابن الشيخ عبد الغنى المتقدم الذكر كان رحمه الله من فحول الشعراء البرزين ولما ثار العرابيون بمصر في سنة ١٢٩٨ — ١٨٨١ قام من الخرطوم الى دنقلا وطلب من مديرها مصطفى باشا ياور ترحيله الى مصر فأبى عليه ذلك وهناك أبرق الى محمد رؤف باشا حاكم دار السودان ببيتين يقول فيهما :—

مولاي عز ترحلي	وغدوت مقصوص الجناح
فأرش جناحي مثلما	عودتنيه ولا جناح

فابرق محمد رؤف باشا الى مدير دنقلا بترحيله على نفقة الحكومة الى مصر وما كاد يلقى بها عصا التسيار حتى اندمج في الثورة اندماج مناصرة واخلاص وعمل . واذ كان هو من الحزب العسكرى فقد طلب اليه احمد عرابي نفسه ان ينظم قصيدة تطبع وتنشر فى القطر المصري فنظم قصيدته البائية المشهورة من ٩٩ بيتاً وقع في يدنا بعضها، وقد كان من أهمية هذه القصيدة أن طبعت بماء الذهب وبيعت فى شوارع القاهرة كل نسخة منها بجنيه ذهباً وهى هذه :—

شغل العدى بتشتت الاحزاب	والله ناصرنا بسيف عرابى
والقطر فيه من الرجال كفاءة	للحادثات فهم أولو الألباب
وحمية الاسلام تقضي بالوفا	حتماً على كل أمرىء أواب
ومحبة الوطن العزيز تحثهم	والفتح إذن باتباع صواب
والمشركون خواسىء في سعيهم	هزموا وقد نكصوا على الاعقاب
هيا بنا يا أهل مصر الى الرضا	والفوز في العقبى بغير حساب
أنتم أولو الهمم التي بسهامها	كم من عدو آب شر إياب
أنتم ولاة المجد أرباب النهى	والحر يظهر عند صدم مصاب
لا تشغلنكم الحياة فانها	ذل لمن يرضى بهتك جناب
ولقد نرى اخواننا في حالة	تحتاج للاعوان والاصحاب
أعنى عساكرنا الكرام ومن أتوا	متطوعين لهم من الاعراب

والعاملين لهذه الخيرات من ... عمد البلاد وسائر الاحباب

حسب الاعانة في الافاضل قدوة ... شمس المفاخر شيخنا الانبابي

فعل الجميل ولم يكن في فعله ... هذا بمفتخر ولا مرتاب

وجناب قاضي مصر سيف شريعة ... يسطو على كل امرىء متغابي

ومحقق الفتوى محرر مذهب الـ ... نعمان بالايضاح للطلاب

والسيد البكرى تاج نقابة الـ ... أشراف أهل المجد والانساب

والخيرة السادات بيت مناقب ... عقدت له العليا رفيع قباب

والمجربي له سوابق همة ... جمعت نظام الفخر والآداب

أنعم بطائفة التجار وقل لهم ... شكرت أياديكم كغيث سحاب

واذكر لتميم الكرام فتى من الـ ... حيزا وذاك محمد بن عراب

وأفاضل بذلوا الاعانة غيرهم ... في حصرهم نصب على الكتاب

وبمثلهم فى الناس تفتخر العلا ... والمجد يرفل في رفيع ثياب

نعم البرنسات الكرام ومالهم ... فى الدهر من شرف ومن آداب

جمعوا بتنظيماتهم . شمل الورى ... من بعد ما انحلت عرى النواب

هو من علمت مجاهد بمهند ... ترك الرؤس مواطىء الاذناب

وسيوفهم مسلولة بأكابر ... في المجد من علمائنا الاقطاب

يكفيك قدوتنا عليش وشيخنا ... حسن الوفا العدوى خير مثاب

جبلان مرتفعان دونهما الورى ... كالشمس مثل زحل بلا اطناب

شدا عراه وايداه وسددا ... ما يتقي من كل فرجة باب

والشهم ابراهيم فوزي انه ... فى ضبط مصر أصاب خير صواب

وعلى الروبي الرضا وسميه ... يرضيك فهمي في سديد جواب

يا ربنا عجل لدينك نصره ... واجعل له الحسنى بخير مآب

وبآل بيت محمد رد العدا ... وارسل عليهم منك سوط عذاب

وبعبد غفار ابد شمل العدا ... وارحم برحمي معشري وصحابي

وامدد عساكرنا باعظم قوة ... يا عالما بالقانت الاواب
واشدد عزاهم بالخليفة انه ... متكفل بالنصر للاحزاب
ولنا به ثقة قوابل سعدها ... ترمي شياطين العدا بشهاب
هذا ونحن الخاضعون لحكمه ... لا نرتضي بتعدد الارباب
يا ناصر السلطان دونك والعلا ... تجنابها بك ثابت الاطناب
رد البغاة وكيدهم فى نحرهم ... بعظيم بأسك من اليم عقاب
جرد لهم سيف اليقين فانهم ... خسروا وسيف الحق ليس بناب
واسلم ودم في حظوة يحيا بها ... يحيي السلاوي منك بالترحاب
هذي مآثرك الجميلة زينت ... رمضان بالترغيب والارهاب
لثمان عشر منه قد ارختها ... بالله نصرتنا وسيف عرابي

٦٨ ٧٩١ ١٥٦ ٢٨٣

ولما دخل اللورد ولسلى بالجيوش الانجليزية الى القاهرة واخذت الحكومة تقبض على دعاة الثورة لجأ يحي إلى السيد محمد سر الختم الميرغني الذي ساعده على السفر الى الاستانة حيث عين هناك مفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف التركية فمدح السيد محمد سر الختم بقصائد منها هذه :—

بليت وطرفي للمحاسن يقظان ... وطرف الليالي عن ذوي المجد وسنان
عفى الدهر بعد الاكرمين وما عفى ... كالى ولكن للسعادة إبان
رعى الله دهراً كان بالحظ مسعداً ... وسامر ليلى العامرية عمران
وللناس مرعى فى التصابى ومرتع ... بربع مريع للصبا فيه أفنان
ليال تقضت بالامانى وانني ... على العهد باق بالصبابة نشوان
صبرت على خطب سبرت الورى به ... فلم يخف عن علمى من الناس انسان
شكوت زمانى بالاسى وشكرته ... وتهذيبه لى فى الحقيقة إحسان
وهبت له نفساً غدت مطمئنة ... بحزم عظيم عنه يضعف ثهلان
على انني لم انزعج في صفاته ... ولم أكترث يوماً اذا هو غضبان

فسيان عندى أحسن الدهر أم أسا ... متى صح لى بالله عقل وايمان

وهل بعد تهذيبي على المجد اتقى ... من الدهر بأساً إن دنا الناس او بانوا

ولى جيش عزم ثابت متألف ... عظيم له في الخطب بالحرب آذان

قدير على خصم الخصوم مبارز ... له عند وقع البؤس نور ونيران

وسهم رديني قويم مهفهف ... به عجز للحادثات وأعكان

[illegible] ... اذا الدما [illegible] هو ظمآن

وسيف يماني صقيل مرهف ... يجرده للنصر مولاى عثمان

بمن يا رعاك الله ان لم يكن به ... يغاث ضعيف او يدارك حيران

وللمجد ركن منه لا زال ثابتاً ... توطد منه بالولاية أركان

وللرفد وفد في حماه معزز ... ضيوف تواليها على الحظ ضيفان

وفخر تليد آنست منه نوره ... رجال كرام فى الفضائل إخوان

فلله ذاك الغوث والفيصل الذى ... على الدهر تاج من حلاه وعنوان

سليل رسول الله طه كفى به ... فخاراً وحسبى منه ما نال حسان

ومن ذا الذى يرجو شفاعة جده ... اذا لم يكن في الحب منه له شان

وحسبك غوثاً فى الخطوب وناصراً ... إذا بان من صدم الشدائد خسران

جليل المزايا واسع الفضل والندى ... جليل المحيا في الشدائد معوان

تقاصر عن جدواه معن وحاتم ... تقاعس عن دعواه قس وسحبان

إمام همام واحد العصر لم يكن ... على فضله المأثور فى الدهر رجحان

تجلت له ذات العلى عن حقيقة ... بها نال فضلا قصرت عنه أقران

تبدت له منها علوم جليلة ... جلتها كرامات لدينا وبرهان

وما شاهد عين اليقين بعينه ... كمن هو عن علم الحقيقة ذهلان

الى شيخه ابن ادريس يعزى كماله ... وحسبك من أهل العزائم انسان

وفي جده المحجوب قل كيف ما تشا ... وكافيك في مدح القرابة فرقان

رجال كرام في البرية جدهم ... تحلت به الاقطار مصر وسودان

تأدب وسالم يا زمان فشيخنا ... غيور له في الامر رشد وعرفان

مزاياه لا تحصى وآيات مجده ... حلاها على صدر الأكابر نيشان
بنوه الكرام الغر حازوا مقامه ... سواء بذاك الفضل شيب وشبان
بنوا فوق هام الفرقدين لذكره ... مكاناً عليا لا يوازيه كيوان
فلله اصل في العلا طاب فرعه ... تدانت إلينا بالجنى منه أغصان
أفادوا صواباً واستفادوا إصابة ... وصانوا عن الأغيار أعظم ما صانوا
أبانوا وبانوا في سلوك طريقة ... على كل حزب عن طريقتهم بانوا
هم الصيد آل الميرغني معدن العلا ... اذا فاخر الأقران بالمجد وازدانوا
محبتهم فرض على كل مسلم ... مودتهم في الله لله قربان
فكيف يخاف الضيم مثلي وحبهم ... غدا رأس مالي وهو بالله ربحان
ومن حسن الأفعال لي حسن دمه ... ومن هاشم عبدي نوال وإحسان
ولي عزوة في حبهم وعشيرة ... وأهل واخوان وصحب وخلان
ولا زال في بيت السلاوي حبهم ... علينا به بين البرية تيجان
أنخشى بواراً أو نخاف كريهة ... ونحن لهم ابناء عهد وإخوان
وهل نتقي من حادث الدهر سطوة ... ونحن لسر الختم في مصر جيران
إلهي بهم فرج من الهم كربتي ... وحقق رجائي والرجا منك غفران
وصل (ميرغم) واسعد (حالية) بقربهم ... عليهم سلام من علاك ورضوان
وصلى عليك الله يا خير من سعى ... لطيبة الغرا رجال وركبان

وقال ايضاً يمدحه

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر ... والمجد يؤمر أو ينهي فيأتمر
وفضلك الجم لا شيء يقاس به ... حتى يحاط بتعداد فينحصر
وطيب أصلك مشهود تؤكده ... شواهد الحال والأحوال تعتبر
ورشد عقلك يهدي كل مقتبس ... والكل منا لذاك الرشد مفتقر

ونور علمك لا تخفاه خافية ... من الامور وهذا مدرك عسر
وفرط مدحي عبارات مقصرة ... عن وصف حسنك تعييني فأختصر
فغاية الامر ان أدعوك محتشماً ... يا حبر يابحر يا ضرغام يا قمر
يعز اسمك ان يطريه سامعه ... لكن على نية التعظيم يغتفر
دم للندى يا بن سر الختم مبتهجاً ... وقر عيناً بذكر نشره عطر
لك العلا والحلا حالان لم يحلا ... فيهن للمدح أسواق ومتجر
فاظهر بما شئت والفخر غير مكترث ... فليس بعد النهي حلي ومفتخر
ماذا أقول ومدحي فيك معجزة ... لا تستطاع وشأن شأوه خطر
اما انا فامرؤ اوليتنى مننا ... لا زلت في شكرها أثني واعتذر
والناس صنفان مدحور ومدخر ... وأنت ذخر لريب الدهر مدخر
والمجد عقد نفيس انت جوهره ... في سلكه انتظمت إخوانك الغرر
ابوكم الغوث عثمان الكرامة من ... في مدحه ترشد الآيات والسور
عن جده الميرغني المحجوب أورثكم ... فضل ابن ادريس ذاك السيد القمر
والشبل من ذلك الضرغام مكتسب ... وقل ما قل من فرع الحيا ثمر
لا زلت ركناً لنا في ظله متسع ... كالشمس تمتد منها الانجم الزهر
فاحفل بذكرك ان الله رافعه ... وألسن الخلق لا تبقى ولا تذر
واشكر على ان حباك الله مكرمة ... للناس في سوحها حج ومعتمر
فالندى منك أسباب موفرة ... بها على شكرك الميمون يقتدر
والمخلص الشاكر الداعى لعزتكم ... يحيي السلاوي لكم فى أمره نظر
أثنى عليكم وإن أبديت معذرة ... فلا مـلام ولا ريب ولا ضرر
خذها أميرى رعاك الله سالمة ... من كل عيب عروساً زانها الخفر
زفت لعلياك والاجلال يقدمها ... والعز والبشر والتكريم والظفـر
سوى جنابك لم أختر لها أحداً ... والناس غيرك لا ذكر ولا أثـر
فاقبل ثنائي وخذ ياسيدي بيدي ... فالأمر يا عدتي صعب به خطر
ولا تكلني إلى من ليس يسعفني ... وفى اتكالى على من دونكم غرر
هذا وأستودع الرحمن خيرتكم ... وذمة عندكم في الحب تعتبر
دم للمحبين والآمال مستنداً ... يأوى إلى ركنه دامت لك البشر

الاستاذ حسين ابراهيم زهراء

ولد حوالى سنة ١٢٤٨ ه الموافق سنة ١٨٣٣ م بقرية وادى شعير في ضاحية السلمية جنوب الخرطوم تبعد عنها بنحو ١٤٨ كيلو متراً من أبوين عباسيين وتوفى فى ربيع الاول سنة ١٣١٣ ه وسنة ١٨٩٥ م كان الاستاذ فطناً متوقد الذهن نبيلا حفظ القرآن الشريف وتلقى مبادىء العلوم الدينية على غير واحد من العلماء، ومن ثم سار الى الازهر وتمم علومه العقلية والنقلية به وعاد الى السودان ولكنه ما لبث به طويلا حتى عصفت ثورة المهدية واضطربت الافكار فأصبح الاستاذ من أهم دعاتها بجزيرة سنار وكانت له نشرات سرية في الحض على الثورة منها جوابه الى الاستاذ محمود الخبير الذي قال فيه « لا يخفى على محيط علمك ان اصول هذا الرجل مشكاة يعز جواب اشكالها على الزمخشري محمود. وفروعه كأصوله فى غاية الجمود ونهاية المتانة بلا جحود. لا تقبل العرض على الموازين ولا تستنبط من الاصول التواطىء عليها بيقين فهي رتق لا يفتق ملتحم متنها بمحاجر الظبى واطراف الصفائح فى نحور الصدور وفوق أعناق أصحاب الغي. يتجاهلون ولات حين تجاهل ويتعلمون ولات حين تعلم فسيعملون رزية التكلم. فالناقب فى سماء حقها جاهل او متجاهل والمتحامى عن العمل بمقتضى صدقها مكابر او متساهل فما لما سألت عنه غير ما هو عليه جواب فالتكلم فيه بغير ما حق عن ربه غير صواب. وقد أبدي من القول ما لا يقبل الزيادة وسيقف بالفعل على غاية النقطة ولا عود ولا إعادة وسيحمد المدلج غب السرى ويرى المتخالف من الخزى ما يرى

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد
وهل أنا إلا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

هذا ولو كان للكلام مجال لبينا وجه ما يرتكب فى الحال. فقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لساناً قائلا فقل والسلام »

الامضاء من أخي الحسن المعروف
بذلك عند من فطن

ولقد تولى رياسة القضاء الشرعي في عهد المهدية ولقب بـ « قاضى الاسلام » ولكنه ما كان يعرف شيئاً من الدهاء والمصانعة بل كان شديداً لا يبالي في الحق وكان جريئاً فحدثت مشادة بينه وبين جماعة القضاة سوف نذكرها في غير هذا المكان ولما عزله خليفة المهدي عن منصب « قاضي الاسلام » هجاه بقصيدة كانت سبباً في سجنه ومنع الاكل والشرب عنه حتى توفى صبراً تغمده الله برحمته وكان عالماً محققاً وكاتباً بليغاً وشاعراً قديراً ومن غرر شعره قصيدته التي يمدح بها المهدي وهي :—

آهاجك وصل بالاباطح يلمع ... لها فيه ما شاء السراب الملمع
أم البرق فى شطر العقيق ولعلع ... فهاجك ياهذا العقيق ولعلع
ام الواقع المتبول بين اجادع ... عليه بها طير المنية وقع
دعاك ومل النفس لو لاك من ولا ... به هو في البيداء واه مولع
فسامرته والليل يلهو بنفسه ... وكل بكل ذى هموم موجع
وأسنى صلاة حان وقت ادائها ... وتكبيرها كالعيد فيها مسبع
وطلعة شمس من سنا الغيب عززت ... بأشراق بدر والكواكب شرع
بها انيرت شمس السنا من سنائها ... حياء فوارادها لثام وبرقع
عماد الهدى أس الجدى معدم العدا ... بدا واليه الناس في الارض نجع
ملاك اساطين الخلافة كفؤها ال ... معد لها الحصن الحصين الممنع
أمام الهدى الهادى لكل ومرشد ... بهامته التاج النفيس المرصع
به أخبرت من قبل وقت ظهوره ... صحاح رواها هبرزي موضع
به انفجرت من قدح زند خواطرى ... سعير الهوى في القلب والجند تبع
فاهديت در القول غير مثقب ... ولكنه منه اليه مشيع
وأوليت ما أوليت عقداً منظماً ... ولكنه بالمجد منه مرصع
وأرسلت دمع العين فيه معفراً ... ولم يلق للتطريب الا مسجع
سجية ذي وجد عليك مؤبد ... سخاء بنوم العين والناس هجع
سجية من لا غير وجهك قصده ... ذهاب من الاغيار والناس طمع
لهتهم لهي ما ليس فيهن طائل ... وتلقمها في كل طبع منقع
قصور وحور والحبور ونعمة ... ومال وآمال وخير منوع
وهاك وخذ مني ودونك واغتبط ... عما تبتغي عفواً فأنت مشفع
بنا انت ما لاحت بروق لغيرنا ... وما أطربت آلات لهو تقعقع
وما أطربت في الشجو ساجعة انما ... على فنن غصن وناحت ترجع

أدرت سراج الفكر في أفق خاطري ... فلم الق من فيه الكمال مجمع
وما لذ في عيني وقلبي وقالبي ... ولا هاج اهوائي خباء مضلع
ولا سامرت نفسي من الليل سمراً ... ولا ضمني في الدهر بيت مصرع
ولا رد فى وجهي السلام تحية ... من الناس شخص حاسر أو مقنع
فسرت به روحي بمسرة بهجة ... لحسن واحسان له أتضرع
سواك فأنت الجمع والفرق دائماً ... كذاك وأنت الاروع المتورع
كذا فليكن من شاء أعلى مكانة ... ومن لا فلا اصلا ولا يتطمع
لمن تزجر الحاجات زجراً مبرحاً ... ومن في حمى احسانه تترع
فبل دون مأواك الخصيب فناؤه ... لحاج ذوي الحاجات يا عيش مربع
أنادي فلم يذهب ندائي لمذهب ... شقائي ولم يجمع شتاتي مجمع
وأنني لعل الصوت يبلغ احداً ... فيعلم ما بي أو يعيه فيسمع
توجه ومنه السير سر فيه تنتهي ... اليه فلولاه البسيطة بلقع
وقل عنه واسمع لطف كل مقالة ... يمر بها فى أفق أذنك أصمع
وعاين وما في العين الا اشعة ... لما صورت منه تبدت تشعشع
جمال يريق العين من فرط حسنه ... فيبهرها اذ بالجلال مقنع
تخر له زهر الدرارى كواسفاً ... وتنزل من أوج العلا وهى خضع
عليه صلاة دون كيف وعدة ... وأسنى سلام ما تلألأ يلمع

وقال أيضاً يمدحه :ــ

الامر جد والخطوب جداد ... وجنود مهدي الورى أجناد
نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر ... فبدت لهم من حاجر أزواد
مهج تقعقع في شتات جسومها ... فكأنها بنشيدها أعواد
قضب يحرك معبداً أوتارها ... يزهى به الانشاء والانشاد
رقصت ورنتها الصغار رعادها ... بعد الرقاد من المقروب سهاد

وكأنها يوم الوغى في كربها بخطوبه تخطو بها الآساد
وعيونها مغضوضة بعيوبها والحق ابلج والورى أشهاد
نادى بها ذو الصور يطفى نورها فرنت له الارواح والاجساد
بين الرقاق البيض والسمر القنا بحلومها تراقص العباد
طربا يفوق على الشمول لمامة لم لا وكيف وفى العيون سعاد
ومحاسن العلياء بين مطارف خضر بها جمع الجمال جواد
ما بعد طيف خيال ظل خيالها يوما ولا نوماً يراد سهاد
حرب بمحراب الهدى من بأسه بشتاتها تتزلزل الاطواد
لم لا وأملاك السموات العلا فى جيش مهدي الورى أجناد
والجن والانس الذين عهدتهم سوى الذين ومالهم أعداد
فأخبر بنفسك خلى أخبار الورى والزاد خل ولا يعقك بعاد
واحذر تقول ذي اعتداء جائر كذب أتى منه له وعناد
أقصى المقالة فيه حق كله أنقى نقي ما عليه سواد
للحق جاء والمناكر قائل وعلى الفعال من المقال مزاد
يكفى الذي أمليته فى حق من في جنبه يستصغر الانشاد
وعلى النبي محمد خير الورى جل الصلاة كذا السلام يزاد
ولآله والقائم المهدي ما فتحت باسياف الرشاد بلاد
وسمت له رتب الولاء على السما وعلا له في الخافقين عماد

وللشيخ حسين قصيدة همزية طويلة أثارت غضب كثير من أمراء المهدية لما ورد فيها من التعريض بهم والاتهام لهم بأنهم هم الذين أضاعوا الدين :—

جل الولاة أضاع دين محمد وأهيله ماتوا وهم أحياء

محمد الطاهر المجذوب

ولد بضاحية سواكن في ذي القعدة سنة ١٢٥٧ : ١٨٤٢ م ثم تعلم على والده الفقيه الطاهر وتلقى فقه الشافعية والعلوم العقلية على الشيخ محمد مدني الدواكني وحج في سنة ١٢٩٧ وطلب هناك على الاستاذ علي باصيري في جده وكذا على العلامة السيد احمد زيني دحلان مفتي الشافعية بالاراضي الحجازية وانتقل الى المدينة المنورة فطلب على الاستاذين أبي خضير والعلامة الشيخ الاشراقي . ومن ثم بزغت شمس حياته العلمية فكان رحمه الله شاعراً ناثراً وهو كاتب ومشير الامير عثمان دقنه . يقال بلغ خليفة المهدي ان جيشاً انكليزياً يتقدم نحو سواكن ليباغت ديم عثمان دقنه في هندوب فكتب لعثمان يأمره بالانسحاب من المدينة لاستدراج العدو الى شعاب الجبال ثم يكر عليه فهب عثمان دقنه من هندوب فارتجل الاستاذ القصيدة الآتية :—

هندوب تعرف صبرنا ... كيف اركبنا للمصاعب

وهشيم تشهد حزمنا ... كيف أدرعنا للمصائب (١)

يا طالما صدنا بها ... صيد الغضنفر للثعالب

جيشاً يرن سلاحه ... كالرعد اذ ما المزن صائب

وسواكن تدري بنا ... أنا لدى الهيجا نضارب

بالمشـــــــرفي كأنه ... وقع الصواعق في المضارب

زمناً رصدنا نحوها ... نبدي العجائب والغرائب

ونئـز في أرجائها ... كالليث إذ نشب المخالب

ولطالما بـرزت لنا ... منها العساكر والكتائب

من كل فـج يمنة ... بل يسرة من كل جانب

فتجاذبتهم خيـــــــلنا ... تـرمي بهم رمي الثواقب

البيض تلعب فيهـم ... فوق العمائم والعصائب

(١) هشيم مكان غرب هندوب كانت به حرب هائلة بين جند المهدية والجيوش الانكليزية المصرية وقد أبلى أنصار المهدية فيها بلاء حسناً

حـــــتى أتت أخبارنا من مصر تكتبها الجوائب (١)
وأقر ويلك بفضـــــــلنا الاعداء في كل المكاتب
وتحققوا أن لا نبـــــــــالى بالمشـــــــقة والمتاعب
نحـــــــــيي ابن الله بل في شـــأنه نلقى المعاطب
متوسلين اليـــــــــه بالمهـــــــــدي وجهة كل راغب
وخليفة المهـــــــــدي عبـــــــــد الله مفتاح المطالب
ما ان رحلنا عنهمو جزعاً ولا خوف النوائب
بل طـــــــــاعة لولينا فليدر ذا كل الاجانب

وقد توفى الى رحمة مولاه في سنة ١٣٤٧ : ١٩٢٩ م ودفن ببلدة الحمرى في نهر اتبره وله ديوان جمع فيه شعره وكان رحمه الله عالماً تقياً ينهج نهج المتصوفة في عباداته ونسكه

وقد قال في رثاء المهدي

دهتنا دواه يضرس القلب نابها ويوقد في الاحشاء ناراً منابها
غداة نعي الناعون مهدينا الذي به ملة الاسلام جل مصابها
امام الهدى المهدى افضل من دعا الى الله مفتاح النجاة وبابها
ألا قد أصبنا اذ عدمنا حبيبنا وضاقت بنا الارض الوسيع رحابها
ليبك له الدين الحنيف وملة ابان هداها حين تم خرابها

---

(١) الجوائب جريدة كان يصدرها الاستاذ احمد فارس الشدياق وكانت تعني كثيراً بأخبار السودان ويراسلها علماؤنا بمقالات ضافية كالأستاذ الفقيه الامين الضرير وغيره وكان مكاتبها بالسودان الاستاذ محمد عثمان حاج خالد العمرابي الذي صار أخيراً سفيراً بين خليفة المهدى ومنليك أمير الحبشة حتى أمضى محالفة دفاعية بين الحكومتين في سنة ١٣١٥ : ١٨٩٨ م ولكن خليفة المهدى رفض تنفيذ تلك المحالفة لما علمه من أتحاد فرنسا مع الحبشة

فقدناك يا هدياً يتمنا بفقده فقدناك يا شمساً دهانا غيابها
الى الله إنا راجعون هو الذي اليه نفوس العالمين ايابها
هو الفاعل المختار باق وانما نفوس الورى جمعاً اليه انقلابها
وكنا نرى أنا نفوز بوصله بذي الدار حتى صاح فينا غرابها
فلم يبق فيها الآن ما يبتغي له بقاها فقد اضحى سراباً شرابها
سقى الله ارضاً ضمنته بقاعها به فاقت العرش العظيم قبابها
عزاء الى الصديق نائبه الذي به الملة الغراء شد انتصابها
عزاء الى الفاروق من كان دأبه لدى نعم الدنيا الغرور اجتنابها
عزاء الى الكرار ذي الناصر الذي لديه يهاب الباترات ذبابها
عزاء الى الآل الكرام اولي التقي على الله هاتيك الرزايا احتسابها
والحقنا المهدي فى جنة العلى لتذهب عن هذي القلوب اكتئابها
الا أبلغوا عنا ضريح أبي الهدى تحايا إلى الله الكريم انتسابها



الاستاذ احمد مدنى

ولد احمد مدني بمدينة شندى حوالي سنة ١٢٦٢ هـ ١٨٤٦ م من أبوين جعليين حفظ القرآن الكريم واخذ العلم على غير واحد من كبار العلماء . كان إماماً خاصاً لمصطفى ياور باشا مدير دنقلا وشهد معه حرب المهدى حيث جرح في يده جرحاً بليغاً ثم هاجر لمصر وانخرط في سلك طلبة الازهر الشريف وبعد ان أخذ الشهادة منه صار مدرساً به وفي سنة ١٣٢٨ : ١٩١١ م توجهت لمصر ونزلت في ضيافته وصرت ادرس عليه بعض العلوم فوجدته بحراً لا ساحل له وكان دمث الاخلاق متواضعاً ومن شعره قصيدته الآتية فى رثاء المرحوم السيد عبد العال بن السيد احمد بن ادريس المتوفى فى مدينة دنقلا العرضي سنة ١٢٩٥ : ١٨٧٩ وهي :—

مالي اري رونق البلدان قد ذهبا … والنور أضحى عن الاكوان منسلبا
والناس مشغولة الافكار حايرة … يا صاح ما ذا بهم هل تعرف السببا ؟
نعم مصيبة أستاذ بنا نزلت … فأشعلت فى القلوب الحر والايا
وصارت العين بعد النوم ساهرة … نبكي بدمع يفوق البحر والسحبا
على الوسيلة عبد العال عمدتنا … من قام لله بالاخلاص محتسبا
حاوي الفخار ومن بالجود منفرد … وفي العلوم كبحر موجه اضطربا
يسر عقلك إن وافيت مجالسه … يوماً وينسيك حساناً اذا خطبا
له الولاية قد جاءت مسلسلة … من الاكابر فسمع واطرح الريبا
لان احمداً بن ادريس والده … وللنبي والزهرا قد انتسبا
ما جاء مستمنح الا حوى كرماً … منه ولا سالك الا رقي رتبا
يا طالب الخير عرج نحو تربته … واظهر خضوعاً وراع الذل والادبا
تفز بنيل مرامات اتيت لها … كذا هبات تزيل الهم والنصبا
يا سيدي احمد يرجو مراحمكم … اذ فضلكم عم كل العجم والعربا
اهدي جنابكم مقدار طاقته … نظماً قليلا والتاريخ قد حسبا
بالهاء والصاد ثم الراء بعدها … والعين بلفظ عام الموت قد كتبا

« اي سنة ١٢٩٥ »

الاستاذ المضوى عبدالرحمن

ولد في بلدة العيلفون في شمال النيل الازرق جنوب الخرطوم حوالى ١٢٧٣ : ١٨٥٧ م نشأ من نعومة أظفاره ذكياً متوقد الذهن حفظ القرآن الكريم يافعاً وأخذ العلم على غير واحد من العلماء وفي سنة ١٣٠٠ : ١٨٨٣ م هاجر الى المهدي فى جبل قدير وبايعه وعاد منه لوطنه وهو أول دعاة الثورة في ضاحية الخرطوم وبدأ بحصر المدينة وبعد سقوطها ووفاة المهدي رأى من سوء المعاملة ما أضطره الى الفرار لمصر من طريق الحبشة وبعد وصوله الى القاهرة قبضت عليه حكومة مصر وأرادت محاكمته على تمرده عليها وتأليبه سكان ضاحية الخرطوم على المدينة لولا ان سعى الزبير باشا لدى الوزارة محتجاً أن الثورة كانت عامة ولا سبيل لاحد للتخلص من الانخراط فى سلكها ولما عفى عنه امتدح الزبير باشا بقصيدة عبثت بها يد الاهمال ولم نجد منها عدا الآتي :—

أوميض برق أم سنى مصباح ... أم ضوء فجر صادق الاصباح
أم بدر تم فى الدياجي ناشر ... بيض الملاء على ربى وبطاح
أم ذي الغزالة تزدهى بأشعة ... مكسوة بجمالها الوضاح
أم تلك عارفة الزبير أخى الندى ... لألاؤها يجلو دجى الاتراح
ضخم الدسيعة ما خلت أبوابه ... من قاصديه في مسا وصباح
من دوحة العباس عم المصطفى ... اكرم به من سيد جحجاح

الى أن قال :—

هو فخر سنار الذى عظمت به ... وجداه عم بها جميع نواحي
وتواضعت عظماؤها لعلاه إذ ... علموا بما أوتى من الفتاح
من فطنة ونزاهة وشهامة ... وشجاعة في الغارة الملحاح
يحنو على مسكينهم بتعطف ... ويسد خلقهم بخفض جناح
فلذا تراهم يلهجون بذكره ... لا يطربون بغير هذا الراح
يا من يباريه بلا فضل أفق ... أيسابق الباز بغير جناح
فالله يبقيه ويجمل سعيه ... في كل ما يهوى قرين نجاح

ويمتع الاوطان منه بعودة تهب الدواء بها لكل جراح

ومن ثم طلب العلم بالازهر الشريف حتى نال الشهادة العالمية من الدرجه الأولى وهو أول قاض عين لمديرية دنقلا في عهد الحكومة الحاضرة وهكذا تنقل لغيرها حتى توفى الى رحمة مولاه ودفن ببلدته . ولقد قضى جل حياته في حروب وخطوب وكان رحمه الله كبير النفس نبيل الخلال بعيد مرامى الهمة تغلب عليه مشابه من أبي فراس فيما تمرس به من عناء وما لاقى من متاعب وما أتقن من صناعة الشعر وما يحمل من ضخامة النفس

الشيخ عمر الازهرى

ولد سنة ١٢٧٠ ﻫ ببلدة الصوفى وتوفى في عام ١٣٣٣ ﻫ كان رحمه الله من اساطين البيان تلقى العلم بالازهر الشريف وتقلد منصب القضاء فى حكومة المهدية وبعد ان دالت دولتها وجاءت الحكومة الحاضرة ابقته فى منصبه وهو شاعر مجود كثير الشغف بالمحسنات البديعية الى حد التكلف احيانا . ولكنك مع هذا لا يسعك الا ان تعجب بشعره وان تطمئن له. واجود شعره قصيدته التي نالت جائزة مجلة الجوائب المصرية وهى هذه :—

سلوا عن فؤادي مسبلات الذوائب فقد ضاع من بين القلوب الذوائب
فلا سلمت نفس من الحب قد خلت ولا كان جفن دمعه غير ساكب
سبا مهجتي لدن المعاطف أهيف له لفتات دونها كل ضارب
ولا عيب فيه غير ان جفونه بنتها على كسر جميع المذاهب
وكم أتقي كسر الجفون لانها أعدت لتفويق السهام الصوائب
اذا ضل عقلى في ظلام شعوره هدانى محيا منه مصباح راهب
رقيق رحيق خصره ورضابه رمانى بسهم من قسى الحواجب
تجر فؤادي سين طرته وما سمعنا بجر السين يعزى لذاهب
فلا تحسبوا أني تصنعت فى الهوى فوجدى قديم لم يزل غير كاذب
بنفسي لويلات الوصال وحبذا زمان وصال كان عذب المشارب
أما وعيون العين لا شيء في الدنى ألذ لنفسي من حديث الحبائب

على م ترى يا بدر هجرى واجباً — وفيم تروم البعد من كل جانب
وحتى م لم تنظر الي واننى — أنا الجار ذو القربى بعين المراقب
يفندني فيه العذول وما درى — بان سناه ضوء سود الغياهب
وحبى له لم يخف في الكون أمره — كحب العلا مصباح أفق الجوائب
هو الماجد المفضال أحمد من دعى — بفارس ميدان الوغى في الكتائب
له الله من مولى تفرد فى الورى — بأوصاف مجد لا تعد لحاسب
سجيته نصح العباد لأمرهم — وهمته اضحت بهام الكواكب
فتى كلما اجرى يراعاً بنانه — لتحرير الفاظ اصطلاح التخاطب
ترى الدهر يزهو من سموط سطوره — على صفحات الحسن من دون حاجب
تحلى بكل المكرمات فكم له — مآثر لا تخفى وكم من مناقب
لقد شاد بيت العز من بعد ان عفا — فعادت له النعماء من كل جانب
وحاز بمضمار البلاغة غاية — بها فاق بل اضحى مناخ المطالب
اذا ما رأى سحبان فارسنا درى — فصاحته من لفظ كنز الرغائب
فانت الذي قررت كل فضيلة — وانت الذي علمت صنع الغرائب
تنزهت عن ند فلا غرو ان ترى — مدى الدهر فرداً في صدور المواكب
فيا سيداً قد طاب فى الناس سيرة — كما انه من نسل قوم اطايب
بفضلك فاقبل بنت فكر تزينت — بمدحك لا مما حوت من عجائب
ودم سالماً في بسط عيش مؤيد — بأمن وحفظ من جميع النوائب
ولا زلت اصلا للجميل ومحتداً — حميد المساعي في الورى والعواقب



الشيخ محمد عمر البنا

ولد في رفاعه سنة ١٢٦٤هـ١٨٤٨م وتوفى في ٣ فبراير سنة ١٩١٩ م ١٣٣٦ هـ وتلقى علومه بالازهر الشريف وبعد عودته بقليل كانت دعوة المهدية قد بدأت تظهر وتكسب لها أنصارها من علية القوم فهاجر الى القائم المهدى وبايعه واخلص في البيعة له واستطاع في عهد الخليفة عبد الله أن يدخل من نفسه كل مدخل وان يكون منه بمثابة المستشار الحكومي ولما جاءت الحكومة الحاضرة عينته قاضياً فمفتشاً للمحاكم الشرعية الى أن استأثر الله به وكان دمث الاخلاق لين العريكة حلو الفكاهة محبوباً لم يعرف له عدو قط ومن شعره يرحمه الله قصيدته المشهورة « الحرب صبر » وقد انشدها المهدي في الزهد حال حربه لنوبة سكان جبل الداير وكانت على اثر أراجيف اذاعها اعداء المهدية —:

الحرب صبر واللقاء ثبات	والموت في شأن الاله حياة
الجبن عار والشجاعة هيبة	للمرء ما اقترنت بها العزمات
والصبر عند الناس مكرمة ومقـ	ـدام الرجال تهابه الوقعات
والاقتحام الى العدو مزية	لا يستطاع لنيلها غايات
والعمر في الدنيا له اجل متى	يقضى فليس تزيده خشيات
فعلام خوف المرء ان غشي الوغى	نفس الكريم وحانت الأوقات
والفخر كل الفخر بيع النفس لـ	ـه العلي وأجرها الجنات
ان الجهاد فضيلة مرضية	شهدت بمحكم أجرها الآيات
قد حاز هذا الافتخار جميعه	صحب الامام السادة القادات
قوم اذا حمي الوطيس رأيتهم	شم الجبال وللضعيف حماة
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم	شهدت به يوم اللقا الغارات
وخلوقهم صدأ الدروع لحزمهم	قتل الاعادي عندهم عادات
في السلم تلقاهم ركوعاً سجداً	أثر السجود عليهم وسمات
وتخالهم يوم الجلاد ضراغماً	أسد وأسل رماحهم غابات
ركبوا الجياد وغادروا شلو العدى	رزق النسور ولحمهم أقوات

والخيل ترقص بالكماة كأنها تختال فى ميدانها فتيات
فأثرن نقع الموت في عرصاتهم وأغرن صبحاً اذ علت أصوات
وذباب أسياف المنية فوقها رعفت دماً وجلاؤها الهامات
والارض سالت بالدماء وما بها غير الجماجم والشعور نبات
ظنوا جبالهم المنيعة تقية وتوهموا ان الصعود نجاة
ذهلوا أصيحاب الامام وما دروا ان الشوامخ عندهم صخرات
عميت بصائرهم وتلك مصيبة نزلت بهم وعقولهم أشتات
يا أيها الانصار ان صنيعكم شكر الاله له وتلك هبات
أعليتم دين الاله وما بكم الا الثبات تزينه الوثبات
وشرحتم صدر الرسول محمد بالفتح وانكشفت بكم ظلمات
ورهبتم العلج الكفور بسيفكم والدين تصلح شأنه الرهبات
وسقيتم الاعداء كاس منية عبراتها ما مثلها عبرات
فصعودكم متن الجبال دلالة اذ لا يحط لقدركم درجات
فالفخر فخركم وفخر سواكم محض ادعاء ما له إثبات
أنتم جحاجحة كرام ما لكم في الصدق من شبه ولا شبهات
واذا العناية قارنت عزم الفتى نجحت مساعيه وهان ممات
خالى متي أنتم قعود تنظرو ن لوعدهم وهم الجميع خزاة
السيف أصدق ناصح في حقهم والفتك فيهم حسنته اساة
قوموا لهم وتأهبوا للقائهم ولتقصدنهم فى الديار أمات
أجلوهم من دورهم فلانهم كتب الجلاء لهم وحق شتات
خذوهم قهراً وسوموهم أذى فلكيدهم لا تنفع الحسنات
هانت جبالهم ولان شديدهم وتحيرت البابهم والذات

فتحت لكم فتحاً مبيناً واضحاً — سرت به الارضون والسموات

يا سيداً وسع الانام بحلمه — واستمطرتهم بالهدى بركات

فانهض الى الخرطوم ان بسوحه — أهل الغواية والمفاسد باتوا

بطروا وراءوا ثم صدوا معشرا — في الله لم تعرف لهم رغبات

وتكبروا وعتو عتواً فائقاً — والله اكبر والسيوف هداة

نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم — عن دينهم شغلتهم الشهوات

الله اكبر ان يدوم صنيعهم — هذا وانتم للانام رعاة

خذ جيشك المنصور لا تحفل بهم — ولتقدمن امامه الرايات

فتسوروا لهم الخنادق وافعلوا — فعل الصحابة إذ أتت غزوات

فتحوا حصون الخيبرين التي — زعموا بان حروبهم هلكات

صدقوا فان الحرب اسقى مرحباً — موتاً وما علمت لهم سطوات

فتكا وضرباً بالسيوف وطعنة — ذاقت مرارة طعمها اللبات

ونكاية تولي العدو مخامتاً — في الله ان الحرب ارهابات

فنكاية الاعداء احلى من عنا — ق خريدة لعبت بها نشوات

قوم اذا ما السيف فارق رأسهم — فجروا ولم تصلح لهم حالات

جدوا ولا تهنو ولا تبغوا على الـــــدين القويم وهؤلاء بغاة

فرشادكم عين الحقيقة واضح — ورشاد أهل البغي غويهات

قووا عزائمكم وكونوا واثقيـــــن بربكم قد امكنت فرصات

وليهن بالخير الجزيل شهيدكم — فلقد تسابق روحه الرحمات

والحور تنتظر اللقا فرحاً بهم — وتزينت لقدومهم جنات

رضي الاله عليهم من فضله — وتعرضوا فأتتهم النفحات

ألفاظ شعري شرفت بمديحكم — وتعطرت بثناكم الابيات

قد قلتها وأنا الفقير (محمد) أرجو الاقالة ان بدت عثرات
فأنا الذي خسرت تجارتي التي آبغي وآسوأ حالي الحسرات
حاشا بجنابكم المبرأ أن أرى ضيما ولي في حبكم سكرات
دمتم ودام ثناؤكم متتابعاً ماهب ريح النصر والنسمات

الشيخ احمد يوسف نعمه

ولد في سنة ١٢٩٤ هـ ١٨٧٨م ببلدة رفاعة وتلقى العلم على والده وحذق كثيراً من فنونه وأظهر نبوغاً نادراً واستعداداً عجيباً للفهم والمعرفة حتى استقام منه للبلد عالم فذ وتهيأ من فكره للناس أديب منتج واستوى منه للطلبة ينبوع ينضح الظمأ ويروي الغلة ومن شعره في مقدمة قصيدة نبوية قوله :—

في القلب من حب الحسان جراح لا ريب ان لحاظهن سلاح
حملت أثقال الغرام وفي الدجى لي من تباريح الشجون صياح
هدرت دمي تلك الحسان بحبها لا غرو حيث دم المحب مباح
فبرزن يوماً للتنزه حسرا فظننت ان قدودهن رماح
بيض الوجوه وفي المراشف سمرة وخدودهن كأنها التفاح
ونهودهن كأنها الرمان في آن القطوف بل الملاح شحاح
فلبسن أقبية الحرير كما تلا صفحاتهن من السبيك وشاح
ودخلن معرضهن بين جنينة فيحاء روح رياضها فياح
والطير يسبح باللحون وتارة يعلو له فوق السجوع نواح
والماء يلعب في الجداول جارياً والزهر يضحك اذ تهب رياح
والرعد يرعد والسحاب مظلل والبرق يلمع والاوان صباح

حييتهن مسلماً بتحية ... وسقاتهن تميلها الافراح
والراح في راحاتهن كؤوسها ... ذهبية ترتاحها الارواح
خالستهن فلم يكن مني سوى ... أشياء مازجها هناك مزاح
ها قد رغبت عن التشبب بالهوى ... ورعاً وزهداً فالهوى فضاح
وشغلت قلبي بامتداح المصطفى ... مهما يكن بسواه لا يرتاح

السيد احمد الازهرى

هو سليل الشيخ اسماعيل الولى البديري « عباسي » ولد بمدينة الابيض وحفظ القرآن الكريم بها وتلقى علومه الأولية على الاستاذ بارقا البرناوي الازهرى وغيره ومن ثم هاجر الى الازهر وانتظم في سلك طلبته وبعد اثنى عشر عاماً برز فى كثير من المعقول والمنقول ومكث يدرس به قليلا ثم عاد الى كردفان واخذ في التدريس وعند ما ثار السودانيون استدعاه الفريق عبد القادر حلمى باشا حاكم دار السودان وكلفه بعمل نصيحته المشهورة في المهدى وعينه قاضياً لمديريتى كردفان ودار فور فسار اليهما مرافقاً لحملة علي بك لطفي الا انه قتل معها فى اثناء الطريق سنة ١٨٨٣ وكان السيد احمد الازهرى ذكياً متوقد الذهن وهو من فحول العلماء العاملين ومن شعره قصيدته التى مدح بها أباه عند اخضاعه جبال كندكرو وكندكيره والشفر والكاشه فى ١٥ الحجه سنة ١٢٧٥ الموافق ١٨٥٩ ميلادية أى قبل ذهابه للازهر قال :—

أدر ذكر اسماعيل بين المحافل ... ولو هازلا واطرب به قلب غافل
ليعلم من ذكراه من نحو قلبه ... طلاوة ما يبدو لاهل القوابل
وقل لزنيم كان يجهل أمره ... أتاك أتاك الخزى اتيان وابل
فهلا علمت السم كان بلحمه ... يفرق أجزاء على كل آكل
وغيرة رب العالمين لغاية ... وإيذانه بالحرب للمتجاهل
ألم ترأن الله ميز خلقه ... بتأخير مفضول وتقديم فاضل
فقال رفعنا بعضكم فوق فاذكر ... ترى رفع بعض فوق بعض المقابل

نعم درجات خصها الله بالذي تقرب بالمفروض ثم النوافل
فلم تحصر الخيرات فيمن تقدموا فرب أخير جاز بحر الاوائل
ولكن مزكوم الخلائق لم يجد روائح عطر فاح بين الزابل
وأعشى الورى لم تبصر الشمس عينه ولم يدر ذو الاسقام طيب المآكل
فلو أنصف الكفار ما أنكروا على الـــــذين أتوا من ربهم بالرسائل
وما قتلوا بعض النبيين فاعتدوا وحادوا ولم يصغوا مقالا لقائل
فلا عجب من أن بعض أولى الشقى يؤمون دفع الفضل عن كل كامل
ولا سيما من بعض أهل زماننا شياطين أنس عصبوا كل خامل
ظواهرهم مصلوحة باحتيالهم يراهم غبي القوم مثل الأماثل
ولكن ذئاب في بواطنهم يرى علاماتهم عن حالهم كل عاقل
أراهم أعابوا فى الخروج ونحوه وفى بعض أقوال تجل لجاهل
ألم يعلموا أن الخروج ونحو ما نعوه طريق القوم أهل الفضائل
عماهم عن القرآن محض شقائهم وعما حكاه الله في فعل فاعل
أما علموا أن التآسى مجمع عليه ومن آداب أهل الفواضل
فلم تعرف الانصار الا بهجرة ولم يظهر الدين القويم لنائل
وهجرة خير الخلق كانت لحكمة وما فر موسى من عدو لباطل
نعم قوله صدق فرار أناله رسالة مولاه واحكام ماثل
ويونس لم يأبق الى الفلك عابثا أتى نبذه بعد التقام لساحل
فكم من صحابى جلى بعد هجرة من البلد المكى من تقل حامل
وكم من نبي أو ولي تجهزوا بأمر قضاء الله فيهم لنائل
لانهم لم يعصموا من بلائه بدنيا فما قد شاءه حكم عادل
وكم من ولي أخرجوه مغلغلا وكم خارج من كيد أخبث عاضل
وقد نص أهل الشرع من قول ربهم وأقوال من سادوا بهدى الخصائل

فما رغبة من إسوة قد تقدمت أكابر قوم قد رقوا بالوسائل
ووالدى اسماعيل غوث زمانه له اسوة فى خير أفضل عامل
ومن حضرة الرحمن والمصطفى أتى له الاذن حتى سار بين المحافل
وكان دليل الاذن صولته التى عليها توى فى أرض كفر أسافل
أطاعوه قهراً ثم بالقول أسلموا وكانوا الوفا ما اهتدوا لمقاتل
وكيف ولم يؤذن وان مقامه تقاصر عنه الآن أبسل باسل
فما من تجل أو شهود وحضرة وديوان سر أو تمكن جلائل
وصحو ومحو ثم سحق وختمهم وجمع وفرق ثم حوز منازل
وكل فناء أو بقاء وغير ما ذكرناه الا أنه باب داخل
فذا عصره لا ثم فيه معاصر فقم نحوه واترك هوى المتكاسل
ولا تعتبر أقوال غمر ومنكر على أولياء الله من غير طائل
يقوم بدفع الاذن ينفى صدوره من الله والمختار فى أى نازل
ويزعم أن الاوليا كان فعلهم عن النفس لا بالاذن من غير فاصل
لذلك عندي سيف نص موضح أجز به رأس الجهول المجادل
ولو كان ذو الانكار عالم عصره سأدرعه درعاً بأوفى دلائل
ولست أبالى من تعنت بعضهم ولو كان قس منهم وابن وائل
فبحري طويل حيث صرعت وزنه بثاني ضروب من فعول مفاعل
فها ابن اسماعيل أحمد مادحاً ذخيرته في كل ماض وقابل
يروم بها منه الرضاء لنفسه واخوته اهل الوفاق الكوامل
خليفته المكى فهو محمد كذا مصطفى البكرى مع كل واصل
وكل محب جاء ينصر حزبه من الاقربا أو من شتيت القبائل
وأنصاره من بادروا لوصاله ومهديه من حاز قمع المحاول
وأصحابه أهل الشهود الذين لا يرى مثلهم في الارض من متناول

فانهم عين الدليل بأنه مرب بارشاد وبغية سائل

رضاه الاله قد يحف جنابه وينقذنى من سوء خبث الرذائل

صلاتي وتسليمي على أشرف الورى محمد من لى اليوم أعظم كافل

وأصحابه والآل ما قال قائل أدر ذكر اسماعيل بين المحافل

محمد بك راسخ

ولد بمدينة بربر في سنة ١٢٣٣ ﻫ ١٨١٨ م وبعد ان تعلم القرآن الشريف هاجر لمصر للانخراط مع اخيه الشيخ عمر الطالب بالازهر ولكنه بعد وصوله القاهرة قيض الله له عطف سمو الامير حيدر باشا فادخله المدرسة مع انجاله صفر بك ومحرم بك وبعد ان اتم دروسه الابتدائية بمصر بعث مع ولدي الامير الى احدى جامعات باريس ليتعلموا بها ثم الى تركيا وهناك عاد الى القاهرة مع زميليه الاميرين بعد ان اجاد اللغتين الفرنسية والتركية ثم انتدب لمأمورية بالسودان كرئيس مجلس لحل بعض المشكلات القضائية وبعد الانتهاء عاد لمصر ثانياً ومن ثم عين وكيلا لسكة حديد السودان كما وجدته بعدد ٧٢٦ من جريدة الوقائع المصرية الصادرة في يوم ١٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٤ الموافق ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٧ ثم عين مديراً لسنار كما ذكر ايضاً بجريدة الوقائع عدد ٧٥٥ الصادر يوم الاحد ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٩٥ الموافق ٧ ابريل سنة ١٨٧٨ ثم نقل مديراً لبربر ثم دنقلا ثم سنار ثم كردفان ثم الخرطوم وقد توفي فى الاخيرة ودفن باحتفال مهيب في شرق قباب الباشوات تجاه جامع الخرطوم ومن شعره قصيدته التى امتدح بها الشيخ اسماعيل الولي الكردفانى وهى ما تزال محفوظة عند تلامذة السيد مدروجة فى نظام التراتيل الدينية وهي هذه :ـــ

الا يا طالباً أقصى المقام بوصلك للحبيب بلا انصرام

عليك بصدق قول واهتمام دع الدنيا وطف نحو الكرام

تنل شرفاً وتحظي بالمرام

اذا رمت الوصول بلا ارتياب فخل اللوم واصبر للعتاب

وكن عبداً ذليلا فى انتساب وقف بالبابه والزم للجناب

تجد فتحاً الى دار السلام

خلى البال خل اللوم عني فلست أحول عن حبي وإني
بمن أهواه قد احسنت ظني بذا الاستاذ اسماعيل اعنى
ولي الله ذا الفيض المدام

فان رمت الوصول الى حماهم فخل اللوم واصبر لتضاهم
فان خلوا فكن بين يديهم وانجال على أثر تراهم
شبيه الدر فى حسن النظام

رجال الله هدي عن كل ريب ومن يرتب بهم يأذن بحرب
هو البطل المفرج كل كرب هو القطب الذى يرجى لخطب
هو الجبل المتين بلا انفصام

سبيل الرشد مشكاة الجمال فمن يهوى لها سهر الليالى
عليك بشيخنا فحل الرجال هو الحبر الهمام أبو المعالى
هو المصباح يهوى في الظلام

فكيف أخاف عن ذلل وعثرى ولى سند ومدخر لعسرى
نهاية مأربي فرجى ويسرى هو السر الذي لازال يسرى
هو المدد المديد على الدوام

بأعباء الخلافة حيث قاما على الدين القويم غدى قواماً
حوى شرفاً وفضلا واحتراماً بعقلى ونقلى تسامى
كذا بكرامة بين الانام

محمد راسخ قد قال نظما لاستاذ الحقيقة في المقام
فصلى يا إلهي ثم سلم على طه المظلل بالغمام
كذا آل وأصحاب كرام

حيث المفاخر مضروب سرادقها — والنور يلمع في الاكوان زاهره
مليك حسن وإحسان وأبهة — جلالة المجد سامتها عساكره
تمدنت مصر من آداب سيرته — وسامر الفخر من كانت تسامره
نامت رعاياه فى ظل الامان كما — سارت مزاياه نعم الفضل ناشره
هذا الخديوي الذي سحت فضائله — على الرعية مذ فاضت بواكره
وفق لامور الخير مجتهد — في راحة الخلق حتى قام ناصره
تبارك الله من بالفضل كمله — ونال ما كان فى الالباب ضامره
سامت به مصر افلاك السماء علا — لم لا وفيها ملاك الامر ظاهر
تباشرت بربر في يوم مجمعها — بولد فيه نال الخير ناشره
أعاده الله في كل العصور لنا — مذكراً لمليك عز شاعره
أبيات شعر بدت فيه على عجل — من نجل هاشم من طابت عناصره
مقامه بربر فيها بمدرسة — فانظر له نظرة تعلو شعائره
ا انشدت يا مليك الفخر في ملأ — اليمن أقبل بالاحسان طائره

تلك كلها أو جلها صور من الادب فى القرن الماضي ليست كل ما انتج/وما كنا لندفع بها الى القاري من غير ان تكون لنا عندها وقفة الناقد المتنخل ينفضها بأنظاره ويتعرفها بمحكه فلا يبقى منها الا ما يثبت على النقد ويقوى على الامتحان ولكنا نؤثر أن ندعها هكذا الى غيرها مما تكون مهمة النقد والتمحيص فيه مهمة شاقة وعملا عسيراً أما هذا الذي قدمنا فان الضعف الذي عنده وان القوة التي فيه وان المقدار الذي اصاب من كليهما ليكاد كل هذا يحدثك عن نفسه من غير أن تجهد فى تعرفه وذلك ما يلبس عليك أمره فى شعرنا الحاضر ولهذا فنحن نمد القارى، ان نقف له هذه الوقفة عند هذا الشعر فيما نتخير من صوره التى نرى أنها أجدر بالعرض وأحق بالتقديم

الشعر فى هذا العصر

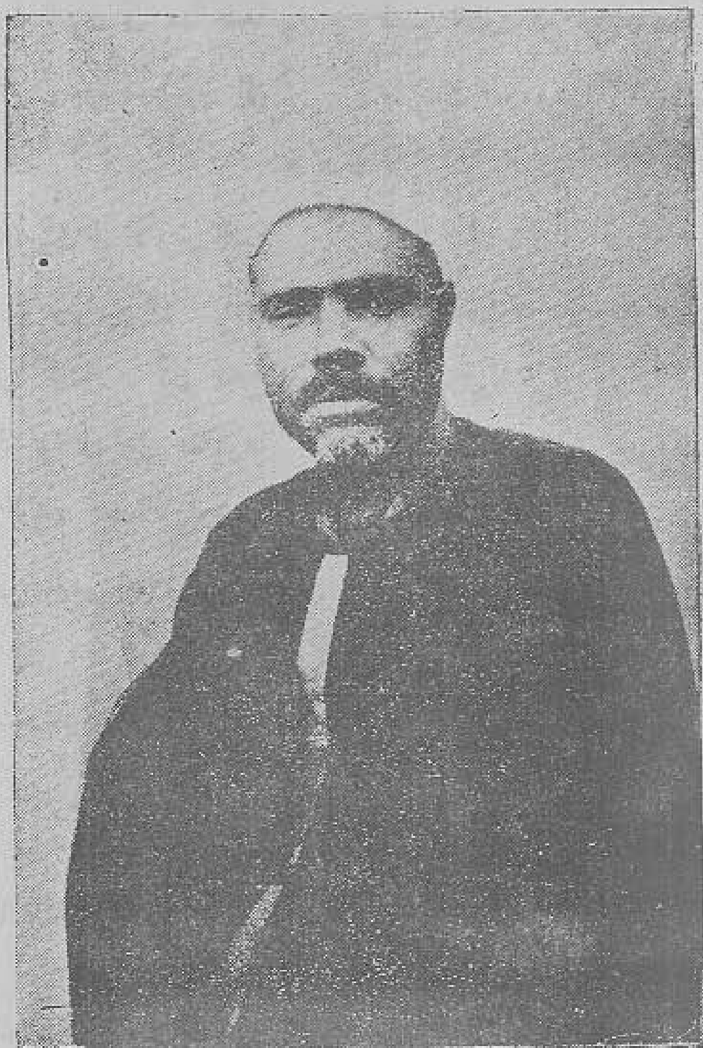
(١٥)

ومن الشعراء الآن شيوخ وشباب يقوم الامر بينهما على فرقة في السن محققة ، وعلى انقسام فى الادب مشهود ، ولو كان هذا التغاير قائماً على أساس من نظام الحياة في العرف ، وافقاً على قانون الانصبة من القوة ، والقسمة من الفتوة ، لكان الامر يومئذ للشباب وحده . ولكن يشاء ربك أن لا يجري الامر على قياس بين الشيخ والشاب في عالم الفكر ومضطرب الادب فهما فيه فرسا رهان يتقدم أحدهما الآخر حتى يقال أوفى ، فيتقدمه هذا حتى يقال أدرك

يتناوبان السبق كل فى المدى ... يطوي لغـايته الزمان ليدركا

وهما المدى يتفاوتان أعنة ... هذا بذا وكلاهما لم يوشكا

وان من هؤلاء الشيوخ لشباباً فوق الشباب بكثير توفر لهم النضوج والخصب وتهيأ لهم النشاط والقوة في حين يزهو عنصر الشباب بعضله يدك به كل عرف ويحطم به كل قائم . على أن رأينا في كلا الطائفتين رأي قدمنا منه بعضاً وأرجأنا منه بعضاً آخر هذا مكانه . فنحن نرى ان في انتاج بعض الشيوخ تقليداً الى غير حد يقابله فى بعض الشباب تطرف الى غير حد . وأنت معي في أن التوفيق بينهما عسير كل العسر ومثلهما كمثل المصفد المطمئن الى قيده الناعم به ، والمتحلل الحر المتخوف أن يمد الى هذه الاغلال يده ، ويحسبه ان يرى القيد ليذوب فرقاً وذعراً ويتوزع اضطراباً ورجفة فلا شيء أبغض اليه ولا أقذى لعينيه من قانون يقصد به الحد من حريته الطافرة الواثبة حتى ولو كان ذلك القانون هو « النحو » بالنظر الى التعبير او « العرف » بالنسبة الى الحياة . إنه قد لا يؤمن بشيء من هذا أحياناً فكل م يحمل فكرته فهو صحيح وكل جو أمده بهذه الفكرة فهو جوه وهم بهذا يعبدون للادب العالمي الذى لا يعرف بلداً بعينه ويحاولون ان يشركوا الانسانية كلها في متاع أدبى واحد على اختلاف طبائع التربة التي تنبته . ذلك هو حال الشباب . وأما الشيوخ فبقدر ما أسرف أولئك في التهوس والثورة أسرفوا في القبوع والاستقرار وانقطعوا الى طريق ما تزال بهم حتى تسلبهم اول شيء (الذاتية) التى هي من الزم لوازم الادب في التمييز بين الانتاج وحتى تضيف الى كل رطل من حقيقتهم عشرين رطلا من حقيقة الشاعر العربى القديم فالى اي حد ترى خصائص هؤلاء واضحة قوية متميزة في جو هذه الاخلاط والخصائص . وأنا لا أطلق هذا الحكم ليصدق على كل شيخ ولا كذلك أيضاً لينصرف الى كل



الاستاذ عبد الله عبد الرحمن

الشيخ عبد الله عبد الرحمن

ولد سنة ١٨٩٢ م ١٣٠٩ بجزيرة توتي تجاه الخرطوم من والدين محسي الجنس ينتميان الى الانصار وابتدأ قراءة القرآن الكريم بتوتي واكملها بام درمان على حضرة الفكي محمد الأمين خال عمه الاستاذ الشيخ محمد الشيخ الامين الضرير وكان انتهاؤه من حفظ القرآن الكريم سنة ١٩٠٣ م سنة ١٣٢١ ه ثم لازم والده متنقلا من بلد الى بلد لطلب العلم عليه وكان والده قاضياً شرعياً فسافر معه الى ابى حمد فدنقلا الاردى فالقطينة واخذ عليه النحو والصرف والفقه والتوحيد وعلم الفرائض

وفي خلال ذلك كان مواظباً على مدارسة القرآن الكريم كل ليلة خشية ان ينسى كتاب الله

وفى اكتوبر سنة ١٩٠٦ التحق بقسم المعلمين والقضاة بكلية غردون وفي اكتوبر سنة ١٩١١ تخرج من القسم المذكور مدرساً للغة العربية بالمعارف السودانية

وكان مدة طلبه بالكلية فى العطل المدرسية يطلب العلم على عمه المرحوم الشيخ محمد بن الشيخ الامين الضرير المتوفى سنة ١٩٣٣ م وما يزال الى الآن مدرساً بمعارف السودان وهو من مشاهير شعراء البلد

وهذه قصيدة له نشرتها مجلة الرسالة على اثر المساعى التي كان يبذلها بعض ادباء مصر والسودان للتوفيق بين الأدبين سنعرض لها بالتعليق بعد قليل :—

نبهت منا فؤاداً غير سهوان	وجئتنا بحديث ممتع دان
(محمد بن جلال)«١» قد نطقت بما	نحسه من أحاسيس ووجدان
دعوت للادب العالى يحرك من	بنى العروبة من مصر وسودان
وصحت بالقائلين الشعر بينكم	أليس عندكم السودان ذا شأن ؟
ما للمسارح لم تخرج روايته	وللرواية منه ألف ميدان !
وكيف لم تهزز الكتاب ما عصفت	به الحوادث في سر وإعلان ؟
مضى يثابر لم يفطن له أحد	كأنما القوم من هى بن بيان (٢)
فقلت لله مصر شد ما عنيت	بكل فعل عظيم النفع إنساني

(١) الاستاذ محمد محمود جلال صاحب المقال المنشور في عدد الرسالة ٨٣ (حول ١٩ يناير)

(٢) علم لمجهول النسب والعين

وتلك قولة حق ما أبر وما أحقها أن لها يسعى الشقيقان

* * *

ما كان اوفقه لو ضمنا ادب له الكنانة والسودان ركنان
ينم عنا وعنكم غير مختلق لا كالذي عب من زور وبهتان
يقلم الظفر من ساع لتفرقة ويقصم الظهر من داع لهجران
والناس من بات يشقى من جهالته حياً سيشقى بها في العالم الثاني

* * *

كم للطبيعة في السودان من فتن وكم لأطيارها من سحر ألحان
ما أكثر الملهمات الشعر فيه وما أمدها للاديب اهادم البانى
الرمل عند ضفاف النيل تحسبه لعس الشفاه جلاها بيض أسنان
وظلمة الليل فى العتمور (١) ملهمة خوالد الشعر ترويها الجديدان
والسرح والسدر والجميز كارعة من صيب القطر أو من فيض غدران
ما للكهارب سلطان على قمر ولا على الشمس سلطان لبنيان
كل تسيل على الآفاق غرته فتملا النفس من حسن واحسان
وللحوادث تلعاب بساحتها تملى علينا شروداً ذات ألوان
اذا مررت من ام درمان فى كرري (٢) ألقى عليك القوافي الخالد الفاني
من كل من صدقت في الله همته وراح لم يحتمل ضيما لانسان

---

(١) العتمور: الصحراء الواسعة بين وادى حلفا وأبي حمد، ما بها ماء ولا نبات، يقطعها القطار في إحدى عشرة ساعة

(٢) كرري جبال شمال مدينة أم درمان كانت فيها الوقعة الفاصلة بين جيوش المهدية وجيوش الحكومة الحاضرة

* * *

كم بالجزيرة (١) اوسهل القضارف من مزارع حلوة المرآى وأقطان
وحلة ذهبت فى جودها مثلا ومنزل فيه تتلى آي قرآن
الله اكبر! تدوى فى مساجدها فتعمر القلب من دين وإيمان
والقوم سمر وجوه يسرعون إلى ما ينبت العز من إكرام ضيفان

* * *

وفي ابا (٢) حيث تلقى الأرض كاسية والطير خاطبة من فوق أغصان
تهش للزائريها كل آونة وتملا القلب من روح وريحان
هناك في كردفان أي متدع للطرف في بارة أو أرض خيران
حيث البداوة فى اجلى مظاهرها والابل طالعة من بين كثبان
ما أجمل الريف مصطافاً ومرتبعاً وغادة الريف في عين وغزلان
الخد لم ترع موسى (٣) في جوانبه والجيد من حسنه عن زينة غان

* * *

فان يكن شعب بوان (٤) ازدهى نفراً ففى البطانة (٥) كم من شعب بوان

(١) الجزيرة: الارض التي بين النيلين الابيض والازرق، والقضارف بين احد مراكز كسلا شرقي السودان

(٢) جزيرة ابا فى النيل الابيض، بها مزارع السير السيد عبد الرحمن المهدى، وبها متعبد المهدي اي « غاره »

(٣) السودان تتخذ الشلوخ وهي افصاد في الخدين طلباً للجمال، وهذا في الحواضر اما البوادي فلا تتخذه فى الغالب

(٤) شعب بوان كان احد منتزهات الدنيا بفارس

(٥) البطانة الارض التي بين النيل الازرق ونهر عطبرة، وهي مراع حسنة ذات مياه واشجار بها من العرب بنو ذبيان والشكرية والبطاحين والكالاب والكميلاب والعبابده والحمران، وهي الآن فى نظارة الشكرية

فأنت تري ان هذه القصيدة لم تغفل نصيبها من الاداء القوي واللغة السمحة والتعبير المشرق المتألق بجانب حرصها على ان تكون سودانية عريقة النسب نازعة بأعراق شتى الى حقيقة صور الحياة فى هذا البلد فهي — في بعضها — قطعة من جمال الطبيعة في السودان بقدر ما استطاع الشاعر ان يصل اليه بفكره وان يجلوه في احساسه وإلا فان ما توفر اليه الشاعر فى قصيدته هذه هو أظهر ما يطالعك فى جمال السودان وهو كله او جله مما يتأتى نقله بالفوتوغرافيا ، ولكن المقدرة فى انه أفاض عليه من الروعة وتصيد له من الالوان ما لا قبل مطلقاً لعدسة الصور به فاسمع الى قوله

والسرح والسدر والجميز كارعة من صيب القطر او من فيض غدران

والى يخيل الى ان كلمة « كارعة » هذه تمتص كل ما في البيت من عذوبة لتستجمعها فيها وحدها — وقد يوافقني الشاعر على أن هذا البيت الجميل المنسجم السائغ تقع منه في آخره علي جفوة جنتها عليه اضافة مباينة لاخرى سبقتها في جملة من « صيب القطر » فان الدقة الفنية تقضى ان تكون الجملة المتضايفة بعدها هكذا « او من فيض الغدران » ولكنه كان يلحظ الوزن . وذلك على اية حال ذوقي الخاص ، ولو كنت مكانه لنكرت الاضافتين أو لعرفتهما معاً . ثم انظر الى جمال هذين البيتين

ما للكهارب سلطان على قمر ولا على الشمس سلطان لبنيان

كل تسيل على الآفاق غرته فتملا النفس من حسن واحسان

وهو جمال لاحد له ينبسط مع الشمس فيملا النفس من اللذة والبهجة بقدر ما تملأها غرة الشمس والقمر من الحسن والاحسان ، ولولا نبو التقديم والتأخير في قوله « ولا على الشمس سلطان لبنيان » لاستقام لهذين البيتين الكمال الادبي الذي لا يوجد . على ان الشيء الذي لا افهمه على منحي من مناحي التخيل قوله « بكل وجه الى الفنان فنان » فتلك سفسطة شعرية لا تنطوي على ما يفيد او يمتع . والقصيدة كلها في درجة ان لم تكن قريبة من المثل الذي نريده ان يتحقق واضحاً بليغاً فى شعرنا السوداني بريئا من المآخذ ، آخذاً بنصيب لا مطمح بعده من الجودة والابداع فليست بعيدة كل البعد من هذا وانها لتقدم لنا نموذجاً للادب السوداني المترقب وتضع اللبنة الاولى في بناء أدب سوداني يختلف على صور الحياة في مسارح البداوة ومكامن والحضر . وما ادري لما ذا قصر الشاعر عنايته على استجلاء صور البداوة وحدها في الغالب ولعل السبب أن الحياة السودانية والجمال السوداني والحقيقة التامة للمجتمع السوداني بمعناه انكمشت وتجمعت فيما وراء مضارب البدو الذين لم يمسخهم الله انكليزاً سودانيين من بعد ؟ ولم تعد الظباء ولا الغزلان عندهم عجائب تجلب الى حدائق الحيوانات ليستمتع بالنظر اليها اللاهون ! ولم تشغل عليهم احاديث التنس والجلف والبنج بونج والبلياردو مجامع سمرهم ومفاض احاجيهم ومطرح اقاصيصهم

الفوضى

وفوضى على الاكوان جرت ذيولها ... وبات يعانيها مسود وسيد
مظاهرها فى كل ناد ، وإنما ... عواقبها موت الشعور المؤكد
فشت فى زمان فاض غدراً بأهله ... ودب الى آدابهم فيه مرقد (١)
لنا لغة أما بنوها فأنكروا ... فضائلها والمنكر الحق ملحد
همو جهلوا منها علوماً كثيرة ... وفاتهمو منها المعين المجدد
وما قدروها في الغني حق قدرها ... وكانوا أناساً للاباعد أخلدوا
وآياتها فى كل يوم وليلة ... تثنى ، ولكن بالمحامد تفرد
أرادوا ، وظلم ما ارادوه بين ، ... بما لم يكونوا فاعلين ليحمدوا
اذا نظروا للاولين مقالة ... ولم يفهموا ، قالوا : كلام معقد
وان لمتهم يوماً اشاحوا بوجههم ... وارغوا كما يرغى البعير وازبدوا
همو زعموا ان الزمان مؤخر ... وما لزمان في تأخرنا يد
ولكنه لما وهى حبل خلقنا ... مشينا كما يمشي الاسير المقيد

* * *

لقد منيت ام اللغات بفتية ... طغام على اعلامها تتمرد
وقد اشربوا حب الاعاجم فابهروا ... الى هذه الفصحى سهاماً تسدد
تواصوا بشر وهو كتمان فضلها ... وقالوا بأنا معشر لا نقلد
وقالوا لقد ضاقت عن العصر حاجها ... وفى وجهها باب الثقافة يوصد
وقالوا بأنا انجبتنا معاهد ... واوحت الينا يا بني العصر جددوا
وما هو تجديد فنكبر امره ... ولكن دعاوى منهمو وتزيد

(١) المرقد : شراب يخدر

وهل ينبغي التجديد الا لعالم — له في فنون الضاد رأي مسدد ؟
قضى زمناً في البحث والدرس جاهداً — فقرت له الفصحى بما هو مورد
حوى قصبات السبق في جيله وهل — حوى قصبات السبق كسلان قعدد ؟

* * *

اقول لمن قالوا شهدت لها وقد — تعاليت فيها . لكن الله يشهد
وهل كان الا الله داع لرفعها — وبناؤها الا النبي محمد
أرى الخرق يزداد اتساعاً بثوبها — وعار علينا ثوبها يتقدد
تمسك قوم بالجديد فاتهموا — وعاق بالعادي (١) قوم فانجدوا
وبين الفريقين استحرت كما ترى — حروب . وخوفي انها ليس تخمد
فما لبني الضاد الكريم تفرقت — سبل والحق لا يتعدد
ومرشدهم ضل الطريق فما عسى — يكون سوى الخسران ان ضل مرشد ؟

الشعر

لعمرك إن الشعر اضحى محنتاً — قوافيه من تحنانها تتأود
واصبح غثاً في الركاكة ضارباً — بسهم ، وعما سنت العرب يبعد
وامعن في لين ومجس مطالب — وكاد على ايدي التشاعر يجمد
لقد خمدت بالقوم نار حمية — تلظى ، وخوفي انها ليس توقد
فحتى متى نغفي الجفون على القذى — وحتى متى نغني بما ليس يحمد ؟
إذا ما اسود الغاب خلت ذئابها — تعيث فان الحرث والنسل يفسد
لقد هاجني أني ارى الروض باسما — ولست أرى فيه بلابل تغرد
وقد هاجني أني ارى الربع مقفراً — وليست له انفاسنا تتصعد

«١» العادي القديم نسبة إلى عاد

إذا الشعر لم يترك بقلبك روعة ... فلا هو سيار ولا هو جيد
وإن هو لم ينهض بأعباء أمة ... فذاك هراء ميت قبل يلشد
وإن أنت لم تذعن لآيات سحره ... فقل انني بين الخلائق جلمد
إذا ما شياطين النفاق تمردت ... بأرض فباسم الشعر في الأرض تطرد

كتاب العصر

ولا أكذب الرحمن في العصر انجم ... حماة لماء من غيرة تتوقد
وصيابة (١) أدت أمانة قومها ... وقامت على ضوء (الرسالة) ٢) ترشد
يطالعنا (الزيات) فيها بنافع ... من القول لا يدنى ولا يتقيد
(وهيكل) في أثوابه أي كاتب ... خصيب إلى خير الاساليب يعمد
ولله طه بن الحسين فانه ... على نثره الفذ الخناصر تعقد
وان تذكر الكتاب فاذكر غريبهم ... (شكيبا) ففي آثاره ما يخلد
حمى حوزة الدين الحنيف وغادرت ... جوائبه (٣) الدنيا تقوم وتقعد

شعراء العصر

(ومطران) يسمو للخيال مصعداً ... افيآفه وحشيه المتأبد (٤)
ويعجبني شعر (المراوى) فانه ... رصين قويم ليس فيه تجعد
جميل الزهاوي والرصافي كلاهما ... هو اليم في آذيه (٥) يتزبد
أقاما بأرض الرافدين ليرفدا ... وودا لو ان الناس طراً تبغددوا

---

(١) خيرة القوم
(٢) مجلة الرسالة التي يحررها الاستاذ الزيات
(٣) مقالاته التي تجوب البلاد
(٤) المتأبد المتوحش
(٥) الآذي : الامواج ، والرافدين : الدجلة والفرات

السودان

وكانت لنا في غابر الامس نهضة ... مباركة لا اللهو منها ولا الدد
فعبد الرؤف و(الخطيب)«١» كلاهما ... له بيننا الفضل الذى ليس يجحد
هما حركا منا النفوس وانشرا ... علوما على اضوائها اليوم نصعد
وقد طالما هزا النفوس بطيب ... من القول يرضاه الوليد والحد
ولاحا على الخرطوم نجمي معارف ... به وعوادي الدهر إذ ذاك تولد
وفي اليوم قد شابت وشب وليدها ... ومارسها منا كبير وامرد
وذلك عهد قد سعدنا بظله ... لو ان الكريم الحر فى الدهر يسعد
فآليت لا أنسى له فضل نعمة ... علي والاحسان مني ممجد
أولئكم الكتاب آساس نهضة ... وكنز ثمين للثقافة يرفد
هم العائشون في نفوس كثيرة ... وفي كل قطر من صنائعهم يد
تخيرتهم بين الانام لفضلهم ... وأكبرتهم ان كنت للناس انتقد

الى العرب

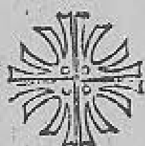
بني العرب في السودان والشرق كله ... بكم ولكم يورى زنادي ويصلد
اميتوا فان الوقت سيف مجرد ... عليكم ووقت الناس في الغرب عسجد
اذا لم نشخص داءنا فدواؤنا ... عسير وفي إغفاله ما يهدد
يهدد نهضات بدت في شبابنا ... جديداً وخوفي انها سوف ترقد
علوم اللسان لو علمتم كثيرة ... وفي جهلها ترك لما هو أوكد
واولها ان تروهي الشعر ناصعاً ... عن العرب لا يسمو اليه المولد

«١» عبد الرؤف سلام وفؤاد الخطيب كانا مدرسين بكلية غردون

وان تقتل الالفاظ فهماً وتنتقي — أحاسنها يوم الكتابة تقصد
فياليت شعري هل ملائم وطابكم — من العلم حتى تكرموا وتمجدوا ؟

* * *

هلموا نوادي العلم في كل بلدة — تقول لكم ان الطريق معبد
الى حاملي الاقلام من كل ملة — الى العرب في أي الاماكن توجد
نظمت لكم مما احس قوافيا — لعل اماني اليوم يأتي بها الغد
وهبات يسمو الكرامة في الورى — اديب عن الانتاج في الفن يقعد
فان تنصرو العرب الاكارم تنصروا — وان تخذلوها فالبقية تفقد
اناس متى ما تطلب مشبهاً لهم — طلبت من الاشياء ما ليس يوجد





الاستاذ عبد الله محمد عمر البنا

الاستاذ عبدالله محمد عمر البنا

ولد برفاعة يوم الخميس ٢٤ شوال سنة ١٣٠٨ هـ ١٨٩١ م وتلقى القرآن الكريم في بيته ثم ارسل الى مدرسة رفاعة الاولية ومنها الى قسم المعلمين بكلية غردون حيث تخرج منه مدرساً في الكلية نفسها أول الامر وفي المدارس الوسطى بعد ذلك، وفي الكلية مرة ثانية ثم أعيد الى حيث هو الان.

والاستاذ البنا ليس فى هذا البلد من يجهل مكانته الادبية فقد عرف فى الرعيل الاول من شعراء السودان يوم كانوا قلة ويوم كان المجودون منهم اقل من جيد الشعر الآن. وهم مع هذه القلة التي كانت معينة على شهرتهم جميعاً وتجويدهم جميعاً والتي كانت عوناً لهؤلاء أن يستأثروا باعجاب الناس بهم سواء بسواء فان البنا منهم لم يكن برضيه او يقنعه الا ان يفتح لاتناجه مكاناً خاصاً من قلوب القوم الذين انسوا منه ذلك فمهدوا له السبيل الى انفسهم من غير ان يجهد كثيراً في هذا. وتلك الميزة التي اختص بها من عشاق الادب وانصاره فبلغوا به الى ما يريد ومكنوا له في دولة الادب اذا اضيفت الى قوة الاستمرار وما عادت به من الخير على ادبه كانت ميزة كبرى لم يغفل البنا استغلالها ولم ينم عنها حتى عاد اسمه ولكأن قد اقتطع من صلب الشعر ..!

والمشاهير واصحاب الفنون المختلفة اذا بلغوا الى الحد الذي تكاد اسماؤهم فيه تحمل بعض الدلالة على اعمالهم كل فيما آثره وانفرد به فاعلم يومئذ انهم اصبحوا ملكاً لهذه الفنون والصنائع وان اسماءهم عادت اكثر انصرافا اليها واشد دلالة عليها منهم. والحق ان اسم الاستاذ البنا يعود كغيره من اسماء مشاهير الفنون المختلفة. ومن من هولاء الناس ان قيل البنا لم ينصرف فكره الى الشعر قبل أن ينصرف الى هذا الواحد من الناس.. وقد قلنا إن لقوة الاستمرار أثرها في انتاج البنا وفي تدعيم مركزه الادبي. ولكن هذا الاستمرار كان قد انقطع سنين طوالا على اثر صدور ديوانه ولعله كان قد قنع بما أصاب من تقدير واطمأن الى إكبار العصور المقبلة وتقديرها واعجابها به بعد ان سجل له في قائمة الشعراء ديوانا له خطره على الاقل فان عاش كثير من الاقدمين على دواينهم عيشاً قويا لا ينقصه الان يترددوا احياء على الارض فاجدر به هو ان يحيا عليه بقية ايامه وان يعيش عليه الدهر كله. ولكن مايكاد يطمئن الى هذا الرأي سنين حتى يعدل عنه وحتي يخرج الى الناس متلمساً أثره القديم فيهم، بادئاً من حيث انتهي، محاولا ان يمضى في تشييد اثره الادبي وان يضيف اليه كنوزاً اخرى في مثل قيمة تلك أو اكثر ولكن بعض الناس يسرفون فيقولون إنه لم يضف اليه شيئاً وان انقطاعه قد اثر فيه ونحن نعرض له هنا قصيدتين كانتا هما فى تحية العام الهجري نظمت احداها وهى «ياذا الهلال» منذ عهد ليس بالقريب والاخري فى هذه السنة ١٣٥٥هـ تاركين للقراء امر المقارنة والمقايسة وأمر الحكم بين من يقولون بهذا ومن يقولون بغيره. ومهما يكن امر البنا فهو احدى دعائم الشعر القويه فى هذا البلد — وهذه هي اولى القصيدتين:—

يا ذا الهلال

يا ذا الهلال عن الدنيا او الدين ... حدث فان حديثا منك يشفيني

طلعت كالنون لا تنبك في صغر ... طفلا وانك قد شاهدت ذا النون

سايرت نوحا ولم تركب سفينته ... وانت أنت فتى في عصر زبابين

خبر عن الاعصر الاولى لتضحكني ... فان أخبار هذا العصر تبكيني

خبر ملوكا ذوي عز وأبهة ... ان الملوك وان عزوا الى هون

وارمق بطرفك من بغداد داثرها ... واندب بها كل ماضي العزم ميمون

سلها تخبرك كم ضمت مقابرها ... من ذي حفاظ وبذل غير ممنون

سل دار عاتكة عن شأن عاتكة ... فيها وعن سائل فيها لهارون

وسل زبيدة عن قصر تبوأه ... بعد الامين حسام الشهم مأمون

سلها عن الجيش جيش الله أين مضى ... وكيف جرد من ماض ومسنون

اخلى منابرها من في مقابرها ... من كل متضح الآثار مدفون

وقبلها ابك دمشقا انها فجعت ... بسادة عمروا الدنيا أساطين

وسل معاوية عن شاتميه فكم ... عفا وأعطى برأي منه مرهون

يأسو جروح مقال ليس تؤلمه ... بالمال والمال من أجدى القرابين

هي السياسة تأليف وبذل ندى ... واللين والصفح كل المجد في اللين

هي التي حكمها بين القلوب له ... على رقاب الورى أمضى القوانين

وعهد طيبة فاذكر فيه كل فتى ... جم الاياد من الشم العرانين

واذكر ليالي للفاروق أرقه ... فيها التقى وحنان للمساكين

وكم تفجر فيها المصطفى كرما ... عطفا ورفقا لبادي الفقر محزون

انى بكيت على ماض تكفل لل ... مجد الاثيل بفخر غير ممنون

أحبتي ودعاء الحب مرحمة ... لا يحزننكم بالنصح تلقيني

فرب قول غليظ اللفظ باطنه ... رحمى ولين بحفظ الروح مقرون

ترضون بالدون والعلياء تقسم لا ... تدين يوماً لراضي النفس بالدون
والمجد ينأى فلا تدنو مراكبه ... من الجبان ولا ينقاد بالهون
تفرق وتوان واتباع هوى ... ان الهوى لهوان غير مأمون
والحادثات تريكم كل آونة ... ان التقاطع من شأن المجانين
فلا اعتبار ولا رقبى لنازلة ... ولا احتياط ولا رحمى لمغبون
بليتم وبلايا الدهر ان نزلت ... فالصبر يكشف منها كل مدفون
بامة جهلت طرق العلاء فلم ... تسبق لغاية معقول ومخزون
فللمدارس هجران وسخرية ... وللمتاجر ضعف غير موزون
وللمفاسد اسراع وتلبية ... ولا التفات لمفروض ومسنون
والناس في القطر أشياء ماهقة ... فان تكشف فعن ضعف وتوهين
فمن غنى فقير في مروءته ... ومن قوي بضف النفس مرهون
ومن طليق حبيس الرأي منقبض ... فاعجب لمنطلق في الارض مسجون
وآخر هو طوع البطن يبرز في ... زي الملوك واخلاق البرازين
وهيكل تبعته الناس عن سرف ... كالسامري بلا عقل ولا دين
يحتال بالدين للدنيا ليجمعها ... سحتاً وتورده في قاع سجين
أحبتي هي نفس هاج هائجها ... من الشجون فلم تبخل بمكنون
هززت منكم سيوفاً في مضاربها ... هون الطريح وارهاب المطاعين
ان الحياة لمضمار اذا ازدحمت ... به الرجال تردى كل مفتون
لها وسائل ان شدت أواصرها ... تبين المجد فيها أي تبيين
تواضع وتوان واتباع هوى ... والصبر والحزم ازكى في الموازين
فاحسنوا انما الاحسان واسطة ... للعالمين به في كل تمكين
ثم انشروا من شريف العلم انفعه ... فانما هو معنى كل تمدين
العلم زين وبالاخلاق رفعته ... ان قارنته يد في خير تزيين
ان الخلائق ان طابت منابتها ... كانت لكسب المعالي كالبراهين

وهذه هي القصيده الثانية وقد انشدها الاستاذ فى تحية هذا العام — ١٣٥٥:—

بسم الهلال

بسم الهلال فخط لما أسفرا … عبر الحياة على الزمان وسطرا

هو في الحقيقة ثغر عام مقبل … يفتر من شمم بهام أدبرا

ينعى عليه كما نعي من قبله … أدبًا يبور وحكمة لا تشترى

وخلائقا كدرت وكانت قبله … بين الانام تفوح مسكا أذفرا

أو ليس في الماضي تشتت شملنا … وغدا على حكم الزمان مبعثرا

وتمنن الداعون للبلوى به … هذا بكيد وذا بجابه مظهرا

حتى استكان فخارنا متذللا … وهوى به أجنب العلا متكسرا

قل للعمائم وهي عنوان الهدى … عار على الهادين تضليل الورى

رسل الفضيلة أنتم فلام لا … ترقون في صرح الفضيلة منبرا

ومظاهر التقوى اذا اتبع الهوى … كانت لارباب المفاسد متجرا

ومنازل الخلق الكريم صدوركم … فعلام صارت للضغائن مصدرا

وعلى (الطربش) و (المقبع) من بنى … وطني السلام اذا بغى وتجبرا

لذ بالحياء فلا حياة بغيره … وتاق موقفه الزمان مبكرا

وتوق أن تشتق من دارينه … مستفهماً او مرشداً ومفسراً

ليس الوقار مع الثياب وانما … كتب الفخار لمن يسير موقرا

للآمر الناهي ومن شهدت له … نار التجارب بالاصالة جوهرا

ولمن تحرقه الخطوب ليهتدى … بضيائه بدراً وينشق عنبرا

للجامعين كلامهم وفعالهم … يشرون للعليا ويرضون السرى

والظالمون هم رجال أظلمت … بوجودهم دار الحقيقة مظهرا

واذا خبرت ضميرهم مستفهماً … أعياك ما جبل الضمير وما درى

كم باسم لك وهو خاف حامل … صدراً على ملأ الفضيلة موغرا

شقيت بلاد شيبها وشبابها   يتآمرون بما تحل به العرى

أنا منكم وبكم أشيد مآثري   ويحق لي برشادكم أن أفخرا

أيجيء يوم فيه أنظم شادياً   بفخاركم وبصفوكم مستبشرا

ولعل محيي الليلتين هو الذي   يسمو بأمتنا الى حيث الذرى

فنشير بالرجعى ونعلق بالهدى   ونفيض بالنعمى ونصلح عنصرا

العام أدبر وهو يسأل جمعكم   ما ذا أفاد به وماذا دبرا

وأطل آخر وهو يشهر للذي   لقي العباد بما يحاول خنجرا

وعلى الاهلة بينها وظهورها   يتقلب التاريخ حراً مخبرا

هذا الهلال هلال عام فيه قد   نشر السلام وأوقدت نار القرى

يوم به هجر الرسول قبيله   من حارب المولى حر أن يهجرا

فتفطرت أحشاء مكة لوعة   وغدا بها صفو الحياة مكدرا

فقدت أبر العالمين وخيرهم   خلقاً وأطهر مقولا ومبررا

وتلألأت أرجاء طيبة بالذي   أحيا نفوس العالمين وطهرا

وهناك ثبت الله للاسلام حكـ   ـمساً فكان كما أراد ونورا

وهناك فاض هدي الرسول وفضله   وأفاض من نور الاله وبشرا

وهناك أثبت للخليقة أنه   رمز الرجولة ناهياً ومبشرا

وهناك ثقف فعف غاية صحبه   وأباد كيد الخائنين مظفرا

وأفاض ينبوع البيان بنبع الـ   ـقرآن في عرفانه متفجرا

حتى اذا ذلت رقاب عداته   وسعى لمكة غازياً ومحررا

صدرت شمائله الكريمة رحمة   وعفا وأحسن في العباد ليؤجرا

فانقاد كل مكابر مستعطفاً   وأطاع من كره الهدى مستكبرا

وأفاد قبل الفتح ما في (والضحى)   وبدا به ورد الهدى والكوثرا

كم عبرة فيه وفيها أسوة — للعالمين لمن رأى وتذكرا
أوذي فسامح فادرى من ساءه — ولو انه ذكر الحفيظة كدرا
وكذا نفوس المصلحين يهزها — حب الصلاح فلا تعاقب مدبرا
صلى الاله على الرسول وصحبه — والتابعين ومن تلاهم خيرا

ولن نطوى الحديث عن البنا قبل ان نعلن اعجابنا بقصيدته « دمعة على اللغة العربية » وقبل ان نشرك القراء معنا فى هذا الاعجاب بما نتخيره لهم منها هنا — قال :—

منابت العز حيا الله ذكراك — ما كان أزكاك من مجد وأسراك
أيام ذكراك ريحان النفوس وفى — منازل العز والاجلال مسراك
أيام يمناك مأوي الملك مقبضه — ومهبط العلم والخيرات يسراك
أيام ادراك ما احرزت من شرف — لم يبد للغرب فى ظن وادراك
ما كان ابهاك لما كنت بادية — وبالجدا والندى ما كان أغراك
أيام بالجود فى ممسى ومصطبح — يضيء من أمل العافين مغناك
أم اللغات حوتلى فيك متصل — ومقلتى بسخين الدهر تبراك
انعاك للبصرة العصماء حيث بها — جريت فى سنن العلياء مجراك
وكم بني لك كوفي منار علا — أو شاد فوق شريف النضد مبناك
انعاك حين دهاك الدهر حين عفت — دمشق حين عفت بغداد مصراك
دمشق أين بدور زينوا حلباً — ومصروا ببديد الرأى مصراك
أيم مولاك رب لا يذل ولا — دكن يعظم الا ركن مولاك
لله در بني حمدان اذ كشفوا — بسيف دولتهم عظمى رزاياك
ودر احمد فيهم شاعراً ابقاً — يبكى الضحوك ويبكى مضحك الباكى
كذلك العرب ان قالو شفوا واذا — صالو ابادوا بحد كل افاك
واليوم قد ذهبوا فالشرق بعدهم — مثل الحدى او كرجع الصوت في الحاكى

الشيخ محمد سعيد العباسي

ولد بالكون في رمضان سنة ١٢٩٨ﻫ : ١٨٨١ م وكان والده الاستاذ محمد شريف نور الدائم وارث مقام الاستاذ الطيب ولد البشير العباسي رئيس الطريقة السمانية وللاستاذ محمد سعيد ديوان خاص مائل للطبع الآن

وفن العباسي فى الشعر فن الصناعة التى تتصل بالقلب حينا وتصدر منه ملونة بدمه مشبوبة بلهيبه وتنفصل عنه فما يكاد يجمع بينها وبينه جامع الا انها من بعض ما يؤثر القلب لو انها له أو انها مستمدة من معينه . والحق انا لن نجد في شعراء السودان من هو ارق ديباجة واشرق اسلوباً واسرى كلمات وارفه جملا من الاستاذ العباسى ولكنا قد نجد عند أولئك قلوباً يحيون بها الحياة في اسمى صورها المحجبة ويصلون بيننا وبينها فنبتهج ونسر ونأسى ونحزن ونغضب ونبتسم نفعل كل ذلك تحت مختلف تأثيراتهم التى لا مفيض لنا عنها ما دمنا نقرأ لهم صفحات من القلوب المحسة الشاعرة والارواح المحلقة وراء غيوم النفس البشرية . وربما لا يعوزنا أيضاً ان نجد عندهم ما يرضي طماحنا بعض الشى وينضح غليلنا برذاذ من فيض الصناعة التى جودها من بينهم الاستاذ محمد سعيد يعينه عليها صفاء الطبع وحدة الذوق . وانا اذ اقرأ له يخيل الي من فرط ما المس من مشابه بينه وبين فحول الشعراء اني اقرأ لشاعر وشاعر مجيد من شعراء القرن الثالث الهجرى يوم انصقلت الاساليب الشعرية ويوم صعدت بها صناعة المولدين الى مستوى كله موسيقى وسحر وفتون. ويخيل الى أيضاً انى لا أقرأ عصراً واحداً وانما أقف أمام عصور شتى متعرفاً اليها في ناحية واحدة لا غيرها هي هذا الجمال الذي نلمس فيه من أثر العاطفة والذوق ما لا نكاد نحفظ مثله للقلب او نظائر بتربيه للفكر . وما ادرى ان كان ذلك مدعاة فخر للاستاذ او غيره . وأنا اعتقد ان الاستاذ العباسي انما يعتمد قلبه في يده وينشر روحه بين أنامله يوم يعطف على ذكرى أيام شبابه باكياً حسيراً متوجعاً فلا تملك ان تبكي معه جهد العين ووسع الفؤاد . فما ثمة الا كلام يشتط في الألم حيناً حتى ليكاد مما نحس له من حركة ان تداخل فى بعضه وان تعود الصحيفة كلها كلمات لم يملك القرطاس من أمرها شيئاً فهي ما تبرح ثائرة فيه محلقة عليه متنزية بينه حتى اذا ما رد القارىء من غربها وكبح من جماحها استقرت ولكن الى حين تعبث به هو فما يستطيع ان يرد من غرب نفسه . وهنا مجال الاستاذ العباسي فهو بحق يتألم صادقاً في ألمه كلما انحنى الى شبابه واحلام شبابه ومهد هذه الاحلام في ظلال (الكنانة) والدهر يومئذ غض والعمر بض والرفاق من حوله ينضحون روحه ببرد النعيم الذى يجمل الصداقة حباً والودة صبابة ولا شئ أحز ولا الم لنفسه من ان يلتفت الى هذا بفكره . . . . وفى هذه القصيدة

« لله يا حلو اللمى » ارق ما تسمع من الغزل واندى ما تسمع من الذكرى وأروع ما تقرأ من التعريض ولكن جانب الذكرى فيها يعدل كل ما عندها من جمال وروعة وهى هذه :—

لله يا حلو اللمى	مالك تجفو مغرما
صددت عني ظالما	أفديك يا من ظلما
هلا ذكرت يا رشا	عيشاً تقضى بالحمى
رفقاً بصب راح يهـــــــ	ـوى طيفك المسلما
يندب أيام اللقا	وحظه المقسما
ان شام من نحوكم	برقاً أقام مأتما
ويكتم الوجد وكم	يغلبه ان يكتما
لله محبوب رأى	حبة قلبي فرمى
أعيذه من جائر	حكمته فاحتكما
مررت بالحي ضحى	أروض مهراً ادهما
مرتدياً من الشبا	ب ضافياً منمنما
لقيته في اربع	بيض كأمثال الدمى
شابهن أزهار الربيـــــ	ـع وحكين الأنجما
أو الجمان نظموا	فريده فنظما
وقفت فاستقيته	وشاء ما بي من ظما
جاء بماء قلت هل	حاجة مثلي منك ما
أنشدته من فاخر الـــــــ	ـشعر رشيداً محكما
وفاق لي مستسلماً	ومال نحوي منعما
دلوته طي الردا	منعت من فم لثما
تصرم الوصل وكيـ	ـف رد ما تصرما

أحبتي هـذي الدمو ع بعدكم غيث همى
صيرت عن كره قرى الســـــودان لي مخيما
ولي بمصر شجن أجرى الدموع عندما
فارقت مصر ذاكراً ارجاءها والهرما
والنيل والجزرة الـــــفيحاء والمقـــطما
ربوع خير طالما اسدت الى أنعما
مصر وأيام الشبا ب الغض من لي بهما
وفتية سامرتهم فاقوا الزمان هما
وعــــزمة صادقة تنطح أبراج السما
زين شباب حملوا مع السيوف القلما
هذا بمج حكمة وذاك في الهيجا دما
وكان غصني مورقا والدهر لي مبتسما
أخذت أسباب الهوى واليوم صارت حلما
مالي والعاجز يطـ ـوي عن حشا تضرما
يزجر لي كل غدا ة طير نحس أشأما
لما رأى اني ودا ت منه انفا ورغما
وانه من مخابي لولا التقى ما سلما
جاء باسمي حيلة منه وأصمى أسهما
ومن يرى التنكيل بي فخراً له ومغنما
اخطأت في التعبير اذ قلت «من» والحق «ما»
في الدهر من صروفه معلم لو علما
زرعت لكن سوف تجـ ـني ان حييت الندما
هل لك ان تخبرني أين تركت الشمما

ألا ترى فضل النزا ... ل مستميتاً معلما
تنشق غير حافل ... فيه الغبار أقتما
جاء به يزيد بي ... سوءاً على ما زعما
تو...سم وربما ... اخطأ من توسما
فما أزاح كيده ... رضوي ولا يلملما
وما أراه واجداً ... نحو السماء سلما
متى رأيتم ضبعاً ... يا قوم اردى ضيغما
لاتستثيرا غضباً ... يثير مني أرقما
أهلك عاداً قبل ذا ... بغي وأفنى جرهما
أبرمتما شراً فرد الـ ... ـله ما أبرمتما
انى أخاف الله في ... هجوكما والرحما
لولاهما هتكت بالـ ... ـتقريع من ستريكما
أصوغ منه كلما ... يروي وأروى كلما
أترك كل من حدا ... بالركب يحدو بكما
لاتنى أرماكما ... نبلا وأهدى منكما
ذا منطق الفصل وكم ... قد صغت منه حكما
وهو اذا استنطقته ... عن الضروري وجما
وان نهضت مسرعا ... نحو المعالي جثما
أو بعته الخلود في الـ ... ـدنيا يذل أحجما
هل أنت تبدى الروح جئـ ... ـت الآن تحيي الرمما
لا در درى ان رفعـ ... ـت للدنايا قدما
ما أرخص الحياة الا ... ان أراني مكرما
كم ذقت شهد الذل وا ... ستمرأت عنه العلقما

ما ذاك إلا أنني أبيت إلا كرما
لولا زمان عاق من سعيي لكنت العلما
هذا وكم تبدى الليا لي خلقاً مذمما
كم قدمت مؤخراً وأخرت مقدما
لكن أقول الحمد لله على ما أنعما

واقرأ له هذه أيضاً :—

أرقت من طول هم بات يعروني يثير من لاعج الذكرى ويشجوني
منيت نفسي آمالا يماطلني بها زماني من حين الى حين
ألقى بصبري جسام الحادثات ولي عزم أصد به ما قد يلاقيني
ولا أتوق لحال لا تلائمها حالي ولا منزل اللذات يلهيني
ولست أرضى من الدنيا وان عظمت الا الذي بجميل الذكر يرضيني
وكيف أقبل اسباب الهوان ولى آباء صدق من الغر الميامين
النازلين على حكم العلى أبداً من زينوا الكون منهم أى تزيين
من كل أروع في أكناده لبد كالليث والليث لا يغضي على هون
وقد سلا القلب عن سلمى وجارتها وربما كنت ادعوه فيعصيني
ما عذر مثلى في استسلامه لهوي ياحالة النقص ما بي حاجة يثني
ما أنس لا أنس اذ جاءت تعاتبني فتانة اللحظ ذات الحاجب النوني
يا بنت عشرين والايام مقبلة ماذا تريدين من موءود خمسين
قد كان لي قبل هذا اليوم فيك هوي اطيعه وحديث ذو افانين
ولا مني فيك والاشجان زائدة قوم وأحرى بهم ان لا يلوموني
أزمان أمرح في برد الشباب على مسارح اللهو بين الخرد العين
والعود أخضر والأيام مشرقة وحالة الأنس تغريني بدوتغريني

في ذمة الله محبوب كلفت به ... كالريم جيداً وكالخيروز في اللين
أفديه فاتر ألحاظ وقل له ... أفديه حين سعى نحوي يهديني
يقول لي وهو يحكي البرق مبتسما ... يا أنت ياذا وعداً لا يسميني
أنشأت أسمعه الشكوى ويسمعني ... ادنيه من كبدي الحري ويدنيني
أذر في سمعه شيئاً يلذ له ... قد زانه فضل ابداعي وتحسيني
فبات طوع مرادي طول ليلته ... من خمر دارين اسقيه ويسقيني
يا عهد جيرون كم لي فيك من شجن ... باد سقاك الرضي يا عهد جيرون
ولا يزال النسيم الطلق يحمل لي ... ريا الجناب ويرويه فيروني
والآن مذ جذبت عني أعنتها ... هذي الظباء وولت وجهها دوني
وعارض العارضين الشيب قلت له ... أهلا بمن رجحت فيه موازيني
كففت غرب التصابي والتفت الى ... حلمي ولم اك في هذا بمغبون
وصرت لا أرتضي الا العلى أبداً ... ما قد لقيت من التبريح يكفيني

صادق العبرات

وقال في رثاء الشيخ ابراهيم تليب :—

عاد روض الكمال بعد اخضراره ... يبساً واستحال حسن ازدهاره
فقد الغاب ليثه والمروءا ... ت فتاها والسرح حامي ذماره
بكت الارض مهبط الفضل منها ... والسماء الوضاء من اقماره
يوم اودى فتى الفتوة ابرا ... هيم رب الحجا وباني مناره
التقي الاواب حلو السجايا ... الصفي الوفي عند اختياره
والذي كان والزمان عنيد ... ملء صدر الزمان في اكباره
كان يسمو بفضل علم وحلم ... حاملا منهما لاسمى شعاره

وهما قيمة الفتى فاذاما ... نقصا ظل ناقصاً فى اعتباره
صدمة هدت القوى واثارت ... بصداها طير النهى عن مطاره
فكأن السودان اذ فقدته ... خد حسناء سل عن جلناره
شاعر ان شدا حسبناه يروي ... معجزات القريض عن بشاره
فاذا راز من عصى القوافي ... فهي طوع اقتداره وابتكاره
عبقري يجلو المعانى كما يخـ ... ـتارها في البديع من مختاره
لم يعقه عن نظم غض اللآلي ... نثره النيرات ضمن نثاره
يقتني من ديباجها الحسر واني ... قشيباً والناس اسرى معاره
طاف كاس الردى عليه كما طا ... ف على البيد اجدل بمثاره
فتعالى الاله خالق كاس ... كل من في الوجود صرعى خماره

* * *

قل لمن رام للتنبي لحاقا ... وادعى في الفخار مثل فخاره
دع غمار العلا وذر قصب السبـ ... ـق لذاك السباق في مضماره
لا تخاطر وأربأ بنفسك لا يغـ ... ـرقك هـذا الخضم في تياره
وارض منه بحيث اقعدك الله ... قصيا او ان ابيت فباره
باره فى طلابه للمعالي ... في حجاه في عزمه فى وقاره
في نداه فى علمه في ثقاف ... زانه في الدري من اشعاره
وان اسطعت والمواهب شتى ... باره في تقوى القلوب وجاره
عاش ما عاش وهو جد ابي ... لم يدنس من الزمان بعاره
يؤثر الخل بالجميل ويحبو ... ه وفضل الكريم فى ايثاره
اذا جئت ناره قلت فيها ... حاتم الجود اذ يشب لناره

فسلام على ثرى مندلي ضمه والمسكي من احجاره

* * *

ما لكسرى الاطيار لم يد حكما صادقا في هزارنا وهزاره
بابل فى اوكاره امس اشجا نا وطار الغداة عن اوكاره
ما صبا للاعواد حاش ولا كا ن المغنى المتفن في اوتاره
كان يشدو شدو الحمام ويملى نسمات الربيع فى اسحاره

* * *

لهف نفسى على زمان تقضي ما قضينا المحمود من اوطاره
قد صحبناه ناشئا ووليداً واصطفانا قبل اخضرار عذاره
ولبسنا الشباب فيه بروداً وانتشقنا منه شميم عراره
واقتبلناه بالسعادة حتى حل هذا المشيب فى اكداره
هل يعود الشباب يوما كما كا ن حميداً نجر فضل ازاره
يا ربوعاً ما احسن العيش فيها لونجونا من هول هذى المكاره
ما الليالي والامر امر مليك نحن اسرى المحتوم من اقداره
كم اردت الثواء فيك ولكن ذا اختيار قد جاء بعد اختياره
ضاق صبري بفقد من لو نوونى وهو حي لضاق ذرع اصطباره
ولئن رحت بالجوى فيه وحدى انا وحدي جنيت اشهى ثماره
كان عندي لسابق الدهر ثار واستقاد الزمان مني لثاره
ما بقائي من بعد ان راح صحبي فاستقل القطين في سماره
ركبوا مدلجين كر الجديدين وذا مركب لعمري فاره
صرت رهن الثوى واضحى جنابي موحشاً من ربابه وزواره
يا شديداً على الطغاة اذا جا روا ضعيفاً على العشير وجاره
بت مغتبراً ولى فيك حب قم فواس المحب فى استعباره

انت ناء عنا فمن لمريد ،رام علم اليقين في استخباره

كان يدعوك للجليل وللغا مض في ذي الحياة باستفساره

قل رشيداً متى وكيف التلاقى يا لوعد أمض طول انتظاره

وبأي الدارين عرس صحب جثموا بالردى على احفاره

ان جهلنا قرب مستور علم قد رفعتم بالموت من استاره

كنتموا أمس مثلنا فانطلقتم وحجلنا في القيد تحت اساره

عفتى منطقي وكان يوافيـ ني كنشر الرياض غب انتشاره

وزمان قضيت عامين منه في عتابي له ومين اعتذاره

غير مازنته بذكرى حبيب مثلما زان معصم من سواره

ان تروني احسنت فهو جنى من جنتيه ولؤلؤ من بحاره

او اذا ما كبا جوادي فعندى عبرات تسق ثرى آثاره

جارك الله لن تراع وهل ر يع امرؤ في ضمانه وجواره

قر عينا وأبشر بمقعد صدق لك منه فى جنة الخلد داره



الاستاذ محمد الامين القرشي الحسيني

ولد برفاعه يوم الاربعاء ١٢ ربيع أول سنة ١٣٠٨ هـ الموافق سنة ١٨٩١ ميلاديه وكانت والدته جعلية « عمرابيه » أما والده فالفقيه القرشي ولد البصير الحسيني المشهور . حفظ القرآن الشريف على غير واحد كالفقيه عبد الرازق محمد والفقيه أبي بكر سعيد ثم عطف يتعلم العلوم الدينية على الفقيه أبي الحسن ولد زروق الحلاوى ولما قويت فيه ملكة التحصيل انخرط في عداد تلامذة كلية غردون سنة ١٩٠٨ ميلادية وتخرج منها فى سنة ١٩١٣ ومن ثم عين عاملا قضائياً فى محاكم السودان الشرعية ثم رقي قاضياً لأبي زبد بكردفان ونقل منها للحصيحيصه وكذا لام درمان وبارا وأتبره وكان في غضون تلك المدة مثال العفة والنزاهة لم يدنس عرضه بما يشين مركزه الديني . وكان طموحاً كبير الهمة استغل ساعات فراغه في الدرس على غير واحد من علماء شنقيط وهو شغوف بنظم العلوم على الطريقة القديمة فى نظم المتون شعراً ليسهل حفظها وله فى هذا مؤلف أسماه « سفينة الوصول لطالبي علم الاصول » . ومن غرر شعره قصيدته الآتية التي قالها لمرور الف عام على وفاة أبي الطيب المتنبي

ذكرى ابي الطيب

احمد بن الحسين المتنبي

شاعر العربية وحامل لواء القريض بمناسبة مضي الف سنة على وفاته وقد احتفل بها في مصر والشام :—

أبا الطيب اعذرني فانت كريم ... وان فؤادى بالخطوب كليم

ولو صغت من زهر السماء قصيدة ... ودانت لقولي شهبها ونجوم

لما كنت الا مهدياً مثل قطرة ... الى البحر جاءت فى الخضم تعوم

أبوها سحاب وهو للبحر ينتمي ... ومنه اليه سحبها وغيوم

فمن لفظك السامي يهذب منطق ... وروحك تحضرني علي تحوم

ومنك استفاد الشرق والغرب حكمة ... وصارت بكم سوق القريض تقوم

فتحت طريق الشعر سهلت طرقه ... وهذبته والصالحات تدوم

وكل بني الدنيا عيال عليكمو … فانت أبوهم بل وأنت زعيم

واستاذهم في مجلس او بخلوة … تعلمهم ما أنتجته حلوم

وديوانك المعمور بالشعر معهد … به للرجال العارفين علوم

وروض نضير حافل بثماره … يهب على الاجيال منه نسيم

يميل أولي الالباب حتى تخالهم … نشاوي وما خمر هناك ذميم

ولكنه خمر القريض شرابه … حلال وفي القرطاس منه نديم

قصائد عادت خندريساً معتقاً … بلا حانة شيطانهن رجيم

يجن بها ذو العقل والحلم والحجا … ويسكر منها وهو بعد حليم

ومدرسة سيارة أنت ربها … وطلابها في الخافقين رجوم

ولا غرو ان هما فالشعر روضة … وانت امام الشعر أنت عظيم

* * *

وفي مصر دار العلم والشام مأتم … وذلك فخر للقريض صميم

وقد سكت السودان عنك فما لهم … أليس نماهم هاشم وتميم

كأنهم لم يسمعوا ذكر احمد … أبي الطيب المقدام وهو قديم

[illegible]ت الفصحاء عن وفاتك واستوى … رفاتك قبر كنت فيه تقيم

فيا ليت شعري هل الى اليوم شاعر … بلحدك ام عافتك عنه جحيم

ام الجنة الفيحاء سكنت وحورها … شغفت وأهلي الشيخ عنه نعيم

وهل بغض كافور عليك مخيم … وحب (علي) في الفؤاد لزيم (١)

وهل شعب بوان الجميلة ماثل … لديك أم الشعب الوريق سديم (٢)

فثنيت وفي النفس الابية حسرة … من الدهر والدهر الخؤون يضيم

(١) كافور حاكم مصر في زمن ابي الطيب وعلي سيف الدولة ابن حمدان

(٢) وشعب بوان الذي يقول فيه المتنبي — يقول بشعب بوان حصاني الخ وهو من القرية المشؤومة المشهورة

يسود به غر ويحجب عاقل ويمنع ذو فضل ويعطى بهيم
وتخفض ذو علم لغير جريرة ويعلو به غمر الرجال لئيم
وآية هذا ان كافور حاكم ومن هو كافور فانت عليم
تمجده بالقول واللون حالك تقلده بالدر وهو نظيم
فتمدحه طوراً وتهجوه تارة وتطلب منه الملك وهو يلوم
ألم تك اولى منه بالملك انه عليك اعتدي ان الزمان خصيم
أيقبل عقل ان كافور حاكم عتل خصى جاهل وزنيم
يطاع له أمر بمصر ويزدهي على الخلق من كبر وانت عديم
اذا رمت منه بعض ما هو غاصب من الارض قال الناس انت ظلوم
فلا بأس ان جردت جيشاً عرمرماً من الشعر تغزو ملكه وتروم
رفعت له ذكراً ولم يك نابهاً وخلد في التاريخ وهو غشوم

***

الا ان بالايام ما قد عهدته من الغدر لا حق بهن يقوم
تكدر عيش النابغين وهذه عقاربها في ذيلهن سموم
وكل أديب حاربته وفتشت على غيره تسمي له وتريم
رأت ان في الميزان رفعة ناقص وسارت على هذا وحار حكيم

***

فيا رحمة الله الجليل تنزلي على قبره ان الآله رحيم
وكوني كأمثال التوافي تطيمه فان بها روحاً هناك تهيم



وله أيضاً

صوت من السودان

يا مصر انا كقول الله اخوان … أليس يجمعنا دين وقرآن

حبل متين من التفريق يعصمنا … والمؤمنون بنص جاء بنيان

يشد بعضا ومثل الجسم يؤلمه … عضو جريح فهم في الارض اخوان

والنيل ينتظم القطرين تحسبه … سلكا أحاط به در ومرجان

يفيض بالشوق منا وهو يخبركم … انا على ودكم ما دام نهلان

خزان سنار يقريكم تحيتنا … يدري بذلك اصوان وخزان

والمد والجزر والامواج شاهدة … وارخبيل وشلال وخلجان

وفي نسيم الصبا شمنا رسائلكم … فهام يا مصر اشياخ وشبان

هذي حقائق والتاريخ يحفظها … وليس ينكرها انس ولا جان

كنانة الله ذا المصري يأسرنا … بوده اننا بالود عبدان

وان فينا نفوسا حرة كبرت … آباؤنا يعرب والجد قحطان

تربي الجميل وما تنفك تذكره … على مدى الدهر حتى تنمو اغصان

كم في المساجد من داع ومبتهل … الى أمير (١) له في قطرنا شان

هباته لبيوت الله ما فتئت … تبلي بنوه بها شيب وفتيان

عمرت (يا عمر) لله ابنية … علا وحيعل فيها اليوم آذان

ومعهد العلم ماغنى بذكركم … الا وترقص ابواب وجدران

لو يستطيع مشى للرمل مغتبطا … بل طار يحمله سقف واركان

الى كريم بني الدنيا وزهرتها … الى جليل له مجد وايمان

(١) الامير الجليل عمر طوسن

لو سابقته رجال الجود من أرم ... وكان فى سبقهم كأس ونيشان
لاحرز الكأس والنيشان دونهم ... وعاد حاتم طيء وهو خجلان
كأن آدم قد وصى معاليه ... بالمسلمين جميعاً اينما كانوا
يحوطهم ان دنت دار وان بعدت ... يحمي حماهم إذا ما جاء قرصان
فقام بالامر في بدو وفي حضر ... حتى استقام له عز وسلطان
وبايعته قلوب الناس طافحة ... بحبه فهو في الالباب خاقان
وليس قيصر أو كسرى يضارعه ... تقاصرت عنه يوم الفخر تيجان
ان ضاق بالحمد زرع القوم كلهم ... أو ضاق عن شكره قس وسحبان
فالله رب الورى يجزى صنائعه ... والله فى ملكه أجر وغفران

* * *

بني اباظه لازالت دياركم ... مأوى القريب لنا فضل واحسان
لا أنس شيخ بلادى وهو بينكم ... في (١) مجلس حفه بشر وخلان
أعنى ابا دقن العليا مكانته ... في مصر يكرمه صحب وإخوان
فطوقونا بهذا منة عظمت ... سارت بأنبائها صحف وركبان

* * *

فكري اباظة ما اذكى فؤادكم (٢) ... بجانب الشيخ يحوى الكل بستان
معزمرقمن اسود(٣) الغاب قد ذهبوا ... لارض مصر وهذا الغاب سودان
جزاكم الله عنا كل آونة ... خيراً فانتم لنا أهل وأوطان

وقال في فجيعة سبعين طفلا احرقتهم الكهرباء فى محل سينما بمونتريال

روتر ان جزت يوما كندا ... فابلغ القوم عزائى والاسف
قف بمونتريال واندب صبية ... ساقهم للموت لهو وسرف

(١) صورة الشيخ الى دقن اتي بالمحور

(٢) فؤاد أباظة

(٣) الضباط الوطنيين الذين كانوا بالجملة والتصوير

قبل ان ينبغ منهم عالم يدهش العالم فى شتى الحرف

قطفت ارواحهم فى نضرة ونضير الزهر غضا يقتطف

شبت النار وما ان علموا انهم طعمتها قبل الغرف

مثل رجع الطرف ماتوا كلهم وبكى الاهلون والدمع وكف

ثكلت سبعون اما طفلها فانقضى التمثيل والحزن عكف

خرجوا للهو الا انهم لم يعودوا لقصور وشرف

ذهبوا للسينما وابتهجوا ساعة والموت من خلف السجف

لم يمثله لهم مطربهم لم يطارحهم به ضمن التحف

بسم الدهر لهم فابتسموا وتفانوا فى نعيم وترف

اغرقوا في الانس لكن احرقوا كاحتراق الدر فى جوف الصدف



الاستاذ احمد المرضي

ولد بحلة الدرايسة بالخرطوم في سنة ١٣٠١هـ ١٨٨٤ م من ام شريفة ووالد عباسي . ثم قرأ القرآن الشريف على الشيخ حسب الرسول بام ضبان وتعلم مبادىء العلوم الدينية على الاساتذة الشيخ محمد البدوى والشيخ الجيلي التلب والشيخ محمد احمد المجذوب . ومن ثم أخذ في الاشتغال بالتجارة إلا انه ما لبث ان انتظم في عداد تلامذة مدرسة امدرمان ونقل منها الى كلية غردون في سبتمبر سنة ١٩٠٤ وأخذ يدرس في قسم القضاء الشرعي وفي اغسطس ١٩٠٨ عين عاملا قضائياً لمحكمة الخرطوم ونقل منها الى مثل وظيفته بأم درمان في سنة ١٩٠٩ ثم رقي قاضيا لمحكمة الكوة في ١٥ ابريل سنة ١٩١٣ ونقل الى كورتي في اواخر سنة ١٩١٤ وكذا لشندى في سنة ١٩١٧ ومنها الى الكاملين والمفازة والخرطوم بحري والرنك فبور سودان وفي مارس سنة ١٩٣٥ نقل قاضياً لمحكمة امدرمان الشرعية . والاستاذ احمد المرضى فذ في صفاته واخلاقه تلمس منه رجلا شهماً طلق المحيا وديع الاخلاق في دهاء لين العريكة كريماً لطيفاً محبوباً وهو شاعر يكفي في تعريفه ان نعرض له هذه القصيدة في رثاء ابيه مقرين كل ما جاء بها لما نعلمه من كرم شمائل والده تغمده الله برحمته :—

لقد آن أن ابكي وأغرى البواكيا ... وأنظم من حب الدموع المراثيا

وأصبغ عبراتي دما ليس ناضبا ... بخد خدودى مترعا والاماقيا

لنائلة والليل أرخى سدوله ... ملوا الى خطب أهال المواليا

وأزعج آساد الوغى في عرينها ... واذهل ربات الخدور الغوانيا

وراع من الاحياء من كان حاضرا ... وشاج من الاهلين من كان قاصيا

وأزوي لنا بحرا من الجود فيضه ... بمد العطايا الغر ينساب جاريا

وهدلنا طودا من العز شامخا ... تهايل من علياه في القبر ثاويا

وأغمد سيفا حوله الراى والحجا ... بجفن الثرى امضى وانجب قاضيا

هو البطل «المرضى» فعلا وسيرة ... أبو المجد من مجد الى المجد راقيا

أبي ما أبي قد كان لله دره — طليقا اذا ما اقبل الوفد عافيا

إذا ما خوت زهر النجوم فانه — يقدم للاضياف مرّاً وحاليا

على الحفنات الغر ملء بطونها — أعد لها قدما قدوراً رواسيا

ولم يثنه عن حلبة الجود ازمة — وما حاتم الاله كان ثانيا

وما عنتر الا لدى البأس دونه — مضاء واقداما الى الهول ساعيا

أبي ما أبي حر كريم وذو وفا — وما كان ذا وجهين وغلا مداجيا

أمين على سر الاخلاء حافظ — وكان لاخوان الصفاء مواسيا

وكان نقى العرض من كل وصمة — وكان من العار الشنع عاريا

وما حاز في ضنك الخطوب عزيمة — على أنه كان الحسام اليمانيا

وما كان يرضى بالدناءة خطة — وسل عنه إن شئت السنين الخواليا

تميز فيه رائق الحلم والندى — (ولا يفعل الفعلات الا عذاريا)

وكان ربيط الجأش في كل موطن — وذا عزمات تستقل المواضيا

كثير رماد النار لا تنكرونه — طويل نجاد السيف كالليث ضاريا

وكان أبي النفس عفا موفقا — الى الخير لاخبا يدس الدواهيا

تقياً نقياً طاهراً متواضعاً — وقد كان في حب المشفع فانيا

وكان حريص الدين ما انفك قائماً — يصلى هدوا أو يكبر تاليا

على انه كهف الضعيف وملجأ — وكان بعيدا أن يقول مرائيا

وكان نصير الحق لا تأخذه — ملامة من قد لام فى الله خاشيا

صنائعه غر والبر كعبة — وما هي في الاعناق الا لئاليا

تردي ثياب الموت بيضا نقية — وجر لها ذيلا من الفجر ضافيا

فما ابطرته نعمة في حياته — ولا اهتز مختالا فخورا مجاريا

تبوأ مهد العز من نشأة الصبا — وشب على هام المكارم ساميا
وكان مثال الفضل والعدل دهره — وذا همة تعلو النجوم الدراريا
لقد كرم الله الشباب وشيبه — وأبعد عنه من صباه المخازيا
فتي من بني العباس طاب نجاره — وكان به جيد الجديدين حاليا
لقد ورث المجد الؤثل كابراً — تفوق يداه في نداها الغواديا
وقد فقد الخرطوم براً مباركا — فاصبح من أمثاله اليوم خاليا
وقد علم السودان ان مكانه — رفيع ومن فوق العلا كان راسيا
ابك عليه الخيل والبيض والقنا — فقد عجزت دفع المنايا العواديا
وتبكيه ايام الوالد ما انت — إذ ما ربيع العام جاء موافيا
وقد حفظ التاريخ للمرضى سيرة — تحلى بها الابكار منها التراقيا
سقى الله بالغفران والعفو قبره — وأدخله الجنات بالفضل راضيا
عليه سلام الله في طي لحده — وبلغه فيه هناك الامانيا



صالح افندي عبد القادر

أما وقد وصل بنا الحديث الى صالح افندي عبد القادر فان اصدق ما أمثل به هنا لقول الشاعر (ان الاديب الحر حرب زمانه) . ولو قد بلغ ما بلغ الادباء الأحرار في معاناة الدهر ونكد مشاقه والتمرس باحداثه فان احداً منهم لن يبلغ ما بلغ اليه صالح افندى من صراع دائم مع الأيام . والعجيب ان يشقى بقدر ما هو حر وان يفشل بقدر ما هو طامح وان يتلقى الضربة القاضية في سبيل هذه الحرية وهذا الطموح فلا يجد نفسه بعد تصفية الحساب واعلان الحكم باقصائه بعيداً عن لمة العيش السابغة الا منسياً ولا يجد أمته الا غافلة عنه ساخرة منه مستخفة به . وأى سخرية وأي استخفاف اكثر من ان تنظر اليه وهو يتحرق في ضرام من سوء الحال ونكد العيش فلا تهتم به . . ولكأن صالح افندي كان يقرأ ما اعد له في الغيوب المحجبة من مصير . فما فتأ وهو مستخدم يتجنى على الدهر الذنوب ويعتب عليه انه فعل وانه صنع به ولم يكن ذلك الا مجرد احساس روحي بما يخبء له المستقبل ، وما اعرف من ابناء هذا البلد من هو احرص على تقويم ما اعوج من اخلاق امته من صالح افندي عبد القادر وهو يسلك لهذا طريق النقد الصارم احياناً فيوجع ما شاء الله له أن يوجع فاذا انتهيت من قصيدته الى آخرها تخيل اليك انه يلفظ في آخر بيت منها آخر نفس منه من فرط ما ينقطع به من الم واجهاد وهذه قصيدة له من نوع النقد الصارم الذي اشرنا اليه :—

ما ذا رأت عيناك هذى لمتى	سوداء وهي هوى العيون السود
وأنا ابن وادى النيل لو فتشتني	تجدين في بردي بأس أسود
تجدين مجموع الفضيلة والنهى	تجدين حلم البيض جهل السود
ويروقنى ورد الخدود ولمة الز	ثم المهفهف وابتسام الغيد
ويلذ لى حلو الحديث وطيبه	وسماع شادية ونغمة عود
يا أخت شيرين اضربي لى موعداً	ثم انقضيه بطبعك المعهود
قصرت ايامي وقد صيرتها	يومين يوم قلى ويوم صدود
وبخلت حتي بالزيارة فى الكرى	هلا سمحت بطيفك المنشود
تجدين اخراج الزكاة جريمة	هو ذاك شرع الاهيف الاملود

تخشين املاقا وانت غنية   ما أعرف البخلا بخبث ردود

جودي على ولو بعود أراكة   لن تفسد الدنيا عليك فجودي

زكي اختياراً قبل ما أغرى بك ا!   قاضى فيغريني بنهب ورود

لا تنكرى ما بي ومابى ظاهر   وغزير دمعي فيك بعض شهودي

فسلى النجوم الساهرات لعلها   تنبيك عن حزني وعن تسهيدي

وكما علمت فلى فؤاد ذائب   يستعذب التعذيب فيك فزيدي

أصبو به وأنف قد عودته   ذل العبيد وعزة المعبود

هو ذاك شأني فى غرامي .. هكذا   أرضيت عنى كاتبي وشهيدي

أما رجائى فى هواك فانه   لرجاء أهل البيت في ابن عبيد

ورجاء قومى في العمائم واللحي   ورجاء غيرى في الجياد السود

قوم قيام الفضل بين صدورهم   كقيام هود بين أمة هود

لا يشعرون بما ألم بشعبهم   فكأنما قدوا من الجلمود

ومن الحجارة ما تلين وانهم   لايعبأون بقارس التنديد

خلقوا وما خلقوا لغير بطونهم   أزياء أحرار وخلق عبيد

لم يعرفوا إلا بطول سجودهم   فكأنما خلقوا لطول سجود

ما اسلم الدين المضاع سواهم   أسماء مسلمة ودين يهود

ضمنوا لنا خزي القيامة بعد ما   ضمنوا لنا دنيا شقا وقيود

يا معشر المتغافلين نصيحة   «لله هذا السعي غير حميد»

وطن يسام وأمة موتورة   وشعورها في منتهى التقييد

واذ رضيتم بعد هذا كله   لا فرق بينكم وبين العبيد

يا أمة غفلت وطال جمودها   ماذا كسبت بغفلة وجمود

ماذا أصابك كنت أصدق امة   عرما وعودك كان اصلب عود

ليتني أعرف ما أخركم سادة كنتم فصرتم خدما
ولقد يحزنني أنى أرى رأيكم مختلفا منقسما
فأفيقوا يغفر الله لكم واطلبوا العليا وجاروا الأمما

وقال في محدث نعمة :ـــ

لا تفرحن بنعمة ان الزمان له انقلاب
ان الزمان محكم ساوى الاسود مع الذئاب
وقضى على الملك العظيـــــــم من السرير الى التراب
فارجع لنفسك وانهها ان الجديد الى الخراب
فدع الرئاسة قد مضى عصر الرئيس فلا مآب
واقض البقية من حيا تك بين هم واكتئاب
اعطاك ربك فوق ما ترجو فاكثرت العتاب
وطلبت ما لا ينبغي جهلا واكثرت السباب
احسبت ان الدهر أعـــــــطاك الامان فلن تهاب ؟
اخطأت ظناً بالزما ن قضى الزمان بالانقلاب
فسقطت حيث صغرت فى نظر الشيوخ وفي الشباب
ولقد رماك الدهر حتى هنت في نظر الكلاب
انا على ماضيك لم نسدل ستاراً أو حجاب
أنسيت نومك فى الترا ب فصرت تحكم فى الرقاب ؟
أيام كنت تسير في الـــــــطرقات عار من ثياب
أيام كنت من الضعا ف وكنت مهضوم الجناب
أنسيت أيام « البليـــــــلة » والبصارة والهباب
فغدوت تأكل ما علمـــــــت وما جهلت من الكباب
حبل الهوى [illegible] يهب الانام بلا حساب

أبو بكر افندي محمد عليم

وألا رحم الله « عليما » فلقد كان الشاعر الذي يعرف فنون القريض على أوضح مذاهب البيان ، ويأخذ أساليب النثر على أجمل وجوه البلاغة ، مستهديا بما ثقف من صور الشعر والنثر في عصورها الزاهرة متوفراً على دراسة الادب العربي ورجاله حتى أوجد بينه وبينهم الصلة في هذا البيان وهذه القوة

وشغفه هذا بالادب العربي كان خيراً كله للادب والتاريخ فقد وجه همته تحت تأثير ما قرأ وما شدا من صوره الى ان يؤلف فيه وان يضيف اليه فكان جميلا ان يتناول أخصب ناحية من نواحي هذا الادب في أفتن وأسحر مهجر له .. فى الاندلس ، موحي الشعر ومضطرب السحر . الاندلس التى نشأت ابن زيدون هزارها الغرد فى حالتي نعماه وبؤسه . وانه لتوفيق عجيب ان يعرض شاعرنا المرحوم الى ابن زيدون في رسالته التي تعد من أروع مآثر الاقدمين فلا يقعد فيها دون مدى غيره ولقد اسمى كتابه عنها « الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون » اما شعر عليم فبحسبك أن تقرأ له ما نختاره له هنا لتدرك الى أي حد كان نصيبه من الاتقان قال رحمه الله ينصح الى الشباب بالانصراف عن التعلق باعمال الحكومة ويشير اليهم بطرق ابواب الاعمال الحرة :—

الجد فى القول على الشاعر والماجن الخالع كالفاجر
مالى وللتشبيب فى غادة أو في عقار الكرمة العاقر
هل الهوى الا جنون جنى على نفيس النفس والخاطر
وهل جميل في هوى بثنة الا كمجنون بني عامر
كلاهما ضل سبيل الهدى وعاش كالمغبون والخاسر
عدمت نفساً أخطأت رشدها تبكى دروس الطلل الغابر
وتعتلي متن الكميت الذي يرمي بها في التيه والغامر
بل مركبي صهوة أوج العلى مرتقياً بالنسب الفاخر
وشيمتي الصادق وبذل الندى وهمتي أمضي من الباتر

وما انثنى عودي لدى غامز ... او هصرت غصنى يد الهاصر

* * *

ابناء قومي كلكم عدتي ... لما لكم من كبوة العاثر
مالي ارى أكثركم نائياً ... عن الطريق الجدد الظاهر
جدوا كاسلاف كرام مضت ... أيامهم كالقمر الباهر
وعلموا الابناء ما يرفع الـ ... ـذكري لهذا الوطن العامر
فالقطر محتاج لايد تقيـ ... ـم الوزن فى المعمور والبائر
من صادق النهضة ذي ميعة ... والحاذق الصنعة والكافر
من لم تعن همته نفسه ... فما له في العون من ناصر

* * *

وبزرة التعاليم للمبتدي ... وسيلة لا غاية الباذر
وانما الغاية ما يجتنيـ ... ـه الفكر من يانعه الناضر
ترى ثراء المال في زارع ... او متقن الصنعة او تاجر
ولم تجد مستخدماً مثرياً ... ما بين مأموز الى آمر
إلا كفاف العيش في زبرج ... كزبرج الحباحب الطائر

* * *

خير لهذا النشء ان يعدلوا ... عن خدمة ترهق بالناظر
الى طلاب العيش في غيرها ... بهمة المجتهد الساهر
فالحر لا يخشى عناء السرى ... كالسيل في القيعان والغائر
من يستطع نفعاً ويبخل به ... فذكره كالمربع الداثر
من يشتر الحمد بمعروفه ... ينل وفير الربح من شاكر

وقال رحمه الله :—.

في وصف خزان سنار

الاهل رأت عيناك مكوار بعد ما ... اقامت يد الاصلاح في نهره السدا

كأن سليمان الحكيم اقامه ... بتسخير جن يسردون الصفا سردا

بناء يضل الفكر في تيه كنهه ... كطود رسا لم تره عين له ندا

يصادم تياراً يهد اذا طغت ... اواذيه فوق اليم شم الذرى هدا

كأن دوي الموج مرتطماً به ... دوي ثقال السحب اذ ارسلت رعدا

كأن مرور الماء بين ثقوبه ... مرور سهام لا تكل ولا تهدا

يظل زمام النيل طوع مراده ... يكافه جزراً ويرسله مداً

وعاج نمير الماء ينساب عنوة ... على المرج حتى جال الهضب والوهدا

وصير من ارض الجزيرة روضة ... تخال بساطاً سندسياً بها امتدا

كأن نسيم الروض باكره الندى ... اثار على ارجائها المسك والندا

كأن مكاء الطير بين جنانها ... حديث العذاري احكمت صوغه نشدا

لقد عد فرعون الكنانة نفسه ... الها لان النيل من تحته انقدا

ولو عاش حتى شاهد اليوم ما أرى ... وما أمر الخزان ازرى بما بدا

* * *

لكم يا بني السودان وجهت دعوتي ... لا كشف من اسياف همتكم غمداً

فانتم نواة الحي ابنتها اثرى ... ثرى ارضكم لاغرو ان أثمرت سعدا

اثيروا خبيء الرزق بالحرث وادأبوا ... على الزرع ان الارض قد مهدت مهدا

فان الثراء الحق في باطن الثرى ... مقيم ولكن النجاح لمن كدا

ولا يشغلن حب التوظف بالكم ... فلا خير في رزق يقيدكم قيداً

وفي ساحة الكسب الجزيل مناهل — عذاب لحر مطاق يبذل الجهدا
نظيرك من تستغن عن فضل ماله — عفافاً فان تحتج اليه تكن عبدا
وقد تجتني ممن يعاديك خبرة — تجنبك الفخ الذي مده رصدا
وتدرك بالحلم الامور موفقاً — وتخطىء بالحمق الحزامة والرشدا
ومن جانب الهزل استفاد كرامة — لان فضول القول شان الفتى الجعدا
وخازن مال لم يصن عرضه به — تخطفه الوراث ان وسد اللحدا
ومن سالم الناس اتقى شر خصامهم — وعاش سليم الصدر من ترك الحقدا

وقال في رثاء الشيخ محمد المجذوب بن الشيخ الطاهر المجذوب :—

أمطرتني الهموم طلا ووبلا — وسقتني الارزاء نهلا وعلا
ورأيت الخطوب عمدا تباغى — فهي لم تبق لى رفيقا وخلا
لا رعى الله عهدها افقدتني — سادتي الطاهرين فرعا واصلا
سادة العالمين فضلا ونبلا — وليوث الحمى اذا البأس حلا
فرعوا النجم مظهراً وعلوا — واقاموا للدين فرضاً ونفلا
لم تحد عنهم المنايا فراحوا — وكذا الدهر يوسع الكون تبلا
عجبا للانام كيف اطمأنوا — اتراهم رهن المنية ام لا
فاذا ما سألت شيخا تفانى — هل سئمت البقا بها قال كلا
هو حب الحياة احدث ضعفا — في نفوس الورى واورث ذلا
واذا الموت لا يوقي بدفع — كان جبنا خوف الممات وجهلا
انا وحدي الشجاع ودعت نفسى — فاذا الموت جاء اهلا وسهلا
لا اريد البقاء فى ظل عيش — زائل قد ملئت بتياي ملا
كيف تهنا لى الحياة وشيخي — وحبيبي المجذوب غاب وولى

لحق الطاهر السجايا اباه ... لم يدنس بالشين ردنا وذيلا

كان بحر العلوم في كل فرع ... وقديراً ان اشكل الامر يجلى

وتقياً كجده الاكبر المجـ ... ذوب ذى الجاه والمقام المعلى

واديبا وشاعراً لايجاري ... ينثر اللفظ فوه درا تلألا

كنت تلميذه ومنه تثقفـ ... ـت ومن بحره تناولت سجلا

واخذت البيان عنه ولما ... ارتشف من حلاه الا الاقلا

فرق البين بيننا وتمادى ... زمن فى سعيره اتقلى

طالما رضت للزيادة عنسى ... جاهداً ان ازاه كى اتملا

لكن الدهر حاكم مستبد ... سل في منتوى العزيمة نصلا

بت حبل الرجاء من قبل ان الـ ... ـقاه يا سوءتا لدهري وويلا

* * *

اي حبيبي فدتك نفسي انى ... لم ازل حافظا لودك الا

ولئن صار للبلى جسمك الطاهـ ... ـر فليست آثارك البيض تبلى

هل دري قبرك الواري بان قد ... ضم في دفتيه علما ونبلا

قد بكتك العيون حزنا ووجداً ... مرسلات بالدمع تمطر سيلا

هاك مني الرثاء يمليه فكر ... شارد نال منه فقدك نيلا

ولو ان التوفيق أسعف نطقى ... لرثى الشيخ كابن أوس وأجلى

فسقى الغيث بالنوالى ضريحاً ... ضم منك العلا وابقاه خضلا



محمود افندي انيس

محمود افندي انيس

هو من أولئك الذين يسر اليك مظهرهم انهم شعراء، وتعلن لك نظراتهم انهم من ذلك النوع الممتاز في تركيبه عصباً واهواء وامزجة واحساساً وانت بعد لم تحظ بشرف الحديث اليهم او الاصغاء لهم. وتلك ظاهرة مازلت اجهل مأتاها ومرجعها من نفس الانسان، ترى الواحد من هؤلاء فتنفض شخصه بنظرتك الاولى التي هي في الغالب فيض من الوحي والالهام فينتقل الى روحك احساس عميق بانه فيلسوف أو شاعر أو فنان أو ما الى هذا ثم لا تكون قد ابعدت بحدسك عن أمره، واذا هو واحد من هؤلاء، واذا هو في حقيقة نفسه الثابتة مصداق طائف وهمك فيه وطارىء حدسك عنه، ولعل السر في هذا ان المظهر الوجداني في الشاعر يكيف ملامح وجهه بظلال هي الشعر. وقل مثل هذا في غيره

ولد محمود افندي انيس في سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٣ م وتلقى علومه الابتدائية بمدرسة ام درمان ثم تخرج منها الى تلغراف السكة الحديد، وفي طبع محمود غرابة النوابغ فهو ميال الى العزلة والاختلاء بنفسه عزوف عن (الجماعة) يؤثر دائما ان يتحدث الى قلبه وفكره بما يتصل به من اسرار الحياة ولعل لهذه العزلة اثرها البليغ في جعل انتاجه هادئاً رزيناً لا يتعرض للحياة الا في احداثها الجسام التي تتسلل اليه في مخبئه وما تعتم ان تكون جزءاً منه ويومئذ يتناولها بقلم المصور اللبق ويتعرض لها بنظر الشاعر الحكيم فلا ينفض يده عنها الا وقد نفخ فيها شيئاً من روحه الواقد واحساسه الملتهب

وهو مخلص لفنه يصدق كثيراً في نقل مشاعره فلا يزور ولا يخدع ومن هنا كان اشد ايماناً بشعره واطمئناناً على آثاره الادبية كلها فانت اذا حدثته في شيء من هذا قل لك انه هكذا رأي وهكذا احس فلا عليك ان لم تر ما ارتآه هو. وهذا الاستقلال بالرأي مصدره الاعتزاز بالنفس والثقة بها وهو لا يفرض عليك رأيه فرضاً ولكنه يحاول جاهداً اقناعك به فيظل يبسط اليك صوره الشعرية ويحدثك عن مؤثراتها والجو الذى يشيع في نفسه من هذ التعبير أوهذا التركيب أوهذا الوضع مثلا. وله في ميدان الاجتماعيات العامة قصائد عدة نحن مختارون للقارىء منها ما يلي بعد :ـــ

شباب هائم لا يستفيق ... له في كل قارعة نقيق

يوالون النقيق بغير جدوي ... وليس لهم الى العليا طريق

غرور جامح وعريض دعوي ... واحلام الى البلوى تسوق

اذا قالوا فقولهم هراء ... وان فعلوا ففعلهم زهوق

وآراء بها دس وكيد ... وآلام لنا حتماً تعوق

وتقليد مشين لا يجاري ... وميل للتفاهة لا يليق

مجالس لو شهدت بها حديثا ... لقمت وانت بالدنيا تضيق

نقائص لو علمت بما تغذي ... به لانتابك الجزع العميق

فمن حسد تراد ومن عناد ... ومن خبث بانفسهم يحيق

معائب كل يوم في ازدياد ... فجل الخطب واتسعت خروق

تدارك يا الهي منك لطفا ... فانا للنقائص لا نطيق

دعوا التقليد يا قومي وهبوا ... لعمل الصالحات لكي تفوقوا

فما هذا الذي تأتون إلا ... سفاسف بالرجولة لا تليق

نسيتم مجد آباء كرام ... علوا في الارض ويحكم افيقوا

لهم حسب وفضل اي فضل ... ومنتسب اذا نسبوا عريق

هم القوم الالى ملكوا فسادوا ... واسدوا للخليقة ما يروق

مشي الغرب الحديث على هداهم ... ففاز وانتم همل مسوق

دعوا البغضاء بينكم وثوبوا ... لرشدكم فكلكم شقيق

وسيروا سيرة الابطال واسموا ... بامتكم وللعلياء توقوا

وعند النائبات فقابلوها ... بقلب لا يداخله فسوق

سمى الاقوام في الدنيا فطاروا ... وما مسعاكم الا عقوق!!

وله أيضاً :ـــ

حول تعليم المرأة والسفور

قالوا ، هؤلاء علموا الفتيات   وتسابقوا في القول غير هداة
والله ، يعلم انهم لمقلدو   ن سواهمو في النسج والغايات
ما بين داع للسفور وطالب   للاختلاط ينوه باللعنات
يرمون ، ظلما بالجمود مخالفا   اضجيجهم والجهل والتبعات
ياقوم ماذا نال فتيان لكم   فطلبتم التعليم للفتيات
ان التطرف شيمة مذمومة   فدعوا التطرف واتركوا لهات
هذا هو السودان يهتف قائلا   لو تسمعون القول غير طغاة
يا قوم انى فى بداية نشأة   لما ازل أحبو وبدء حياة
لا ترهقوني قبل ان اقوى على   حمل الصعاب فتقصموا لنواتي
الدين يأمر بالحجاب وانتم   تتآمرون عليه بالشبهات
ماذا رأيتم في اختلاط رجالكم   بالبعض غير الخزى والسوآت
فأهبتم ، بالغانيات ضلالة   في غير ما خجل الى المأساة
الله اكبر نزعة جبارة   تهوى بنا في الذل والحسرات
خلوا النساء وشأنهن بربكم   واسعوا الى الاصلاح غير جناة
من كان لايستطيع حفظ عفافه   رجلا فكيف يراه للفتيات !
ان اضرب الشبان عن تزواجهم   فلعلة هي آفة الآفات
الله يعلم والثقات بكنهها   ما الجهل كان لهم من العقبات
انا بنو العرب الكرام وقادة الـ   ـرأي السديد وسادة السادات
ما كان همهم السفور وقد علوا   فوق السماك ومنتهى الغايات

ياقوم ثوبوا للرشاد وجانبوا هذا الغرور وجاهدوا بثبات
ياقوم خلوا عنكم هذيانكم واسعوا لخير بلادكم بأناة

ملجأ القرش

انظم قريضك وافتخر بين البداوة والحضر
واستلهمن معانى الـ ـقول الرصين المبتكر
من كل قافيـة تطيـ ـعك في النفوس لها أثر
واذكر شبابا بالبلا د تشاطروا خير الفكر
آلوا على ان يبذلوا مجهود حزم مستمر
فتعـاقـدوا وتكاتفوا بعزيمة لم تندحر
رأي سديد قد رأو ه ولم ينوا حتى اختمر
فتسابقـوا وتنـافسوا فيه بكل فتى أغر
حتى تكلل بالنـجاح وها هو اليوم ازدهر
مشروع خير ابرزوه فساهموا بين البشر
لم يحجموا أو ينكصوا حتي تثبت واستقر
لله آمـال لنـا قد أثمرت خير الثمر
فالى الامـام بني الكرام لكل امر ذى خطر
ما خاب سـعى قام فيـه بنو العروبة او خسر
يا ملجـأ الايتـام هـا قد قمت فينا مشمخر
بالیمن والاسعاد والـ إقبال يحدوك الظفر
لو جاد بالقرش الجوا د فقد ضمنت لك العمر
فليهنأن بك قومنا وبك البلاد لتفتخر

يا ملجأ الضعفاء يا مأوى البئيس المفتقر
قد قام رغم عداته والحاقدين ومن سخر
يزهو ويرفل ظافرا ويتيه مختالا فخر
فتعهدوه بالنماء ولا تضنوا بالبدر
فهو السعادة للبنين وخير اجر يدخر

الشباب المرتقب

يا ليت شعري هل اري يوما شبابا ثائرا
يقضي على هوج العواصف بالبلاد اذا انبرى
يستل منها كامناً من شر داء قد عرا
وبظل يدأب طالباً لبلاده اعلا الذرا
لا ينثني عن عزمه او ان يخور ويدحرا
ياليت شعري هل افوز بما اريد وان اري
فأرى شبابا عاملا واري شبابا خيرا
واري شبابا باسماً مستبسلا مستبشرا
واري شباباً ان الم الخطب قام مشمرا
متوثباً نحو العلا متحفزا متمرا
فيحقق الامال فيه ولا يعود القهقري
من لى بشبان اذا ما اقدموا اسد الشرى
يسدون خيراً للبلاد ولا يوالون الكري
لهم الرجولة مظهر والجد لا القول الهرا

سبحان من لو شاء	انبتنا نباتاً مثمرا
واذا اراد الله	كنا امة بين الوري
فاسعوا لنيل الصالحا	ت فسوف مسعاكم يري
لا تركنوا للنوم ان	النوم شيء مزدرى
وتسربلو بالحزم ان	الحزم محمود السري
حسبي اعتزازاً ان تكو	نوا للمعالي مصدرا

وقال في حادث طفل لقيط وجد ملقياً في حفرة بغابة سنار :—

(الطفل البائس)

يا بائساً القيت دون ثياب	في حفرة ضمتك بين الغاب
ماذا جنيت وانت لما تسلخ الـ	شهرين من عمر بغض اهاب
ما أظلم الانسان في الدنيا وما	أقسى النساء على بني الاصلاب
لكنه الفعل الاثيم وويله	يطغى على الاحساب والانساب
ويل لقوم جابهوك بذلة	ورموك عرياناً بغير ثياب
غبنوك ظلماً منهم وقساوة	فقذفت بين مخاوف وصعاب
يا ليت شعري كيف بت بليلة	ظلماء بين الجوع والاوصاب
يا ليت شعري كيف نمت مروعاً	بالقاع بين جنادل وتراب
كيف اتقيت الضيم انك اعزل	عن كل ما يحميك من أسباب
كيف اتقيت البرد غير مدثر	وقضيت ليلا حالك الجلباب
تركوك وحدك بالعراء وادلجوا	يا بئسما فعلوا فعال ذئاب
كم ذا صرخت ولم تفز باجابة	يرعاك رب الناس والارباب

* * *

عجباً يهاب الليث حد سناني ... واهاب سحر فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيباً ... منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى ... زهر الوجوه نواعم الابدان
ككواكب الظلماء لحن لناظر ... من فوق اغصان على كثبان
هذي الهلال وتلك بنت المشترى ... حسنا وهذي اخت غصن البان
حاكمت فيهن السلو الى الصبا ... فقضى بسلطان على سلطان
فأبحن من قلبي الحمى وثنينني ... في عز ملكي كالأسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوي ... ذل الهوى عز وملك ثان
ماضر أني عبدهن صبابة ... وبنو الزمان وهن من عبداني
ان لم اطع فيهن سلطان الهوي ... كلفاً بهن فلست من مروان
واذا الكريم احب امن الفه ... خطب القلى وحوادث السلوان
واذا تجاري في الهوى اهل الهوي ... عاش الهوى في غبطة وأمان

وله ايضاً

حلفت بمن صلى وصام وكبرا ... لاغمدها فيمن طغى وتجبرا
وأبصر دين الله تحيي رسومه ... فبدل ما قد كان منه وغيرا
فواعجبا من عبشمي مملك ... برغم العوالي والمعالي تبربرا
فلو ان امري بالخيار نبذتهم ... وحاكمتهم لاسيف حكما محررا
فاما حياة تستلذ بفقدهم ... واما حمام لا نرى فيه مأزرا

على بن حمود الناصر

ولى علي بن حمود وتلقب بالناصر . وقال بعض المؤرخين لقب بالمتوكل فبايعه أهل الدولة على طاعة هشام المؤيد ان ظهر خبره . ولما لم يظهر هشام دعا ابن حمود الناس الى بيعته . ولكنه ما لبث ان تمرد عليه العبيد الذين ظاهروه اولا حال زحفه من سبته وولوا عليهم عبد الرحمن بن محمد بن عبدالملك بن عبد الرحمن الناصر فزحف بهم هذا على غرناطه وكان عبد الرحمن ميالا بفطرته الى الصرامة والشدة في احكامه ومعاملاته فنبت نفس العبيد عنه ونفروا من رياسته وتبينوا من حاله انه لو رسخت قدمه في الملك فسوف يكون شؤما عليهم وسداً يحول دون أمانيهم التي كانوا يسمعون الى تحقيقها وراء تلك

لله جندى رآك مجندلا فوقاك فاز بجنة وثواب

أخذته عاطفة الحنان لمنظر يفري القلوب فآب غير مجابي

جذلان يخطر قانعاً بمآبه فكأنما قد فاز بالاسلاب

***

ما راعني الا أتيتك جائعاً تشكو الى الرحمن من اتعاب

ففدتك شاة جاد يابس ضرعها اذ لم تفز من حاضر بجواب

وحنت عليك بدرها فى رقة لما رأتك تئن بين عذاب

تشتم جسمك بالحنان وتارة نظراتها تغنى عن الاعراب

***

غانوك لم يخشوا العواقب ذلة فلشد ما ساءوا الى الآداب

يا ليت شعرى كيف بات ضميرهم لما رموه واسرعوا بتباب ؟ !



الانقلابات فانفضوا من حوله ولكنهم لم يغفلوا أمره لم بل بعثوا من اغتال حياته وارفضت جموعه . اما ابن حمود فقد ظل في قرطبه الى سنة ٤٠٨ هـ وهناك قتله مواليه غيلة وهو فى الحمام وكانت ولايته اثنين وعشرين شهراً فقط وله من الولد يحيي وادريس

القاسم بن حمود المامون

رني هذا بعد اخيه وكان اكبر منه سناً وقيل انه تشيع الا انه لم يقم الدليل على ذلك ولم يسلك غير سبيل اهل السنة على المشهور وفى ربيع الاول سنة ٤١٢ هـ خرج عليه ابن اخيه يحيي بن علي بن حمود بمالقه والتف حوله خلق كثير فاضطر المأمون الى الفرار تخلصاً من الفتنة وسار تواً الى اشبيليه واعقبه يحيي الى قرطبه فدخلها بلا حرب وهناك بويع بالخلافة وتلقب بالمعتلي . فلما بلغ ذلك المأمون عز عليه الامر ولم يستطع الصبر على ذلك الضيم أو يرض بوصمة الفرار فأخذ في جمع الجيوش واعداد المعدات لاسترجاع ما فقده وفي سنة ٤١٣ هـ كر راجعاً الى قرطبه فى جيش عظيم من اخلاط البربر والعرب ودخلها بلا حرب لفرار يحيي منها وذهابه الى مالقه ومنها أغار على الجزيرة الخضراء وبسط نفوذه عليها وكانت لعمه القاسم بها ذخائر وخلافها مع احدي نسائه فلذلك اضطرب أمره وبينما هو كذلك بلغه ان ادريس ابن أخيه اغار على طنجه فملكها وهناك رأى القاسم ان لا فائدة ترجى بعد سقوط طنجه ولما شاهد اهل قرطبه وجله الشديد قلبوا له ظهر المجن وثاروا ثورة عنيفة وحاصروه نحوا من ٥٢ يوما فاضطر عساكر البربر الى النجاة من تلك الورطة واقسموا الى فرق سارت كل منها الى بلدة فملكتها . اما القاسم فلم يسعه الا الفرار الى اشبيليه التي كان بها ابناه محمد والحسن ولكن اهل اشبيلية طردوهما لكى لا يمكنوه من الدخول الى مدينتهم . وفى الحال قدموا عليهم القاضى أبا القاسم بن محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي ومحمد بن يريم الالهانى . ومحمد بن الحسن الزبيدي فاستبد القاضى أبوالقاسم بالتدبير وادارة شؤون الولاية واصبح صاحباه كسائر الناس . اما القاسم المأمون فوقع أسيراً في يد ابن اخيه يحيي الى ان هلك مسجونا فى سنة ٤٢٧هـ

يحيى بن على المعتلى

بويع بقرطبه في سنه ٤١٣ هـ فهو شريف من آل البيت كما اسلفنا وقد ساد الخلاف بين أهل الدولة بشأنه وانشق عليه أناس أضطروه الى الفرار الى مالقه في سنة ٤١٤ هـ ولما غلى مرجل الخلاف بين أهل قرطبة قام فريق منهم يطالب برده اليهم وفعلا تم له ذلك في سنة ٤١٦ هـ الا انه تردد في دخول المدينه لما خالج ضميره من الشك في اخلاص المنادين به . وقد وافق في سنه ٤١٧ هـ في استلام القلاع والحصون وعظم



الشيخ محمد البوشي

دو قاسم والله معط يالها — من قسمة فيها الانام سواء
جاء ابن مريم بالبشارة قبله — فقدوم احمد رحمة وشفاء
قل للذى لم يدر حكمة صانع — يقضى بنافذ حكمه ويشاء
لولا خطيئة آدم ما شرفت — ببزوغ شمس محمد حواء
محت الضلالة كل شرع قبله — فتكاثر الابناء والشركاء
ومحا الضلال فكذبوه وعنفوا — من قال ليس كمثله الاشياء
اذا القلوب وهت بتقايب الهوي — فالعبقرية والنفوس دواء

* * *

قال الألى هادوا مقالة فاجر — في صاحب الانجيل وهو براء
فاذا ختام الرسل يثبت انه — نفخ الامين وأمها العذراء
فعلام يعرض من أراه سادرا — فى تيهه جمحت به الغلواء
قالوا الوجيه(١) دو الشفيع وما دروا — قرب الحبيب ودونه الوجهاء
والروح من أمر الاله فان نكن — لبنوة فجميعنا أبناء
جهلوا وربك أن فضل محمد — لم يحصه طرس ولا املاء

* * *

دع ذكر من تخذ العباد الهه — واذكر فتى تحيا به الاحياء
اذكر خلاصة آدم ولسان وحي الا ـــــــــه حيث الصدر منه وعاء
اذكره إرغاماً لأنف عدوه — فبذكره تتعطر الارجاء
اذكره إن بنى النساء جميعهم — خدم لسابق فضله واماء
اذكره واذكر موقفاً تتضاءل — الاملاك فيه وتحجم الشفعاء
اذكر لعام الفيل مولد احمد — كيف استكان لوضعه اللؤماء

---

(١) الوجيه سيدنا عيسى عليه السلام ويقول المبشرون أن الشفاعة له وحده دون سائر الانبياء

ومعين ساوة كيف غاض وأخمدت ... للفرس نار ما لها اطفاء

والوبذان يرى نهاية أمرها ... فيسوءه الكتمان والافشاء

وتنكس الاصنام يؤذن انه ... ىح الخفاء وفوز الاغراء

اكرم بيوم فيه بصرى أبصرت ... من نور من ضاءت به البطحاء

وشذا بمكة عطر انفاس الام ـــــ ـين فاين منه مندل وكباء

عطرا من التوحيد قد مزجت به ... بشرى المليك فتمت النعماء

الله اكبر كم له من أنعم ... وأجلهن الكوكب الوضاء

لما ثوى في آل هاشم بان سر ... زكاء اصل ما له نظراء

نسب شريف لم يدع من فوقه ... جرثومة تسمو لها الشرفاء

ظهر خلا من شبوة الارزال فاخ ... تيرت له الارحام والآباء

من عبد مطلب عظيم الجاه من ... دانت لثاقب رأيه الآراء

وقصى المولى الذى انعقدت له ... يوم التنادى ندوة ولواء

مولى الحماية والسقاية والرفا ... دة والحجيج لهم بها ضوضاء

وسليل من ملا الظواهر من قري ـــــ ـش والبطاح فكاهن ملاء

من نسل عدنان وما عدنان إلا ... دوحة علوية عصماء

منها الابوة الذبيح تؤوب او ... فيها انتهى ما اختاره العلماء

* * *

قد كان شافي علة الدنيا فتى ... جاءت به فى كفها الشفاء

ووقاه من عبث الحداثة من هداه ... الى القناعة . . والحداثة داء

واذا العناية وافقت ذا همة ... بلغت به في الشأو كيف يشاء

لله در فتاة سعد انها ... سعدت فاخصب عيشها والشاء

سعدت بان رضيعها هو خير من ... وطىء الثرى وأظلت الافياء

يا سعد ماذا شممت من ريحانه ... ونمائه ؟ هل مثله الرضعاء ؟

هل غيره من كان يمشي والغما ... م يظله وتحوطه الآلاء
هل غيره جبريل غاسل قلبه ... وله بختم الانبياء طغراء
هل غيره ملئت جوانب روحه ... من حكمة تصبو لها الحكماء
لله ما أولاه من نعم فلا ... من عليه بها ولا إيذاء
حسب امرىء ألا يعي أبويه ثم ... يقال ذياك الفتى السلالاء
أبواه إن عاشا فلا تسأل لان ... العطف ما جادت به الآباء
استغفر الله الذي كلأ الورى ... ما للذي كفل الاله كفاء

* * *

سل عنه رهبان النصارى والالى ... ضربت عليهم ذلة وبلاء
ينبئك نسطورا واحبار لهم ... علم وبعض الانبيا شهداء
فبشاير الاصباح مشرقة ولو ... أعشت خفافيش الورى الاضواء

* * *

أفديك يا من حله فوق العلو ... م وحديه للعالمين ثراء
لك آيه العرفان لم ترجح بها ... آي ولم تظفر بها القدماء
ولسان صدق لا يمل ثناؤه ... طار الفضاء به وسال الماء
مضت المعاجز وانطوت آثارها ... ونصيبه في الذاهبين بقاء
فاعجب لاعجاز من الكلم الفريـ ... ـد وكلنا عن مثله ضعفاء
كم تاهت الفصحاء في خيلائها ... وبتيه كم تاهت الفصحاء
وبدائع الاعجاز في تبشيره ... خلف البحار تسيغه الغرباء
فتنت به الاعداء يا لجلاله ... والحسن ما فتنت به الاعداء
فيه البشارة والنذارة والاقا ... صيص التي تعنى بها الصلحاء
فيه الحلال من الحرام مبين ... في محكم لم يحكه الانشاء
فيه العظات البالغات وأمثل ... مثلي وفي متشابه إيماء

سبحان ربي حيث نادي باسمه   فيه فلم تعبث به الاراء

واذا عاد العرب اردى بعضهم   فالعرب فيهم نخوة وجفاء

والجاهلية تلك شر بقية   في امة عن رشدها عمياء

اما قريش فقد غوت لما مضى   للشعب فرع شامخ وعلاء

لم يأبهوا لجنا الرسول وما دروا   ان الجناء من الرسول دعاء

وتألبوا لكن على خسرانهم   يا ويح من صرعتهم البغضاء

ما كان إيلام النبي مهانة   لكنه الاصلاح والأساء

من مخبر الخاطاء ان دفى رب   العرش ما شقيت به الخلطاء

إني لتطربني خلال نبوة   ماضرها الارهاب والاغراء

أغروه بالتمليك ضمن مطامع   في طيها التزويج والاغناء

فأبت عليه شهامة ذلت لسطو   تها انوف حرة شماء

من ذا يطابق غلاب بحر زاخر   دو ديمة والكافرون غثاء

حمداً لمن أسرى بمن لم يضنه   في ليله المعراج والاسراء

فقضى شهوداً بان سر قضائه   في أن أمته بـه شهداء

لما انتهى للسدرة العليا انتهى   جبريل ثم علا به استعلاء

فاتى بخمس هن قرة عينه   فيها مناجاة لنا ودعاء

طوبى لمن طابت نفوسهم به   ياويل من لم يؤمنوا واساءوا

أنا ما حييت فان اهل مودتي   قوم صريح دينهم حنفاء

ننسى تحدثني لذيذ حديثهم   فأحبونه عمن به اغماء

لهفي على من هاجروا لله لا   يثنيهم التغريب والاقصاء

نزلوا على أبناء قيلة إخوة   في الله فيما بينهم رحماء

لم يشهد التاريخ مثل اخائهم   فتحكموا باخائهم ما شاءوا

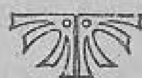
وتحصنوا بالله فانقادت لهم عرباؤها وارتاعت العجماء
صدقوا فطافت فى مرابع طيبة رسل الملائك بينهم سفراء
فكانهم فلق الصباح تطايرت انواره فانجابت الظلماء
عرفتهم الهيجاء قطب مدارها فتقاعست عن شرها الهيجاء
والشر ما لم يصطدم بمهند فعلي الكرامة والسلام عفاء
كانوا سواسية وكان شعارهم الحب والايثار والايواء
جعلوا من الشوري اساس بنائهم فتسامت الشرفات والبناء
فيهم رسول الله فخر الكائنا ت وهم حواريوه والخلفاء
بعثوا الفضيلة من عميق سباتها فتجاوبت الحانها الاصداء
وتأمنت سبل السلام بنصحهم فليعلمن الحاسد العواء
غزوا وهم في قلة وعديدنا جم ولكن هانت الجماء
لم نقف آثار الامين فضيعت فينا الامانة واختفى الامناء
فاذا عزيز الامس غير مدافع يزرى به من ذلة اقضاء

* * *

يامن تساوي الناس فى احسانه فتبارت الخطباء والشعراء
لى منك سابق منة معهودة وعلى رؤس الشاهدين ولاء
مدحتك آيات الكتاب ولم تزل آيات ربك ما اهن ازاء
لكن ما اوليت حسانا حدا بالمادحين فسنة وحداء
قسما بحبك يامثيب محبتي سعدت بك الخضراء والغبراء
واذا قفوت ركاب مدحك انما أنت المقدم والوجود وراء
فليشهد الثقلان ما انا منشد لمحمد ولتسجع الورقاء
ونقدست اسماء من نوحي له صلوا عليه فصحت الاملاء

وله أيضاً :—

يا خاطب المجد ان المجد ممتنع	ان كنت تطلبه عفواً بلا ثمن
ويا مريد العلا ان كنت سائله	مهد وسائله فى السر والعلن
فالعصم ان لم تفاجأ فى معاقلها	ما استنزلتها أغاريد على فنن
والاسد ان لم تفاجأ في مرابضها	لم تستطب قنصاً في معرض المدن
ما بال آبائكم دان الزمان لهم	وأنتم خلف دنتم الى الزمن
ما بال آبائكم كانوا على سنن	وأنتم اليوم اصبحتم على سنن
فاستخبروا صامتاً اعيا الفصيح ولم	يكتمكم السر عن ماض ولم يصن
ان قيل ما العرب أطرى الناس كلهم	وثار كل خطيب صدره لسن
ما عذركم ان سئلتم عن تراثهم	فأى مستحدث بالذكر مقترن
صاغ الاله لهم من طبعهم حللا	تزري بما شيد من برج ومن فدن
فليت سكان بطن الارض لو نشروا	وليت من فوقها في رحمة الكفن
عشقتم رتباً امهارها كذب	قد استقام بلبس الصوف والردن
زى البشاعة قد يصبى وليس لها	بين الخليقة خلق غير ممتهن
لا ترض نفسك بالمحظور ان سخطت	ولا تسمها لمبتاع ومرتهن



عبـــد الرحمن افندي شـــوقي



ومن الشعر ما يقرأ لك نفسه حتى لكأن صوتاً جهيراً ينبعث به في مسالك الحس المرهف، ويتردد به في نجوات النفس الغايرة، مدوياً كأنما يقذف به في مضارب الافق. على حين لم يصدم به سمع ولم يجر به لسان. وما يزال بالواقف لديه يملأ عليه من اللذة انفاسه ويزحم عليه من النعيم رأسه، حتى ينحصر بكليته في أعماقه، وينكمش بحواسه في مغاور دنيا قلبه وعالم روحه. هذا النوع من الشعر هو ما اصطلح الناس قديماً على تسميته بالسهل الممتنع واستطعنا نحن ان نتلمسه عند شاعرنا « شوقي السودان » كما يسمونه. ويلذني كثيراً ان أقرأ لعبد الرحمن افندي صامتاً وقد اجدني مرغماً حيناً أن اجهر بالبيت والبيتين والثلاثة له، وذلك يفسر حدة « الثورة الاجتماعية » في بعض قصائده. ولست احفظ له من جيد الشعر الا ما جرى هذا المجرى من شعر الاصلاح ولقد حاول ان ينسب ويتغزل ويمدح ويرثي فلم يوفق توفيقه في هذا وهو على أية حال شاعر اجتماعي يعرف كيف يستثير و كيف يؤثر

ولد عبد الرحمن افندي بمدينة أم درمان في سنة ١٣١٣ : ١٨٩٦ م وتلقى علومه الاولية بمدرستها ثم انتقل الى كلية غردون وتخرج فيها من قسم المهندسين الى ميدان العمل الحكومي وهو الآن يعمل لحساب نفسه حراً طليقاً من القيود متوفراً على تنمية أدبه بالقراءة والانتاج. وهذه قصيدة له أنشدها لذكرى الهجرة في هذا العام ١٣٥٥ :—

ذكرى الهجرة

اطل علينا من عل فتبسما ... ولم يدر ان السعد كان مقسما
هلال بدا في الغرب والشرق مظلم ... ومن عجب ان نبصر الشرق مظلما
لعمري وما أدري ايحمل مغنماً ... الى الغرب أم للشرق يحمل مغرما
ومن فيه يشقى . والحوادث جمة ... ومن يا ترى فيه يعيش منعما
ومن ينقضي العام الجديد ولم يمت ... ومن حظه في العام ان يتحطما
أفي الغرب افراحاً أقاموا وجنة ... وفي الشرق احزاناً لنا وجهنما
أمن يعبد الرحمن يشقى بدينه ... ومن يعبد الطاغوت يحيا مكرما

* * *

الى بنات الشعر فالشعر خانني ... واني لاخشى اليوم ان اتلعثما
اعيدي لي العهد الرشيدى واطلقي ... لساني عساني اليوم ان اتكلما
فانشر من مجد الجدود صحيفة ... وانظم عقد الدر فرداً وتوأما
واتلو عليهم آية بعد آية ... اذا تليت في قبر ميت تكلما

* * *

زمان تولى كان فيه جدودنا ... ليوثاً يقودون الخميس العرمرما
اذا ابتسموا فالخلد في بسماتهم ... وان عبسوا فالكون صار جهنما
وان عصروا عود الزمان اطاعهم ... ولان لهم عاصيه حتى تقوما
وان ضربوا دكوا القلاع بعزمهم ... وأوموا الى بنيانها فتهدما
ميامين كانوا حيث حلت ركابهم ... وداء عياء للعداة وبلسما
شموس سماء المجد ايان اشرقوا ... بدور الدياجي حيث كانوا وانجما
موازين قسط للانام . نفوسهم ... تضن ويأبى المجد ان تتألما

أغاروا عليهم حيث شادوا حصونهم ... ودكوا القلاع الشامخات الى السما

ولم يكتفوا بالفتح والنصر فارتقوا ... الى العز والمجد المؤثل سلما

لقد حللوا ما كان شرعاً محللا ... وقد حرموا ما كان شرعاً محرما

وساسوا فما جاروا ولا تبعوا هوى ... ولو حملوا النفس الضعيفة مغرما

الى ان دعى داعي الردى فتتابعوا ... نجوماً هوت فالكون أصبح مظلما

وغاب أباة الضيم عن كل منزل ... وأصبح مجد العرب نهباً مقسما

واصبح من كانوا حماة لغيرهم ... عبيداً يرون العيش فى الذل مغنما

اذلاء لا هم يتقون الذي يرى ... ولا هم يجلون الكتاب المعظما

وقد قال قبلي شاعر الشرق حافظ ... فابدع فيما قال فينا وأحكما

(اذا رمت ان تلقى السعادة بيننا ... فلا تك شرقياً ولا تك مسلما)

تبيت على الهم الممض نفوسنا ... وتمشي على جمر من الذل اضرما

نتوم وملء العين هم وحسرة ... واعيننا حزناً تفيض لنا دما

***

اعيذ الفتى ينسى من الهم نفسه ... وان يركب الذل الوخيم المذمما

اعيذ الفتى يرضى الهوان لنفسه ... وكيف يسيغ الحر صاباً وعلقما

اعيذ الفتى ان يشتري المجد بالاذى ... وان يرتقي بالذل للعز سلما

اعيذ الفتى ان يستبد برأيه ... اذا الليل ادجى بالخطوب وأظلما

اعيذ الفتى ان لا يوقر غيره ... وان كان مسكيناً فقيراً ومُعْدِما

اعيذ الفتى ان جار دهر على أمرىء ... يكن غارة حرباً عليه ولهذما

اعيذ الفتى ان فرق الدهر بينه ... وبين أخيه ان يبيت منعما

اعيذ الفتى ان لا يجود بماله ... وان لا يعين البائسين ويرحما

اعيذ الفتى ان لا يجود بنفسه   اذا ما رأى وجه الزمان تجهما
وان لا يرى الاحسان لله مغنما   وان لا يرى كنز الدراهم مغرما
فكم بيننا من بائس متجمل   نراه غنياً والتعفف ميسما
وكم بيننا من خامل الذكر عالم   يرى الجهل كل الجهل ان يتكلما
فكم لبست ثوب الاسود ذئابها   أليس عجيباً ان نرى الذئب ضيغما

* * *

وكم وقفة لي في الندى احثه   الى الفضل والاقدام ان هو احجما
اشير عليه بالتضافر والاخا   واملي عليه الرشد والنصح محكما
فلم أر من في الخير يؤثر غيره   طبيباً يؤاسي يملا الجرح مرهما
لقد فرق المقدار ما شاء بيننا   وشاء الهوى أيدي سبا وتحكما
فمدوا يداً للصلح فالفضل للذي   يرى الفضل كل الفضل ان يتقدما
بذرتم بذوراً للعداوة بيننا   وها زرعكم في الصدر والقلب قد نما
وفرقتم من الشبيبة فاعتدت   عليها ذئاب كن بالامس نوما

* * *

أعيذ بناني ان يكون مخضباً   دماء، وقلبي ان يكون مقسما
بلادي لها روحي وجسمي ودونها   فؤادي وفيها لا ازال متيما
أرى الخلد فيها والمقام وطيبة   وسيناء والبيت العتيق وزمزما
وجنة خلدي ما رأيت طيورها   تغني وان كانت على جهنما
أرى حبها فرضاً علي مقدساً   وحب سواها في البلاد محرما

* * *

فيا ليت شعري هل ارى النيل جارياً   طليقاً كدمعي اذ يسيل معندما
وهل سأرى يوماً عن الغاب أسده   تذود، اذا ما الليل في الغاب أظلما

* * *

اعيدوا على الاسـلام عهد شبابه وشيدوا له الركن الذى قد تهدما
وهل يرتجى الاصلاح والشعب نائم وهل يبلغ الآمال من كان نائما
تهون علينا دورنا ونفوسنا ونأبي باعراض لنا أن تثلما

* * *

بني وطني والموت حتم على الفتى ومن مات للاوطان مات مكرما
أليس لنا ان نشرئب الى العلا وان مسنا الارهاق ان نتبرما
فلم لا أرى ماييننا غير صامت وقد آن للاحجار ان تتكلما

* * *

متى يبسم الدهر الخؤون لأمة أبي خطبها المنكود أن يتبسما
يعز علينا ان نراها حزينة تئن ويأبى الله ان تتألما

* * *

اضيء ياهلال الشرق واشرق مسالما وزر حولنا واطلع الينا مسلما
فقد كنت سهماً للاماني مسددا فكن لجراح العام بالامس بلسما
توسمت فيك الخير فانهل مدمعى سروراً وكان الخير ان أتوسما
وبشرت قومى ان عامك ممتل رخاء وسعداً جاء بالخير مفعما

وله أيضاً :ـــ

إني هززت يراعى والمداد دم والسيف قد كان ماضى الحد فانثلما
وما كتمت الذي لاقيت من حرق بل اسمعت كلاتى من شكا الصمما
كم وقفة لي ابكيت الجماد بها اسمعته وهززت النيل والهرما
ورب قول جرى من منطقي وفمي حسبته الدر والياقوت منتظما
حليت عاطل جيد الدهر منه بما ود الغواني لو ان في جيدها نظما

***

مضى زمان وقلبي ممتلٍ ألماً — وفي فؤادي أسى كالنار مضطرما

حزناً على أمة بالنيل نائمة — تشكو الاوار واخشى ان تموت ظما

ابناؤها وهو شر البنين لها — لا يعبأون اذا ما اصبحت عدما

كرت عليها سنون ما انتهت وبدا — هذا الهلال اليها اليوم مبتسما

يا طلعة العام ان الشرق في ظلم — فاطلع أزل هذه الاحلاك والظلما

وارسل الى الشرق نوراً يستضيء به — لعل نورك يمحو في القلوب عما

واكشف لثام الدجى عما يكون لنا الـ — ـعام الجديد وما في الغيب قد كتما

فانت وحى لنا يا بدر بل أمل — وانت سر الليالي جاء منكتما

طلعت باليمن فاستبشرت فامتلات — نفسي سروراً وأجرى بين الضلوع دما

وقد قفت على قومي ابشرهم — ان الاله سيحيي فيهم الرمما





الشيخ محمد الامين القرشي الحسينى

الشيخ محمد الامين القرشي الحسيني

صلة الحديث عنه

يشاء الله ان لا ينقطع الحديث عن الشيخ محمد الامين . والا يقف أمره فيما انتهى اليه من صفحات هذا الكتاب . وأن تكون لنا اليه عودة وعطف بالحديث . وان نفتح له مجالا من جديد حرصاً على ان ننشر للقراء صورته التي وصلت الينا بعد ان طبعنا « الملزمة » التي نشرنا فيها الحديث عنه وإيثاراً لهم بالقصيدة القيمة -التي تفضل الاستاذ العلامة فرفعها الينا تقريظاً لهذا الكتاب بعد ان انتهينا ايضاً من طبع التقاريظ ، فلم يكن بد إذن من تخصيص مكان آخر له حتى لا نحرم القراء الذين لم يشهدوا طلعة الاستاذ من التعرف اليه هنا . قلنا لم يكن بد من هذا . والعجيب اني فكرت في الحاق الصورة بما نشر له فكنت أجدها مع الترجمة تقطع سير قصيدته « ابي الطيب » وفكرت ايضاً في خلق مكان لتقريظه مع التقاريظ فكان الامر هو بعينه . وفيما يلي يجد القارىء القصيدة ننشرها شاكرين للاستاذ العلامة هذا الفضل العظيم :—

مرفوعة

الى حضرة صديقنا النابغة المجتهد محمد افندي عبد الرحيم صاحب كتاب تاريخ السودان — ومجلة ام درمان — وكتاب نفثات اليراع في الادب والتاريخ والاجتماع من بحر الخفيف قافيه المتواتر

يبلغ المجد من سعى للكمال ... يترك النوم من يود المعالي

يسهر الليل والانام هجود ... باحثاً غائصاً يريد اللآلى

ما سمعنا بان مجداً صحيحاً ... جاء للقابعين عند الظلال

يصرفون الايام فى اللهو حتى ... ينقضي العمر بين قيل وقال

دأبهم مظهر أنيق ودل ... وحديث لم يعد حد الجدال

ليس بالفخر أن تكون جميلا ... ناعس الطرف مشرقاً كالهلال

غصن بان تمشي الهوينا رياء ... مائلا باليمين أو بالشمال

تطلع الوقت زينة ثم تبدو ... بين أسد الشرى كذات الحجال

انما الفخر ان تكون مجداً ... حاذقاً عاشقاً سنى الخصال

تركب الصعب لا تهاب وتسعى ... سعي حر مهذب لا يبالي

يأنف الذل لا يباح حماه ... عزمه ثابت ثبات الجبال

وترسم خطه (محمد) تظفر ... بجميل الثناء في كل حال

(ابن عبد الرحيم) ما كان الا ... شعلة فى الذكاء بين الرجال

فاتح مغلق الامور برأي ... مثل حد الظبا كريم الخلال

لا يرى فى الحياة الا مجالا ... لابتناء العلا وحسن الفعال

اين ذاك التاريخ (١) يا قوم هاتوا ... مثله فى البيان أو فى الجلال

ذاك بحث تقاصر الناس عنه ... لم يشدوا لدركه من رحال

ضل في تيهه أناس تصدوا ... فأتى منقذاً لهم من ضلال

(ام درمان) (٢) ذي مجلة حق ... سوف يرتادها بسحر حلال

يملأ الارض حكمة وعلوماً ... ليس يرمي رئيسها بالكلال

(وكتاب الآداب) (٣) سفر عظيم ... وهو كنز من الكنوز الغوالى

فترى رونق الحضارة فيه ... وترى القوم حيث تدعا (نزال)

فهو مثل المرآة تظهر فيه ... حالة العصر والسنين الخوالي

ذلك الفوز يا (محمد) فاجلس ... فوق هام السماء وابن «العلالي»

---

(١) كتابه تاريخ السودان (٢) المجلة المسماة امدرمان التي أصدرها المؤلف (٣) كتاب نفثات اليراع فى الادب والتاريخ والاجتماع



حسين افندي منصور

حسين افندى منصور

ارأيت الجندي يوم تعصف به نوازع قلبه الثائر، وتهدر به شقاشق عزمه الملهوب، وتفرى نفسه الواجدة عن مثل لوافح القيظ، ويساقط من جفنه الجاحظ شرر دمه الفوار. وخيال روحه المستبسل. ارأيته كيف يصلب ويصخب. وكيف يمضي على الخطر ويذهب. ساحقاً كل اعتبار متخطياً كل عرف مضرباً عن كل أمل. يهمه أن يرضي ثورته وأن يقول للعالم بعدها أصنع ما شئت ؟!

اذا هم القى بين عينيه همه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ذلك هو بعينه حسين افندي منصور. جندي فى حديثه في روحه في شعره في تفكيره. قوي فى كل هذا ثائر في كل هذا. بعينه في ثورته هذه سخطه على العالم وموجدته على الاكوان وحرمانه من جسام آماله التي لا يحملها الا مثل رأسه ولا يحلم بها الا من كان في مثل طماحه الغريب!

ولد حسين افندى بمدينة أم درمان حوالي سنة ١٣٢٣ هـ الموافق سنة ١٩٠٦ م وهو مصرى الاصل سوداني المولد والبيئة. تلقى علومه الاولية بمدرسة أم درمان الابتدائية ثم درس بضع سنين بالمدارس الثانوية المصرية بالقاهرة وكان شغوفاً بالاستطلاع وبحث المراجع الادبية ولقد شاءت الظروف ان يعين مدرساً للرياضة بالمشيخة العلمية بام درمان ولكنه ما لبث بها زمناً حتى أنشد قصيدة في العام الهجري ذهب فيها مذهبه في ثورة فكره معرضاً ببعض الزعماء كقوله مثلا :—

ولست بمثن على أحمد (١) ومفتي الديار ولا الجارم (٢)

وغيرهم من رؤس البلا د والنفر القاعد القائم

الى أن أرى (دعوة حقة) تـرد الاصول الى آدم

ولما نوقش في قصيدته استقال من منصبه كمدرس وسار الى مصر وأخذ يسعى هناك لايجاد منصب يليق به وما أظنه وفق الى تحقيق غايته لو [illegible] ضيق نطاق الوظائف هناك [illegible]ته بقي حيث نشأ وترعرع فالسودان أ[illegible] [illegible] و[illegible]وج ا[illegible] علمه وأدبه. ومن شعره قصيدته «القلب الطريد» التي نشرتها له مجلة الرسالة فى سنتها الثانية وهى هذه :—

---

(١) الشيخ احمد محمد أبو دقن شيخ العلماء (٢) صاحب الفضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضي قضاة السودان

القلب الطريد

ان بين الضلوع قلباً طريداً ... عاثر الجد لم يقل من عثاره
قام دهراً الى اليسار ربيئاً ... مشرفاً قابضاً على منظاره
آملا ان يلوح قلب نقي ... يبذل الود ساذج في نفاره
يعرف الحب والحياة ويلقي ... عن فؤاد المحب ثوب صغاره
عالم بالجمال في كل لون ... وخبير بخافيات مثاره
يستطير الذكاء منه شعاعاً ... ساكباً ضوءه على أقطاره
يشرق القول من سناه ويمشي ... شرطي العفاف في أنواره
ويفيض الحنان نهراً دفوقاً ... يجرف العاذلين في تياره

***

آملا ان يراه منه قريباً ... قبل موت الهدى وقبل اندثاره
ان شدا بالغرام هب مجيباً ... ذلك القلب شادياً بجواره
ويسر الانين في أوتاره ... يرسل اللحن في الفضاء قوياً
جامد الطرف ذائباً من حنين ... مسنداً رأسه على قيثاره

***

ويحه لم يجد مبادل حب ... أو صديقاً يصون من أسراره
هام شرقاً وهام غرباً كئيباً ... يستميح الحنان في أطماره
طارقاً للفؤاد من كل ظبي ... حف او لم يحف لي بمكاره
ويوالي الهجوم حتى أراه ... مشرئباً يشب في أسواره
كلما دق باب قلب ترامى ... فيه شخص يجيل في انظاره

خافت رده يقول تأخر ... ت كثيراً يا صاح عن ايجاره

طال تسياره وآب ولم يحـ ... ظ بغير الكلال في تسياره

فابى بعدها القلوب مقيلا ... واستعاض البيوت من أشعاره

يشتكي دهره ويدلع فيها ... من سعير الغرام ألسن ناره

كاحلا بالرماد من مهجة القلـ ... ب عيون القصيد في اشطاره

* * *

هدنة ما أقمت شهراً عليها ... ثم عاد الفؤاد ماضي سعاره

فهو يغلي به ويطفو عليه ... وجده المستثار من أغواره

هابطاً بالهموم أو مستطاراً ... داوياً بالانين فوق مطاره

زاخراً بالدماء فالحب فيه ... متعب يرتمى على احجاره

قابضاً كفه على ذكريات ... كن بالامس في رمال قراره

باسمات وهن حول غرامي ... مغضبات مضين في آثاره

ذكريات أثارها من جديد ... ستثير الغرام من أوكاره

عابث بالنهى كثير التأبى ... حارس غصنه وطيب ثماره

باسم عندما يراني وحيداً ... وخجول اذا مررت بداره

سارح الطرف إن رآني وصحبي ... ذاهل كالغريق في أفكاره

* * *

اسمحي يا حبيبتي ففؤادي ... قلب كالحياة في أطواره

قد ملكت القياد منه وصارت ... بسمات من فيك اكليل غاره

فاحذري ان يثور بعد سكون ... فيطير الغرام في اعصاره



عبد القادر افندي ابراهيم

عبد القادر افندى ابراهيم

كتلة من الخيال الجامع القوي المسترسل، ومجموعة مدهشة من الاحساسات الغريبة المتناسلة فى اغوار النفس، ومشاعر جياشة مرهفة تسمع دوياً للصمت وتحس حركة للسكون . ولقد يخيل الي ان في نفسه مغاور وكهوفاً شديدة الحلكة تستفرخ فيها مشاعره وتكمن فيها اخيلته فان أطارها منها صدرت وفيها هذا الاثر الغريب . . . فانت ما تبرح في حاجة الى ضوء تقرؤه به

ولهذا النوع من الشعر انصاره الكثيرون الذين يروجون له ويدعون اليه وهو يتطلب نفوساً غريبة الوضع غريبة التكوين مزودة بنوع خاص من الاعصاب مهيأة الى تلقي الآثار الخارجية بقدر محدود

وفي الغرب تقوم دولة هذا الشعر الطيفي على أرسخ أعمدة من الالفة والاعتياد . بل تجد هناك الشعر الذي يسمونه رمزياً وهو من خصائص متصوفة الاسلام ولا يزال منهم حتى اليوم من يجود بالعجيب المدهش من هذه الرمزيات

وعندنا ناشئة سلكت بالشعر مسلك الانقطاع العميق الى مختلف آثار الذات الباطنة فاستقطروا في بعض قصائدهم لمعاً وانداء تحدث عن خيال ملحاح في طلب الغريب، وتضع صوراً واضحة وغير واضحة للفكر فى اغرابه وافتنانه وتلفتاته البعيدة وقد قدمنا للقارىء رأينا عن شعر الشباب والشيوخ فلا حاجة لنا باعادته هنا

ولد عبد القادر افندى بام درمان في سنة ١٣٢٦ ه الموافق سنة ١٩٠٩ وهو من قبيلة المريوماب . تلقى علومه الابتدائية في مدرستي سواكن وأم درمان الابتدائيتين ونقل للقسم التجهيزي بكلية غردون فكان خير مثال للطالب المجتهد المنكب على دروسه الحريص عليها . وبعد ان أتم دراسته تعين مدرساً بالمدارس الوسطى وكان في خلال ذلك كله لم يغفل نصيبه من دراسة الادب وتفهم موضوعاته حتى حفظ كثيراً من شعر شعراء العصر واطلع على غير قليل من مؤلفاتهم فى العلوم والآداب فكان ذلك كله خير ما هيأ أديباً مثله الاختيار . ولقد طالما قرأنا له فى الصحف المصرية والمجلات العلمية قصائد وموضوعات تدل على انه سوف يخضع لجبروته مستصعب البيان وهو من دماثة الاخلاق وكرم الشمائل بحيث يبدو لناظره في ابهى سمات الكمال . وهذه بعض قصائد له قال :—

روح

مهداة الى صديق الشاعر النابغة التيجانى يوسف بشير

يا شعاعاً يفور في سرة الرو ع وفي مهجة الخيال الفارق

وسهاداً الى النفوس من النو ر وحسناً على الصحيفة ناطق

ودماء مبيضة اللون تجرى دافقات على السديم بلائق

غرر انت من نهى السحر يشرق ن بقلب النق او في المنافق

وشعور على الدخائل جيا ش وذهن في عالم الغيب عالق

وخيال على المجاهل طوا ف وطيف في ساعة الموت طارق

عين وخز الاذى من الالم الطا غي وطل من الشفاء الصادق

ناعب ساعة الفراق وشحرو ر يغني في مثمرات الحدئق

وحياة بين الترائب والصلـ ب وماء على الجوانب دافق

سورة النكس بين مسبعة الاسـ ـــد ونبض الهوى بمجهة عاشق

ملك شئت في الزمان وعرا ف وان شئت مجرم ومنافق

ولك العالم الترابي محرا ب لسكناك والسماوي طابق

تخلق السحر وللملائكة الطهـ ر واوس الفلا وترمم ضائق

الاماني العذاب أنت ثناياها ومن ريق البشائر بارق

خالجات السنا من الحلم الزا هى ومن روعة الغيوم مناطق

وائتلاق حوى العوالم بسا م وقلب على البرية خافق

متن بحر مطرز بمعاني الـ سحر والكون فى حواشيه غارق

موجة من النور والحس تمتد امتداداً الى السماء تلاصق

يرقص الكون حول شلشلها الزا هى ويبدو في صفحة النفس رائق

والسموات الفسيحات تموجـ ـه على خده وحلم شائق

والصبير الجهام فى مرتع النسـ ـر يزين الفضاء فيه زوارق

ليس للذعر بين جنبيك مقـ ـر ولا عوده حواليك بارق

في خليط مِنْ الشذي وبهيم ملؤه النار والمياه الدوافق

ومض ومض انت من نفحة الله مضى فى امهات البوارق

ان قلباً من فلذة النور لا يخـ ـشى الردى ويلقى الطوارق

ويلاقى الحمام من أم السـ ـيل بشوشاً له ويهوى الصواعق

لهو قلب من قدرة الله منحو ت ومن قوة العزيز الخالق

روح روح تحيي الجلامد فى النفـ ـس وري منبع الفكر خافق

تمشق الزهرة الندية بالعطـ ـر وتكسو بالوشي وجه الحقائق

تدخل الزحلق العتيـة في القفـ ـر وتسري مسرى السنا في المآزق

لحن ناي مكسر النغم الحلـ ـو وعرف من عنصر الطيب عابق

ويمين تحوي المغارب والار ض وكف تحوي السما والمشارق

يا حياة في كل شيء تمتـ ـد وجيش من الفنا بفيالق

بك روح يجتاز مرحلة الغيـ ـب على ضوئها تموج الخلائق

تتخطى القرون للاعصر الاو لى كما ينبذ الحجارة سائق

لك صدر فى عهدنا يحضن الكو ن وجيد للغابرين يعانق

غرفة من مياه منهلك الصا في تعيد الحياة بين عمارق

انت يا نيل

انت يانيل حبذا اشراقك ... ومعين تحفه اشداقك
ونعيم وروعة وجلال ... وخلود تذممة آفاقك
وهبات تمدها وحياة ... وسمات أحاطهن رواقك
حبذا كل ما بساحك ينمو ... من جمال تضمه أطواقك
نحن ابناء ضفتيك وانا ... والذي علم الهوى عشاقك
غرستنا على الثرى لك أيد ... ورعتنا مدى المدى احداقك
وسقتنا من الطفولة نهلا ... انه في دمائنا اشواقك
كل حي بضفتيك تربى ... قد جرى في أديمه رقراقك
هاهو البر في مروجك نضر ... قد حباه وميضه ابراقك
هاهو السنبل المنور يكسو ... ه جلالا مقدسا اغداقك
هاهي الضان والسوائم ترعى ... في مروج كفيلها اغراقك
هاهي الطير والبلابل تشدو ... في غصون تظلها اوراقك
هاهي الناس في ظلالك تحيا ... قد فداها من الثرى ترياقك
انت لقحتهم كريم لقاح ... وكسام سعادة براقك
انت دللتهم سنين طوالا ... اين يا نيل نحوهم اشفاقك
كنت تعطيهم عطاء كريم ... مالك اليوم عطلت ارزاقك
اين صوب تمده بسخاه ... اين من ريق الجنا انفاقك
ادهتك السنون وهي عجاف ... مهزمات فضيعت اخلاقك
ام منابيع مكنزاتك ضاعت ... من ابلاد تحاق فيها خناقك
للدخيل النزيل صدرك رحب ... وبنجل الحنا يضيق نطاقك

يملأ الغير من ترابك تبراً   وعلى جونا يسود محاقك

ايها الوالد الحبيب تكلم   فيم يا نيل بعد ذا اطراقك

كم حياة بجانبيك تقضت   كان حلواً حيال ذاك مذاقك

ضمنتها مع السعادة دهراً   فى حروف من الضياء طباقك

ان آمالنا عليك تهادت   فى فجاج وسادها اعماقك

يا بخيلا لنا كريماً لقوم   شأنهم في نفوسهم ارهاقك

لم نذق من كنوز ارضك الا   مرهقات يضيق منها خناقك

انت فى مربع الجزيرة تجري   ام بارض بعيـدة تسباقك

احرام على بنيـك حياة   ام حلال على البلاد طلاقك

قف حرام على مسيلك سير   لابري في ضفوفه اشراقك

واتجه ايها النجاشى عنا   لبلاد تزينها اعراقك

واحبسي ياتسانا فيك دموعا   ولتقف عن بلادنا آماقك

وابلعى يانيـازا فيـك مياهاً   وليسد في ربوعنـا اخفاقك

سوف نبدو بغير مائك احرا   راً ونجلى ديارنا طراقك

فالعذاب الذي احاط علينا   فهو في اصل سره تدفاقك



عبقرية

القيت في حفلة تكريم الدكتور الريح العيدروس

اصلها في الخلود يغمره النو ... ر ومن عبقر تزكيه ديمه
درست سيرة الزمان على اللو ... ح ولمت حديثه وقديمه
داهمت مهجة الوجود وعرت ... در آياته وفضت رسومه
واعتلت قبة السماء وخطت ... سير انوائه وعدت نجومه
الهمت منطق الكواكب الها ... ما فكانت بما تكن عليمه
صحبت موكب النبيين في الخلـ ... ـد وللاتقياء كانت نديمه
واستقت من شمائل المجد ما لم ... حقباً يسمع الورى ترنيمه
مأثرات علقتها وخلال ... مثلت اطيب الشذى وشميمه
شربت انفس الرياض على المهـ ... ـد فضاعت شذى وطابت نعومه
قوة من نهى الملائك في الكو ... ن وروح من السنا مزحومه
غمرت كتلة الظلام من الضو ... ء وغشت دجنه وبهيمه
قصرت سيرة الحوادث تقصير ... اً وجاءت جبية وكليمه
وجهود من عزمة الجن امضى ... وسمات بين الورى معدومه
تخذت مربع القلوب مكانا ... هي في صهوة السماك مقيمه
اصليت حرقة العذاب وذاقت ... حر انفاسه ولاقت اليمه
طوفت في الغيوب تستكشف السـ ... ـر وتجلى عن الخفاء غيومه
خرقت من مفاصل المجد امتا ... راً لمكنونه ونضت هدومه
وجنان من الحقيقة شقت ... سر أرواحه وفرت صميمه
وفضاء الاثير تسبح فيه ... احكمت روحه وحاكت نسيمه
وبساط الوجود في مسرح الار ... ض برت عرقه وسوت اديمه

اكملت معهد الحياه وآبت ثم تلقى الى الزمان علومه
هكذا المجد للذي يركب الصعـ ـب ويلقى سعيره وجحيمه
تلك وثابة وهذاك روح ايد الله في النهى تكريمه
عكفت تخدم البلاد باخلا ص اذ النوم اوجبت تحريمه
ادت الواجب المقدس للكو ن موشى واحكمت تسليمه
قوة تجذب المخبأ للنو ر ودنيا من الحياة العظيمة

الحب والقمر

انت يا بدر سمير وانيس وشريك التعساء البائسين
تمنح الناس من الحب كؤوس ومن الحب تغذي العاشقين
كم تطلعت كما تطوى النفوس من بكاء وعزاء وحنين
في ظلال الورد فاجأت الجلوس يرشفون الثغر بالثغر قبل

* * *

انت كالحب اذا ما تطلع في سماء الكون قد ساد السكون
حيث دنيا القلب سهل بلقع يجهل الحب ولا يدري الحنين
فاذا الحب بذور تزرع فوق تلك القفر تنمو بعد حين
واذا البذر غلام يرضع من عصير الحب في ثدي الامل

* * *

في سماء الكون تمشي الميدبا تنقذ الآمال من جيش الظلام
تعتلي كالحب في مهد الصبا انت بدر واذا الحب حسام

دولة تحتل فيها رتباً | بنت أسبوعين شيدت بنظام
تعتلي شمساً فتمسى ذهباً | وكذا الحب اذا تم نزل

* * *

بك في الليل زهور تفتح | تشبع الاحلام من روح وراح
فاذا الفل اريجاً ينضح | في أصيل الفجر ابان الصباح
واذا الند مياه تنضح | وعلى الدوح من الصبح وشاح
حينما الاطيار سكرى تصدح | بنشيد السعى حثاً للعمل

* * *

انت رب الحب، رب الراح، ام | انت رب السحر، ام رب الورود
انت رب الفن، ام رب النغم | انت رب الشعر، ام رب النشيد
انت رب العزف، ام رب القلم | انت رب الموت ام رب الخلود
انت نور فوق هامات القمم | ام اله الحسن ام رب الغزل

* * *

انت سر النور، ام رب الشباب | انت طفل اليوم انت ابن القدم
انت سر النور ام وحي الكتاب | انت قد سجلت تاريخ الامم
دمت للعشاق مرفوع النقاب | انت سايرت الألى شادوا الهرم
حفظت السر في طي الحجاب | يا غلام اليوم يا طفل الازل

* * *

انت للحب شريف وامين | قد حفظت العهد في كل العصور
لم تبح يوماً بسر العاشقين | عند غاب او رياض او غدير
لا ولا اظهرت ذنب المجرمين | حينما انت على الدنيا امير

لست الا حكمة للنابهين يا شريف النفس يا بره الهلل

***

نظرة من عاشق ناء بعيد من سواد العين تجتاز الاثير
فتلاقي نظر الحب الفريد في ربوع الكوكب الحي المنير
تلتقي الانظار في خير صعيد واجتماع السفر بالثاني عسير
قد أرادت حكمة الحب السعيد ان تلاقي فيه آيات المقل

***

منتدى الشعر ونادى العاشقين يا كفيل الزهر يا روح الضياء
انت نفح الورد نفح الياسمين يا اله الحب فى عرش السماء
فيك آى الفن في آى الفتون تتجلى لنفوس الشعراء
يا اخا كوبيد يا رمز الحنين من معاني الحسن البست الحلل

بمناسبة زيارتي لمدينة كسلا

جل من حمل السحائب رجعا وانثنى اودع البسيطة صدعا
فتأمل فى خلقه واعبدنه في جمال الوجود حسناً ونوعا
وادحض الشك باليقين وذكر كافراً يجحد المسيطر شرعا
صغ ملياً لذي المسارح وانظر وتأمل بروح روحك ضوعا
احكمته يد الطبيعة ابدا عاً وملهى الى الظباء ومرعى
وكسته يد الجلالة اجلا لا ومدت به من الخلد زرعا
ومشت مسحة الجمال بساحا ت اجيدت من قدرة الله صنعا
فكأن الاشجار فى مسرح الوا دي جيوش رتبن جزعاً فجزعا

وزهور الربى تفوح عبيراً قد زهت من منابت الخلد ربعا
وغناء الطيور في فنن الدو ح معير خيوط اسحق سجعا
شامخات الجبال تحتضن السحـ ـب تخر الابصار منهن صرعى
تحلب السحب للحشائش امطا راً . تقضي من السحائب ضرعا
وزئير الرعود في كنف الجو يصم الآذان ضحكا وقرعا
ووميض البروق يفضره الاعـ ـشى فيسري به ويجهر لمعا
وهياج الارياح يختطف اللبـ ـب ويدهي النهى ويوقر سمعا
وانسياب العيون من منبع الصخـ ـر وبين الاحجار يسري كافعى
يسرح الفكر في بواطن آيا ت تضيق الافكار فيهن ذرعا
منظر يخلق الخيال ويحيي ميت النفس والمشاعر نزعا
يبعث الرعب في العصى ويلقي في حنان التقى حمى وورعا
شاءه الله في البسيطة مدلو لا لبرهانه ويدخل روعا
ربكم يملك المشيئة في الكو ن ويجري من الجلامد نبعا
بين كاف من الحروف ونون تتأتى بها العظائم طوعا

* * *

انت يا من خلقت هذا تعاليـ ـت علواً سما واحسنت صنعا
وكسوت الجبال بالسندس الاخضـ ـر وشيا لها واخرجت مرعى
ولك الامر في النفوس وفي الكو ن وها انت بالمهيمن تدعى
والعظيم الجليل ان قلت كنه جاء قبل انتهاء قولك يسعى
فابعث الشرق من جديد وبدل مصدر الضر في العروبة نفعا

* * *

انت مهدت يا الهي فى الكو   ن حياة به وانبت فرعا

وخلقت الدانوب فى الغرب زلا   لا وجئت بالنيل في الشرق همعا

انت لم تطرح التراب على الشر   ق ترابا وكان فى الغرب نبعا

انت لم تنزل المتون على الغر   ب نضاراً وكان في الشرق دمعا

هاهو النور فى البسيطة قرر   ت جميلا على البسيطة شمعا

والنسيم العليل اطلقته واحكـ   ـت سراه به واحسنت صنعا

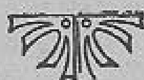
في التجاويف وزعته وما ضنـ   ـت أياديك بالنسائم قطعا

قد خلقت الارواح في الناس جميـ   ـعاً واعطيتهم خلاقاً وطبعا

وانرت الانسان بالفكر والعقـ   ـل والهمته الى حيث يسعى

وانرت الطريق للناس جميـ   ـعاً وسقت الحياة للناس جمعا

انت يا خالق الوجود رحيم   يا الهي ونحن باللوم ادعى





محمد افندي السيد حمد

محمد افندي السيد حمد

قليل من يعرف عن هذا الشاب أنه شاعر يتقطر رقة ويجيش قلبه الكبير بكثير من صور الجمال الادبي . ذلك لانه أشد رغبة عن الظهور وعزوفاً عن الشهرة في وقت أقل الناس حظاً من الادب اكثرهم شوقاً ولهفاً الى الظهور بمظهر الادب والشعر . وان فيما ننشر له هنا من شعره لدليلا على انه مارس هذا الشعر منذ زمن بعيد حتى استطاع ان يصل الى ما وصل اليه من عذوبة النظم وسهولته

ولد بام درمان فى يوم ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٠ م ١٣٢٥ هـ وهو محسي الجنس تلقى علومه الابتدائية بمدرسة ام درمان الوسطى ثم تخرج منها موظفاً بقوة دفاع السودان عام ١٩٢٥ م حيث لايزال حتى الآن . وهو وديع الاخلاق ناصح الجيب رقيق الحديث ومن شعره :ـــ

قد عبدت الجمال فيك بحق . . ! ! !

يا رفيق الفؤاد في تحنانه ... وقسيم الحب في اشجانه
نحن في الشجو والهموم سواء ... فكلانا يضيق عن احزانه
اطل الشدو كي ترفه عني ... انني قد عشقت عزف قيانه
تطفأ النار لو رأيت بعطف ... بفؤاد يشط فى خفقانه
نشوة الخمر فيك خمر المعانى ... لا عصير الكروم بين دنانه
تملأ القلب روعة وابتهاجاً ... وتدانى القصى من اشجانه
كل عضو اراه فيك بليغاً ... افرغ الحسن فيه سحر بيانه
تقطف العين من محياك زهراً ... زاهي اللون فهي قيد جنانه
رب خمر اضل منها وسمعي ... يتعاطى الكؤوس من الحانه
تدع النفس بالترنم سكرى ... وحلال السلاف من اجفانه
نغمة تطرب النفوس وشدو ... كرجيع الهزار فى افنانه
وهي تدعو ذوي الرزانة يصبو ... كتصابي الشباب في عنفوانه

يبهر الطرف معصم لك بض — سال لولا السوار من اردانه
وخلال تنزهت عن مشين — ابدع الله صوغها من حسانه
ايها النافر المعذب قلبي — ان هذا العذاب دون امتحانه
ليس جرماً اذا لموت بادمعي — وصمت الخدود من ارجوانه
ليس جرماً اذا غزوت فؤادي — وابحت المنيع من اكنانه
قد عبدت الجمال فيك بحق — وارتضيت الهوى وذل امتهانه

« يا ليـــــــلة »

مهداة الى صديقي الاديب ميم . . . !!

يا ليلة جمعتنا والحبيب فدى — لك الليالي التي ولت على حذر
ما كان احسننا والوصل يجمعنا — لكن أمر النوى يجري على قدر
عودي فانك كم أوليتني نعماً — اقلن جيدي مدى الايام والعصر
عودي ببدرك في اشراق طلعته — كيما يزيل ظلام الحزن والكدر
اني لابذل في بشراك مغتبطاً — من كل غال على الاعواز مدخر
هيا اسرعي فاصطباري دك سامقه — وروع القلب من هم ومن ضجر
وبات للنوم عن اجفاننا صلف — فان يزر فلماماً غير منتظر

* * *

اني لاذكر والذكرى مقربة — ما شط عن سبب او صد عن خفر
هو الحبيب الذي تبدو خلائقه — كأنها روضة مطلولة الزهر
لو غاب عني يوماً بت في قلق — وبات يدفعني وهم عن الوطر
واقطع الليل في هم ووسوسة — حتى تهب رخاء نسمة السحر

* * *

من لي بمجتمع تصفو عناصره ... عن كل فظ بليد الطبع والفكر
توافقوا في هوى عفت حواشيه ... لا يلبسون له ثوباً من الحذر
وانت وسطهم كالبدر مؤتلقاً ... تحفه نخبة كالانجم الزهر
وثغرك الباسم الوضاح ينثر عن ... جمانه كلما يزهو على الدرر
يا معدن الادب الراقي وجوهره ... فكم افادك من خلق ومن خطر
فان تعده اجتماعاً كان بغيتنا ... أو لا فانك منا قرة النظر



عبد النبي عبد القادر مرسال

شاب في بداءة العقد الثالث من عمره رقيق الشعر حسن النظم شديد الثقة بنفسه كثير الطماح لهيف الى المجد الادبي تلهتب نفسه ولعاً للعلم والمعرفة . هاجر الى مصر بعد سنين قضاها هنا فى الدرس حتى حصل على الشهادة الابتدائيه من مدرسة الاقباط ومن ثم سافر ليتمم دروسه فى مصر وما يزال يعمل جاهداً في تهيأة نفسه التهيأة التي يرضاها لها . ومن شعره :—

أنــــا ! !

أنا ان عضني الزمان بناب ... ودهاني الزمان يوماً بهرس

وبلتني الخطوب من كل نوع ... ودهتني الكروب من كل جنس

ان لي كالحديد عزماً ونفساً ... لا تفل الخطوب عزمي ونفسى

ان لي فى الضلوع قلباً وقلبي ... لا كبعض القلوب يرخى بيؤس

ان دعاه الحمام يوماً يلبي ... لا يخاف الثواء فى بطن رمس

فهي للكريم أطيب مأوى ... من شقاء يبيت فيه ويمسى

من حياة يعيش فيها ذليلا ... في عذاب وفوق شوك وشرس

أيها النابض المخبأ من لي ... منك يا معطي الدوس، بدرس

أنت نوري فلا عدمتك نوراً ... أنت سيفي وأنت درعي وترسى

ارتقي منبر الخطابة حيناً ... يا خطيباً ولعت منه بجرس

وأنر لي الطريق حتى تقيني ... فى طريق من كل بئر وكرسي (١)

خبر البدر والنجوم وشمسا ... في السماكين ان مررت بشمس

انني ما خشيت يوماً زماناً ... أي دهر أخاف منه وحرس (٢)

(١) (الكرسي) ما يعترض المسافر في الطريق من البعر المتراكم (٢) (الحرس) اسم للزمان

ان طلبت الزمان كوبة ماء   جاءني خادمي الزمان بخمس !

أو غرست البذور في الصخر يوماً   وطلبت الثمار ، يثمر غرسي

واذا قلت للجبال نداعي   ملن كالعبد في خضوع ويأس

فأنا الجن ان نخرت ونفسي   تهدم الصخر والجبال وترسي

خبر الكون انني عشت حراً   لا أرى في الوجود نفساً كنفسي

غير أني أروم مجداً لقومي   ولاهلي الكرام وابناء جنسي

فيا للغرابة !! يا للعجب !!

مضى — رحم الله تهداً له —   عزيزاً كما عاش قبل العطب

شجاعاً أبياً عظيم المآثر   سمح الخصال . كريم الحسب

وخلف — ياسوء ما قد تجيء   به النار ذات اللظى واللهب

وما تنبت الارض ذات الثمار   من الشوك أو من رديء الحطب —

سفيهاً اذا رمت خيراً له   نباك وان رمت شراً طاب

وان قلت هذا سواء السبيل   تراه الى ضده قد ذهب

ويزعم أن الحياة المعاصي   فيا للغرابة !! يا للعجب

وليس لديه سوى قال زيد   من الناس أو قال عمرو العرب

وأشهى اليه حديث المجون   من العلم أو من حديث الادب

ويطربه ذكر ذات السوار   وذات الرنين وذات الحبب

فكم بات يعبث مثل الصغير   غريراً أسير الهوى والطرب

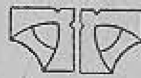
وجاب البلاد وأمصارها   فما نال شيئاً بها أو كسب

وما علمته صروف الليالي   وما هذبته جسام النوب

وان سار يوماً حميد الخصال ... اليه يقال الحميد انقلب
وحول الحميد تحوم الظنون ... وما كان قبل يثير الريب

***

فمهلا أخا السوء مهلا رويداً ... ولا يأخذنك مني العجب
فاني كما قلت جد صغير ... ولكن لي فيك قولا عجب
ولي — مثلما تدعيه — يراع ... يهزك رعباً اذا ما كتب
وسيف اذا شئت فل الحديد ... فحاذر نزالي بسيف « الخشب »



الاستاذ حسن نجيله

وهذا الفتى الشاعر يمضي على مذهب فى النظم قوي واسلوب فى البيان معجب ، وينهج الى التعبير عن فكره المنهج الذي يعمد اليه كثير ممن يؤثرون من اللغة جانبها الخصب . . هذا الفتى الشاعر يحاول جهده الا تنقطع الصلة الحية بينه وبين جيل ابى تمام ولكن الى حد . ويحرص جهده أيضاً ليكون له نصيب مما خلدوا به على الدهر فلا يرى الا هذه القوة التي .وثب بها الطائي على كتفي التاريخ وزحم بها ابو الطيب مسمعي الدنيا حتى ما لغيره فيها من دوي . واذ الاستاذ نجيله ليجعل كل همه الآن أن يستهدى بأبطال الادب العربى القديم فى طريق القوة الادبية ولعله بالغ منها ما يرضي طاحه وما احسب قوة شبابه الا مسددة له في هذا حتى يوفي على الغاية ان شاء الله

ولد بمدينة سنجه سنة ١٩١٠ وتلقى علومه بمدرسة العرفاء ثم تخرج منها مدرساً بالمدارس الاوليا حيث هو الآن ومن شعره :—

وداع

حييت يا دار من اهواه من دار ... ولا رميت من الدنيا باكدار
قد انقضت فيك أيامي معجلة ... وما قضيت اباناتي وأوطاري
فرحت أندبها والدمع منبجس ... وكل شيء على الدنيا لمقدار
لولا زعانف قوم أوهنوا جلدي ... لكنت أوردت نفسي غير اصدار
من لي بقلب خلي لا ينازعني ... شوقاً اليك ودمع غير مدرار
حباك ربك حسناً غير منتقص ... كفى لحسنك ما خطت يد الباري
ظل وريف وأغصان مهدلة ... فيها منى النفس من عرف ونوار
ومسمع طرب أو طائر غرد ... افديها زين أسماع وأبصار
يا طيب ما أتملى فى خمائلها ... من شاديات وأزهار وأقمار
ويا رعى الله كثباناً بها ورعى ... مضاربا بين انجاد وأغوار
حيث الجمال ثوى والحب ظلله ... وليس في الحب إما عف من عار

ما طاب شعري لما رحت انثره   على سواك . وطابت فيك أشعاري

ما اخترت غيرك لو أمري غدا بيدي   لكنني لست فى هذا بمختار

* * *

مليحة الدل لا لقيت فاجعة   من الزمان . وحيا ربعك الساري

غداً نل المطايا من فتكت به   ومن شبيت به ناراً على نار

ومن اذا نسى السمار مجلسه   يبيت ما بين أنات وتذكار

يكفكف الدمع والاشجان تدفعه   يا للشجون ويا للدمع الجاري

يا ليت شعري وها داعي الفراق دعا   ان طال بيني وأعفى الدهر آثاري

هل تذكرين — وفي الايام تأسية   للذاكرين أخا شجو وأسفار ؟

أعيذ حبك من عيث الزمان به   وأن يكون كجرف الآمل الهاري

لي فيك شجو أداريه وأظهره   يا شقوتي بين اضمار واظهار

يا ويح لي ان غدرت العهد يا أملي   فان لي فيك قلباً غير غدار

ليت الليالي تدانى بعض ألفتنا   بعد التفرق . أو داراً الى دار



الاستاذ التيجاني يوسف بشير

ما أراني في حاجة الى الاطالة في ترجمة هذا الشاب الموهوب الذى لن تتحدث عنه وأنت مطمئن الى أنك تقول عنه ما يعطي صورة دقيقة عن نبوغه الرائع العجيب . والحق ان الحديث عن خصائصه الفنية ليس بالسهل الميسور الذى يتأتى فى صفحة او صفحتين فانا اترك هذا الى انصاره الكثيرين من الشيوخ والشباب المعجبين به الحريصين على أدبه . فهو يحتل اليوم مكان القيادة والتوجيه في موكب الشباب .

ولد التيجاني بمدينة ام درمان في سنة ١٩١٢ م من أبوين جعليين من فرع الكتياب أي عباسي فنشأ هذا الفتى الشاعر متوقد الذاكرة حاد التصور ذكيا حفظ القرآن يافعاً وطلب العلوم بمعهد ام درمان العلمي وبرز في ناحية الادب . واشتهر به هذه الشهرة وهو بعد كما ترى من حداثة السن وأخذ في الاشتغال بالصحافة وأجاد فيما انصرف اليه وثقف من ضروب الخطابة الحقه ما جعله اليوم اكثر استعداداً للبحث والمناظرة والحديث ساعات في ادق المواضيع واعمقها بلغة يتمنى الكثيرون ان لو كان لهم منها شيء وهم يكتبون

وللاستاذ التيجاني ديوان خاص ماثل للطبع ولقد شاءت المقادير ان تجمع بينه وبين مؤلف هذا السفر كسكرتير ومحرر فى مجلته امدرمان فاقول بعد الخبرة والتحقيق انه عالى الهمة كريم النفس لين العريكة ترى منه اخلاق الملوك وتواضع الصعلوك وهذه قصائد له لم اتخيرها اذ كان كل ديوانه على كثرة صفحاته متخير رائع :—

قطرات (١)

قطرات من الندى رقراقه	يصفق البشر دونها والطلاقه
ضمنتها من بهجة الورد افوا	ف ومن زهرة القرنفل باقه
نثرت عقدها أصابع من نو	ر ترسلن خفة وأناقه
رب وشي نمنمن في صفحة الو	د ونضرن في الربى أعماقه
ومصابيح اسرجتها يد الشم	س وضاء في زهرة خفاقه

(١) هي اول قصيدة الديوان واسمه «اشراقة»

يتقطرن انجما فى اكاليـ ... ـل من الزهر اسرجت اوراقه

وأفاق الضحى عليها وقد رو ... ت أزاهيره وندت رواقه

تلك مطلولة وهاتيك سكرى ... من ندى دافق وخمر مراقه

وهي براقة الضفاف ومرمو ... قة ببيض اللآلى البراقه

ضتها فى الدهر اجنحة الام ... لاك تلك الرفافة الصفاقه

فأصابت فيما تصيب فتى نق ... رن أوتاره وهجن اعتلاقه

إن تردت في غائر من أمانيـ ... ـه وندت من الهوى أعراقه

واستقلت بأصغريه .. فكم قو ... من أضعافه (٢) وأنهضن ساقه

شاخصاً مازال يعزف ماشا ... ء على مزهر الندي أشواقه

كلما لج في الذهول اطباه الـ ... ـمزهر الرطب في يديه فشاقه

بهمس أندائه فيوض من النو ... ر ونبع من قوة خلاقه

لفها في الصبا وأضفى عليها ... عبقرى المطارف الرياقه

فهي دفق من عالم كله قل ... ب خفوق ولوعة دفاقه

عالم الحسن والجمال ودنيا الـ ... ـحب والقلب .. وجده واشتياقه

يتحدرن من « مفاجع » أيا ... مى ومهوى مدامعي الرقراقه

ويرجعن من « مفاتن » دنيا ... ى صدى يزحم الهوى أبواقه

في مساب الندى وبين ذارعى ... زهرات الربي من الشمر طاقه

أفلتت من هدي النواظر وأستذ ... رت بصمت تلفه إطراقه

جف من حولها الاريض ونام الـ ... ـعطر في مهده وأحلى مساقه

---

(٢) الاضعاف الاعضاء

وهي ريانة تمد قطافاً من جنى، كم ذا طعمت مذاقه
من دمى يستدرها حر أنفا سي لهيباً .. أسميته « إشراقه »

* * *

قطرات من الصبا والشباب ال غض منسابة به منساقه
ورهام من روحي الهائم الوا له أمكنت في الزمان وثاقه
ظل يهفو الى السماء ويشكو لوعة الروح ها هنا واحتراقه
يتحدرن من « معابد » أيا مي حنيناً .. أسميته « إشراقه »

* * *

قطرات من التأمل حيري مطرقات على الدجى مهراقه
. . . .
يترسلن في جوانب آفا قي شعاعاً .. أسميته « إشراقه »



فى الموحى

أذن الليل يا نبي المشاعر وغفت ضجة ونامت مزاهر
دفق العطر في صدور الروابي مستجيشاً وفاض ملء المحاسر
وسرت في الورود انفاس ريا روحك العنبري والورد ناضر
قم لموحاك في الدجى بين صحوا ن ندى وبين سهوان ساكر
برقب البدر مطلع الروح من هنـ ا وتستقدم النجوم البشائر
طبعت ساعة التنزل دنيا ك بوجد كوجد هيمان ذاكر
كلها بدلت محاريب نشوى تحت فيض من روعة الوحي ماطر
رب صلب من صخرها ظل يندى وعصى من عودها لم يعاسر
نفض الصخر ما استحال به صخـ راً صليباً من القوى والعناصر
وتخطى حدوده كل معنى حجرى وساوق اليد نافر
ساعة يخلد الرضا فى ثوانيـ ـها ويحيا في كل خفقة ناظر
جوها المعبدي يعمره الصمت بهمس من الوساوس فاتر
وبفور السكون فيه ويدوي كدوي الظنون في قلب حائر
قم ونفض من ظلمة الارض ساقيـ ـك وطرفى الشذى عدتك المخاطر !
خل أهلا وجاف دنيا صحاب وتنكب أخاً وجانب معاشر
وانقطع ساعة أمد وأبقى عمراً بالجمال والوحي عامر
لحظة منه بالزمان وأهليـ ـه وأعماره ... الى غير آخر !
ها هنا هيأ الهوى لك ملكاً قرباً على عروش الازاهر
دولة من مواكب النور حفت عالماً من عرائس الشعر زاهر
دولة ما تزال من قضب الريـ ـحان تبنى صوالجاً ومنابر

نسج البدر تاجها من أمانيه ... وأعلى لواءها بالمفاخر
وعقدنا لها اللواء فلا الملك ... بملك ولا الامير بآمر

***

قم لموحاك في الدجى بين صحوا ... ن ندي وبين سهوان ساكر
ينفخ الله في مشاعرك اليقظى ... وجوداً فخم التصاوير فاخر
ويفجر لك الغيوب .وينشر ... بين عينيك عالماً من ذخائر
فتخير وصف وصور رؤي الوحي ... ي وصغ واصنع الوجود المغاير
واهد تلك التي بنفسك منها ... أرج من مجاجة الحب عاطر
زهراً أنجبت حدائق جنا ... ن أفانينه وروضة شاعر
ينبت الحب من شذي منه مسكو ... ب على القلب دافق في المشاعر
يتطرى به الفؤاد ويندى ... كل حس، ويرتوى كل خاطر
يصنع القلب للهوى من معاني ... العطر فيه ما لا تصوغ الازاهر
ويسوى شخوصها ويجليها ... ها فنوناً مما يصور ساحر
فجرت في دمى نوامه النو ... ر وماجت انفاسه فى الخواطر
.. فاهدها وحبها : فكل جميل ... يلتقى حسنه بها في المصاير

الصوفي المعذب (١)

.. هذه الذرة كم تحـ ـمل في العالم سراً
قف لديها وامتزج في ذاتها عمقا وغورا
وانطلق في جوها المـ ـلوء ايمانا وبرا
وتنقل بين كبري في الذراري وصغرى
تر كل الكون لا يفـ ـتر تسبيحاً وذكرى

* * *

وانتش الزهرة والزهـ ـرة كم تحمل عطرا
نديت واستوثقت في الارض اعراقاً وجذراً
وتعرت عن طرير خضل يهتأ نضرا
سل هزار الحقل من اذ بته ورداً وزهرا
وسل الوردة من او دعها طيبا ونشرا
تنظر الروح وتسمع بين اعماقك امرا

* * *

الوجود الحق ما او سع في النفس مداه
والسكون المحض ما او ثق بالروح عراه
كل ما في الكون يمشي في حناياه الاله
هذه النملة في رقـ ـتها رجع صداه
هو يحيا في حواشيـ ـها وتحيا في ثراه
وهي إن اسلمت الرو ح تلقتها يداه
لم تمت فيها حياة الـ ـله إن كنت تراه

(١) نشرتها مجلة الرسالة في العدد ٣٨ من السنة الثانية

* * *

أنا وحدي كنت أسـ ... تجلى من العالم همسه
أسمع الخطرة فى الذ ... ر وأستبطن حسه
واضطراب النور في خفـ ... قته أسمع جرسه
وأرى عيد فتى الور ... د وأستقبل عرسه
وانفعال الكرم فى قفـ ... ـصته أشهد غرسه
رب سبحانك إن الـ ... ـكون لا يقدر نفسه
صغت من نارك جنيـ ... ـه ومن نورك إنسه

* * *

رب في الاشرقة الا ... ولى على طينة آدم
أمم تزخر في الغيـ ... ـب وفى الطينة عالم
ونفوس تزحم الما ... ء وأرواح تحاوم
سبح الخلق وسبحـ ... ـت وآمنت وآمن
وتسللت من الغيـ ... ـب وآذنت وآذن
ومشى الدهر دراكا ... ربذ الخطو الى من . . ؟

* * *

في تجلياتك الكبـ ... ـرى وفي مظهر ذاتك
والجلال الزاخر الفيـ ... ـاض من بعض صفاتك
والحنان المشرق الوضـ ... ـاح من فيض حياتك
والكمال الاعظم الاعـ ... ـلى وأسمى سبحاتك
قد تعبدتك زلفى ... ذائداً عن حرماتك
فنيت نفسي وأفرغـ ... ـت بها في صلواتك

* * *

ثم ما ذا حد من ... بعد خلوصي وصفائي
أظلمت روحي . . ما عد ... ت أرى ما أنا راء
أيهذا العثير القا ... ئم في صحو سمائي
للمنايا السود آما ... لي والموت رجائي

آه يا موت جنونى   آه يا يوم قضائى
قف تزود أيها الجبـ   ـار من زادى ومائى
واقترب إن فؤادى   مثقـــل بالبرحاء

* * *

يا نعيماً مشرق الصفـ   ـحة يساقط دونى
نضرت في قربه نفـ   ـسى وزايلت غضونى
فمشت غائلة «الشـ   ـك» الى فجر يقينى
قضت اللذه فاستر   جعها لمح ظنونى
واسترد النعمة الكبـ   ـرى من الدهر حنينى
من ترى استأثر باللذ   ذة واستبق جنونى ؟

* * *

أذني ... لا ينفذ اليو   م بها غير العويل
نظرى .. يقصر عن كـ   ـل دقيق وجليل
غاب عن نفسى إشرا   قك والفجر الجميل
واستحال الماء فاستحـ   ـجر فى كل مسيل
رجع اللحن الى أو   تاره بعد قليل
واختفى بين ظلام الـ   ـمزهر الكل العليل

فى محراب النيـل

أنت يا نيل يا سليل الفراديـ   ـس نبيـل موفق في مسابك
ملء أوفاضك الجلال فرحى   بالجلال المفيض من انسابك
حضنتك الاملاك في جنة الخـ   ـلد ورفت على وضيء عبابك
وأمدت عليـك اجنحة خضـ   ـراً واضفت ثيابها في رحابك
فتحدرت فى الزمان وأفرغـ   ـت على الشرق جنة من رضابك
بين احضـانك العراض وفي كفـ   ـيك تأريخه وتحت ثيابك
نخرتك القرون تشمرعن سا   ق بعيد الخطي قوى السنابك
يتـوثبن في الضفاف خفافا   ثم يركضن في ممر شعابك

عجب أنت صاعداً فى مراقيـ سك لعمرى أو هابطاً فى انصبابك
مجلى قوة ومسرح افكا ر ومجلى عجيبة كل ما بك
كم نبيل بمجد ماضيك مأخو ذ وكم ساجد على اعتابك
عفروا نضرة الجباه بيزا ق سني من لؤلؤي ترابك
سجداً ذاهلين لاروعة التا ج ولازهو امرة خلف بابك
واستفاقوا يا نيل منك لنغا م شجي من آلمي ربابك
وصقيل في صفحة الماء فضفا ض ندي منضر من اهابك
وحروف ريانة فى اسمك (النيـ ل) ونعمي موفورة في جنابك
فكأن القلوب مما استمدت منك سكرى مسحورة من شرابك
أيها النيل في القلوب سلام الـ خلد وقف على نضير شبابك
أنت في مسلك الدماء وفى الانـ فاس تجري مدوياً في انسيابك
ان نسبنا اليك في عزة الوا ثق راضين وفرة عن نصابك
او رقلنا فى عدوتيك مدليـ ـن على امة بما في كتابك
او عبدنا فيك الجلال فلما نقض حق الذياد عن محرابك
أو نعمنا بك الزمان فلم نبـ ـل بلاء الجدود عن مجد غابك!

لوعة الغريب

.. هذه أمه يفيض بها القيـ ثار فاسمع حنينه وانكساره
هي فى قدسه استقرت فلما غلب الشوق مزقت أستاره
رنقت كالندى على الوتر البا كي رفيفا .. وكالاماني تاره
أطلق الوجد من يديها كنار ي هوى واستفز منها هزاره
هبطت دمعة هناك وماجت نغما مبهماً وفاضت اشاره
حدرتها أنفاسه فالفضاء الر حب شيء من نفسه أو أثاره
صورتها أنغامه فهي ما تبـ ـرح فى موجة الأسى دياره
سبكت روحها وافرغت الانـ ـفاس رفافة بها هداره
ملء آهاتها الهوى والحنان الـ ـجم والعطف والرضى والحراره
تخلص الوجد والحنين وتستعـ ـدى على الدهر من أقام مناره

رب أستودع اللاحن آما   لى وأستودع الفتى أسفاره !!

* * *

وذه أخته . أجل تملأ الدنـ   سيا حنيناً وترحم القيثاره
نسلت فى الانين يحدرها الدمـ   ع ويطفو بها فتذكى أواره
تمسح الحزن من مآقي أخيها   بيد حركت بها أوتاره
أرسلت شجوها مع الليل فاند   س اليه فهزه فاستثاره
وأستعادت أخيها فاستعاد الـ   وتر الحي شجوها واستعاره
هي في قدسه استقرت فلما   غلب الشوق مزقت أستاره

* * *

يا غريباً عن ربعه قم تلمس   ين قيثارة الهوى آثاره
وتعقب معاهد المرح الطيـ   ـب واقطف من الهوى أزهاره
سل مطيفاً من الصبابة عن كنـ   ـزك واستفسر الدجى أخباره
هاهنا حيث يشرق الامل الغض   وتمشي على الزمان الغضاره
أعجم الصادح المرن وأغفى   ليله حالما وأغضى نهاره
وتراخى وهوم اللحن حتى   شهد الفن يوم ذاك احتضاره
وتر نائم وآخر وسنا   ن وكف موتورة خواره
ما لها عطلت فصارت نشازا   بعد ما ألهبت على الشعر ناره
ذكر القلب مهده فتردى   عاثراً في الضلوع يشكو إساره
هو يدنو من الجمال فيمليـ   ـه على هدأة الدجى أسراره
وهو يشكو من الزمان تجنيـ   ـه ويشكو من الحبيب ازوراره
هاهنا حيث لا الفؤاد عصى   وهنا حيث لا القوى جباره
عالم من هوى وآخر من لحـ   ـن ووجده أثاره من أثاره
أرثت ناره أماني كانت   قبل برد الفؤاد .. أصبحن ناره
هاهنا الحب والهوى وهنا الاحـ   ـلام سكري والروضة المعطاره
الجمال الحبيب والساحر المحـ   ـبوب والزهر والشذي والنضاره !!

* * *

... الغريب م داب نحنا ... نا وكم صاغ من دموع دياره

يخلص الوجد من دم كله نبـ ... ـل ويصفى على البعاد ادكاره

ما كفى البين أن يشت بأهليـ ... ـه فأقصى حبيبه ومزاره

ويحه أوشك الزمان وأشفى ... أن يعري عن نضرة آذاره

الشيخ عباس العبيد

ولد سنة ١٣١٠ هـ بالجبلي وفيها ترعرع وربي وتعلم القرآن الكريم بمساجدها ودرس مبادىء العلوم بمدرستها ثم دخل كلية غردون فالتحق بقسم المعلمين والقضاة فى اكتوبر سنة ١٩٠٨ م واتم دروسه وتخرج مدرساً بالمدارس الوسطى . ولقد كان وهو يطلب العلم بالكلية كثير الاعجاب باستاذه المغفور له الشيخ عبد الرؤف سلام الدي لقبه رصفاؤه بالقاموس الحي لما له من علو كعب في العلوم العربية عامة واللغة خاصة لذلك ترسم خطاه فعكف على حفظ اللغويات بمطابقة تفاسير القرآن واستظهاره كثيراً من الاشعار حتى كان له من ذلك والحمد لله نصيب ارضاه وكفل له فهم ما فى بطون الكتب . ولقد نظم الشعر وهو طالب بيد أنه اعتاد الاقلال كأن الاستاذ رحمه الله نفث فى نفسه من هذه الناحية . ومع هذا فقد طرق فى شعره مواضيع عدة من محاولة اصلاح ووصف طبيعة واستغاثات ومدح ورثاء وغزل عدا أناشيد للاطفال في مختلف الاحوال وهو يعتزم ان يطبع كل هذا « متى انتعش ورفع عن كاهله عبء اجور تعليم الاولاد الباهظة » ومن قوله رادا لولده ناصحاً له وهو بالكلية :—

لا تخل انى مضيع مطلبا ... لك ما دمت مجداً في العمل

كلما شمت اجتهاداً مثمراً ... قويت في النفس اسباب الامل

فبذلت الذخر للدهر لكم ... كل صرف اكسب العلم جلل

انا لا أرجو من الدهر يداً ... غير ان اسلم من شر العلل

صاحب الاخيار وأسلك نهجهم ... والبس التقوى مدى الدهر حلل

جانب الذل الى غير الذي ... ارسل الانهار من وبل وطل

وأطلب العلياء من اوجهها ... وأطرح في الكد أثواب الملل

كن فتى ذا مبدأ لا قلباً ... واهن العزم ودع عنك الوجل

وأهب للجد بالجد فما ... ذاق من ابطأ طعماً للعسل

وأدر أمرك بالعين التي ... تستبين الرشد تسلم من خلل

نعمة الله التي أولا كها ابقها بالشكر واحفظ ما فضل
امطر المعروف لا مرتجيا مدح من تحبوه فالدنيا دول
وصل الادنين فالمأثور أن يصل الله لهم من قد وصل
واذا ما شمت نقصاً فيهو فهو نقص فيك فاحذر أن تمل
واشر حب الخلق بالخلق فمن حبه الناس علا فوق زحل
راع تنفيذ مقالي واتخذ كل هذا للعلا خير مثل

ومن قوله ناقداً جريدة نشرت قصيدة فيهة واهنة التركيب مختلة الوزن عنوانها (الحبيبه) :—

صحف البلاد معلمون تجولوا فيها لنشر العلم والاخلاق
فاذا تأصل في النفوس كما بهم فادوا كما فاد البذور الساق
واذا أتوا بالمضحكات فما لنا الا اشارة دمعنا المرهاق
مالي أرى فيها قصائد لم ترق مستأدبا فى حلبة الاسواق
نشر (الحبيبة) في صحائفكم يرى يا قومنا ضرباً من الاملاق
ولها نظائر ليس يحسن نشرها الا اذا حدتم عن الميثاق
فتخيروا للنشر كل خريدة لترى الصحائف كعبة العشاق

وله من قصيدة يدعو فيها الشيوخ الى ان يكونوا قدوة حسنة للشباب وان يستميلوهم للهدى بالتي هى أحسن :—

اصح باشيخ فالكنانة ملأى وبنونا امام حرب عوان
مد بالرأي ان رأيك نور وهو نار إذا التقي الجمعان
وإذا ما رأيت منهم شماساً فيجليه بعد طول المران
انا لا استسيغ قولك فيهم انهم ادمنوا البغا والاغاني
انهم ساخرون بالرأي منا انهم سامرون فى كل حان
انهم حرموا الزواج عليهم وارادوا تمزيق عرض الحصان
بددوا المال جانبوا القصد صدوا عن تقاليدنا وصوت الاذان
كم فتى مترف يتيه دلالا لم يذق فضل ماله الوالدان
فاصطلم فكرة التباعد عنهم واستمالهم وخذ برأس العنان
ودع السخط والدعاء عليهم فهم الرأس بعدنا واليدان

عبد الله افندي حسن كردى

ولد عبد الله افندي في مدينة كسلا سنة ١٣٠١ ه كردي الاصل تلقى علومه فى مدرسة سواكن وتخرج منها الى الاعمال الحكومية وهو شاعر فحل مكثر ياخذ بنصيب كبير من سلامة البيان وطلاوة النظم ومن شعره

فى وداع السيد الفاضل افندى البشرى المهدي

أفاضل يا نجل الكرام فتى البشرى ... وداعاً وان أبقت شمائلك الذكرى
لعمرك لا أدرى بأي فضيلة ... أصوغ لك الامداح إن رمتها شعرا
لقد كنت لي نعم الصديق وطالما ... وجدت بك السراء حالية دهرا
خليل وما كل الاخلاء عطفهم ... يرجى وحر لم يكن يعرف الفخرا
تداوي سقيماً لا لأجر تناله ... وتسعى لخير لا أطيق له حصرا
وأول وما أسديت لي منك زورة ... بها الروض ود رحت أقطفه زهرا
أتت غير ميعاد فجل صنيعها ... كذلك فضل الحر يصطنع الحرا
وكم لك فينا من يد لو شكرتها ... وجدت بها المعروف والغيث والبحرا
أتذكر لما كنت بالسقم ساهرا ... وأنت بدائي حطت يا فاضلا خبرا
تجرعني حيناً دواء وتارة ... تبيت بجنبي جازعاً تنبذ الصبرا
وما كنت وحدى في صنيعك مادحاً ... ولكنما الدنيا وما تحمل الغبرا
شهدت بعيني الفضل تسديه للورى ... ولما تدع حتى امرؤاً يشتكي العسرى
ولم يك حب المال مما ترومه ... ولكن هماً للسقيم بأن يبرا
وكم زرت مرضى فى ديار بعيدة ... مضاجعهم مما عراهم غدت جمرا
وخففت عنهم ما بهم من وجيعة ... وعدت وابراد الدجى تمطل الفجرا
وثغرك بسام وبشرك طيب ... وللبشر في الانسان ما اضحك الثغرا
أنابغة الطب الذي فضل علمه ... به انتفع السودان بل أهله طرا
عزيز علي اليوم أطريك ذاهباً ... وقد كنت للاخوان في حيهم بدرا
فسر للعلا واسلم لمجد تناله ... بكدح وعش حراً لك المنن الكبرى
ولا زلت للعلياء تاج فخارها ... ودهرك بالاسعاد يزجي لك البشرى

القيت في حفلة الوداع التي أقيمت تكريماً للشاعر بنادي مستخدمي مروي

رأيت المجد في الدنيا اغترابا ... فلذ لي السرى دهراً وطابا
أأقعد والعلا سفر وابغى ... بلا سعي من الامل الطلابا
أجل إني عزيز عند قومي ... بآداب نطحت بها السحابا
ولي في الربع أهل كل آن ... لهم أصبو وأشتاق المآبا
اذا الداعي اهاب بهم لخطب ... دعا للنصر آساداً غضابا
وان نهضوا الى الهيجاء ساقوا ... لها خيلا مسومة عرابا
وسلوا البيض مرهفة وعاجوا ... بها والضرب ينتظم الرقابا
وما أرماحهم الا سهام ... تعجل للمقاديم التبابا
من البيض الذين بكل ساح ... لهم جود كهتان أصابا
بها ليل نحيزتهم عطاء ... به قد أحرزوا الكرم اللبابا
صدور في المحافل بل شيوخ ... وأمردهم لقد زان الشبابا
أوليك هم قبيلي بل فخاري ... اذا حاولت للمجد انتسابا
لعمرك انهم عنوان فضل ... يكاد المرء يقرأه كتابا
وقائلة غداة جمعت أمري ... وكدت لحاجتي احدو الركابا
سبيلك للغنى ما زال كدحاً ... ولم تملأ من الذهب الوطابا
وآفة ما ملكت غدت حباء ... علام وفيم تقتحم الصعابا
فقلت لها على العتبى مجيباً ... أقلي اللوم واطرحي العتابا
عجيب لوم مثلي من رداح ... لقد سدلت على الوجه النقابا
يميناً عشت يا حسناء عمري ... فتى لا يمنع الرفد الصحابا
أحاذر ان يقال حباً لسلمى ... وشب على محبتها وشابا
وليس بضائري فى الحسن شعر ... به ما زلت أستهوى الكعابا
عففت عن الدمى وانجاب غي ... على قدر فاحسنت المتابا
وخفت الله في سر وجهر ... فأكرمني وشاء لي الثوابا
فلا يغررك مال عند غيري ... فبعض المال وفر كان عابا
وجود ان يكن أبداً لعاف ... ربحت به دعاء مستجابا
وان يك للعشيرة أو لاهل ... وجدت به ثناء مستطابا

بخيل الناس لم يبرح لئيماً — بخزي النفس قد ملأ الجرابا
واكرمهم يسود وليس بدعاً — اذا ما استاف في الحمد الرابا
ذريني أبلغ الاسباب حتى — انال بها من النجم اقترابا
وادرع الخطوب ولا أبالي — اذا هي انشبت ظفراً ونابا
وارفع للعروبة ركن فضل — على بنيانه خفت الخرابا
ولا يحزنك مال منه كفي — غدت صفراً أردت به الرغابا
سأترك للورى ان مت شعراً — يخلدني ويكبت من تغابي
وتنشده الرواة بكل قطر — ويقرأه الذي عرف الصوابا
به ماء وخمر ثم زهر — عليه القطر قد نظم الحبابا
وروض من نبات الفكر غض — وأمثال غدت عجباً عجابا
وحض للجهول على رشاد — تبصره والحسنى اثابا
وبأس بالحماس يثير نقعاً — له الرعديد يضطرب اضطرابا
وفخر بالشجاعة راح كل — يحاذر منه ضرغاماً وغابا
وغانية لها مني نسيب — وسمت به الملاحة والحجابا
وأخرى جئتها وعففت لما — رأيت الرشد حلية من تصابى
وكم ابدعت في التقصيد حتى — أتيت بمعجز ملك الخطابا
ولم أك بالهجاء شغلت يوماً — ولا دنست بالعار الثيابا
ولا استجديت ذا كرم بمدح — له العلياء قد رفعت قبابا
احب المرء ان امسى كريماً — وابغض ما جنا يهوى الدعابا
واكرم ان يضام الحر عمداً — وضيم الحر لم يهنأ مصابا
وأغضب للفضيلة لا اغضي — وانعى الكبر في قوم ذنابي
واغضى عن هناة من صديق — تلون في مودته وعابا
وما بي جفوة للجار اما — تعهدني بزورته غبابا
محامد بالجمال الخدر غر — وكثر لا أطيق لها حسابا
وجدت بها العلا سلست قياداً — فقري حيث الفيت الخضابا
وقولي للجبان اقم ذليلا — (فلا كعبا بلغت ولا كلابا)
وللباكي على طلل رويداً — وللصنديد هش بطلا مهابا
وكفي عن ملام ليس يثني — عزيمة شاعر في القفر جابا

ومن يك فاضلا يرجى لخير ... سعي لطلاب حاجته وآبا
اخلائي أودعكم وقلبي ... من البرحاء يلتهب التهابا
وما بي ان افارقكم ولكن ... صبابة مغرم باتت عذابا
اقت فما ذممت لكم صنيعاً ... ولا عانبت شيئاً او شبابا
وجدت بكم دياراً ثم اهلا ... سلوت بهم عن الأهل الغيابا
واخوانا مودتهم صفاء ... كوصل متيم رشف الرضابا
وكأساً من رحيق كل يوم ... تدار ولم تكن ابداً شرابا
وحفلا في الوداع له جلال ... وعطفاً حين ازمعت الذهابا
وتكريماً اجل الفضل فيه ... وحاشى ان اقول الود حابى
وعيتم ذمتي أيام كانت ... لي الضراء ترجى الحلو صابا
وكنتم لى عزاء حين لاحت ... لي الآمال من كثب سرابا
وخففتم اسى في القلب وهنا ... يساورني فاحسبه حرابا
يميناً ان واديكم بهيج ... بزرع فيه لم يترك يبابا
وانتم نخبة الامجاد اما ... بكم داعى المروءة قد أهابا
وشاعركم فتى الشبان حر ... على علم شكرت له اصطحابا
همام من بنى العباس سمح ... يرى الدينار من كرم ترابا
طروب للندى دفاع عسر ... أعد لضيفه قدراً رحابا
ومالا بات للفقراء جودا ... كموج البحر قد لطم العبابا
ضحا ظل الجهالة حين اضحى ... يزف الشعر أبكاراً كعابا
وتاه النثر من خطب فصاح ... غدت طرفا وأمواها عذابا
تساغ وتلتقي بالجمر آنا ... وحيناً تأخذ اللب اجتذابا
لها سوق العروبة في عكاظ ... تخير ثم جاء بها طيابا
تساءل صاحب في الخل عنه ... وقال من انفى يبقى الجوابا
فقلت البحترى يتيه قدماً ... بخالدة يجنبها السخابا
وطراق الندى يفيد شورى ... برأيه منه يعشه شهابا
وفخر شبيبة نهضت كريم ... يعاف مودة امست كذابا
نحيف بات يفيطه طرير ... أديب في ربيع العمر شابا

يفكر كيف يدأب للمعالي — وفكر المرء يخترق الاهابا
شمائله رياض باكرتها — دموع الودق تنسكب انسكابا
وليس يعاب الا في سخاء — ومال منه لم يملك نصابا
لقد اثنى على ورب مدح — على العلات من ذي الود طابا
سلام يا رفاقي من فؤاد — هفا يوم الوداع لكم وذابا
تذكركم فهاج له حنين — وحس به من الجزع اكتئابا
وددت له على مضض سلوا — فما للصبر زايله وغابا
غداً امضي وبالغد اذا ما — ذكرتكم ولم ألف الايابا
سفار ظل يحدو بي لرزق — يجشم كل ذي شمم طلابا
نحبب بالرجاء لكل ساع — يريد الكسب اخطأ أم اصابا
وجمع الناس غايته شتات — بهم يغشى السباسب والشعابا
نظمت لكم قريضاً بات شكراً — وآخر دره ملأ الجعابا
وسوف اسوغ مبتكراً جديداً — يحور بكم الى الحمد انقلابا
فلا زلتم سواسية بفضل — معاذ الله يوماً أن يعابا

مدخل على التاريخ

بهذا نختم القسم الادبي من الكتاب ولقد كنا نود أن نعقب على قصائد الشعراء كما وعدنا القاري بهذا ولكنا عدلنا عنه لامر ما . والآن ندخل فى القسم الاول من التاريخ بادئين ذلك بتاريخ الاندلس مفردين الجزء الثاني كله ان شاء الله لتاريخ دار فور فنسأل الله العون والتوفيق



تاريخ الاندلس

لغــــــز

نشرت جريدة الصباح المصرية بعددها ٨٧ الصادر في يوم ١٥ شعبان سنة ١٣٤٢ هـ الواقع ٢١ مارس سنة ١٩٢٤ م لغزاً لأديب مصري هذا نصه :—

ما هو الاسم التساعي لثالث ملوك بني أمية في الاندلس عاش ٧٢ سنة وقبل وفاته أحصى أيامه التي عاشها في صفاء وهناء فوجدها ١٤ يوماً فقط

رابعه وخامسه وسادسه وسابعه وثامنه وتاسعه اسم من اسماء الله الحسنى . أوله وثانيه وثالثه اسم لشخص يستخدم في البيوت . خامسه وثانيه وتاسعه شيء يستحب تعاطيه في الافطار . رابعه وسادسه وتاسعه وثانيه اسم لحيوان أليف يؤكل . تاسعه وثامنه وسادسه اسم لحيوان مفترس :—

الحل

الاسم التساعي لثالث (١) ملوك بني أمية فى الاندلس « عبد الرحمن » رابعه وخامسه وسادسه وسابعه وثامنه وتاسعه اسم من اسماء الله الحسنى « الرحمن » أوله وثانيه وثالثه اسم لشخص يستخدم في البيوت « عبد » خامسه وثانيه وتاسعه شيء يستحب تعاطيه في الافطار « لبن » رابعه وسادسه وتاسعه وثانيه اسم لحيوان أليف يؤكل « أرنب » تاسعه وثامنه وسادسه لحيوان مفترس « نمر »

وكأني بتائل يقول أين تقع بلاد الاندلس من القارات الخمس ومن هو عبد الرحمن الناصر ثالث ملوكها الامويين فأقول له :—

(١)

« الاندلس » قطعه من أوربا في الجنوب يفصلها عن افريقيا بوغاز جبل طارق وعن فرنسا في الشمال سلسلة جبال البرانس وتحد شرقاً بالبحر الابيض المتوسط وغرباً بدولة البرتقال التي كانت داخلة فى نفوذ الامويين من الاطلنطيق وتلك أرض خصبة التربة كثيرة الانهار والمعادن عذبة الماء جيدة الهواء وقد وصفها كثير من العلماء نظماً ونثراً بما يؤدي بنا ايراده الى التطويل الممل فاليك مثل من ذلك قال أحدهم :—

« ١ » هو عبد الرحمن الناصر ثامن ملوك بني أمية فى الاندلس ولكنه ثالثهم بالنسبة لاسمه لان أولهم عبد الرحمن الداخل وثانيهم عبد الرحمن الاوسط وثالثهم عبد الرحمن الناصر المقصود في اللغز

يا حسن أندلس وما جمعت لنا ... فيها من الاوطار والاوطان
تلك الجزيرة لست أنسى حسنها ... بتعاقب الاحيان والازمان
نسج الربيع نباتها من سندس ... موشية بـبـدائع الالوان
وغدا النسيم بها عليلا هائما ... بربوعها وتلاطم البحران
يا حسنها والطل ينثر فوقها ... دررآ خلال الورد والريحان
وسواعد الانهار قد مدت الى ... ندمائها بشقائق النـعمان
وتجاوبت فيها شوادي طيرها ... والتفت الاغصان بالاغصان
ما زرتها الا وحياني بها ... حدق البهار وأعين السوسان
من بعدها ما اعجبتني بلدة ... مع ما حللت بـه من البلدان

اهم عواصمها مدريد واشبيليه الواقعة على الشاطىء الايسر من نهر الوادى الكبير واطلق عليها الآن اسم « سيفي » وهي قاعدة مقاطعة اسبانيا تبعد عن مدريد ٥٧٣ كيلو متراً وقرطبه وقد سميت بالاندلس نسبة الى اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام الذى هو اول من عمرها قبل حادثة الطوفان سنة ٣٣٠٨ قبل الميلاد و بعد الطوفان سكنها قوم من الصابيه الذين يعبدون الكواكب ويستنزلون قواها بانواع القرابين كما شهدت به اثارها ثم انتقل اهلها الى ديانة التثليث وكانوا تابعين لملك روميه وعاصمتها حينذاك « طالقه » وهى مدينة عظيمة على بعد فرسخين من اشبيليه باق اثرها الى الآن وبينما هى كذلك واذ أغار عليها القوط فد خلوها قسراً بحد السيف وانتزعوها من الروم وهيمنوا عليها زهاء الثلثمائة عاماً اى الى ان فتحها المسلمون في رمضان سنة ٩٢ هـ

قيل ظلت جزيرة الاندلس في تلك العصور الاولى . مهملة لم تصل اليها يد الاصلاح كسائر بلاد اوزبا حتى ان الجزء المعمور من الارض اذ ذاك كان يشبه طائراً رأسه وجناحاه مما يلى الشرق والجنوب والشمال ورجلاه وما بينهما من ذنبه مما يلى الغرب فلذلك كان الشرقيون يسخرون بالغرب نسبة الى أخس اجزاء الطائر ولما اراد الله ان يهيء له اسباب الرقي ووسائل العمران زاحم الفرس اليونانيين في الشرق في عهد الاسكندر حتى اضطروهم للجلاء منه الى الاندلس فكانوا أول أمة نبيلة وطأت تلك البلاد ولا غرو فان اليونانيين غنيون عن التعريف لما اشتهروا به من الحكمة والخبرة التامة بوسائل العمران وطرق المدنية حتى قيل عنهم « هبطت الحكمة من السماء على أدمغة اليونانيين والسنة العرب وأيدي الصينيين » فقد وجدت جزيرة الاندلس منهم اكبر معين على النهوض حيث شيدوا بها المدن والامصار وشقوا الانهر بين أرجائها وغرسوا البساتين والكروم وشيدوا المعاقل والحصون ونشروا العلوم ورقت الصناعة وراجت اسواق التجارة فبدت هناك مظاهر

النعمة وبهجة العمران حتى قال قائلهم « ان الطائر الذى صورت هذه العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاووساً معظم جماله في ذنبه » وحكى انه حضر لامير المؤمنين هارون الرشيد بعض اهل الغرب فقال لهم الرشيد يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذنبه الغرب فأجابه احدهم على الفور بقوله صدقوا يا أمير المؤمنين وانه طاووس فضحك الرشيد وعجب لسرعة خاطره وانتصاره لقطره وقد قال بعضهم

الغرب في فضله ادله تأوى إليه الشمس وتطلع الادله

ولا غرو فلقد كان الشرق في عصوره الاولى وقرونه المتوسطة مهبط الحضارة ومحط رجال المدنية لما عرف عن أهله كقدماء المصريين الذين دهشوا بالفلسفة والرياضيات وتفوقوا في علم الهيئة والصناعة والسحر وغير ذلك مما هو مشاهد وملموس في آثارهم الخالدة ولاشوريين الذين هم من ممالك آسيا القديمة الذين اشتهروا بالعلوم العقلية والمباحث الفلكية فداموا اثنى عشر قرناً فى طورهم الاول الى سنة ٧٥٩ قبل الميلاد وعادوا فى طورهم الثانى الى سنة ٥٣٨ قبل الميلاد . وهم الذين عناهم الدكتور صروف صاحب جريدة المقطم بقوله

وآل اشور أجروا من فراتهم	جداول التبر فاخضلت بها الترب
وشيدوا مدناً عصماء لو نزلت	بها الكواكب لاختنت بها الحقب
أبراجهم ونجوم الليل في حبك	اسوارهم من بروج الشمس تقترب
كم فيلق عبئوا كم دولة سحقوا	الشام دان لهم والروم والعرب
كرت قرون وشمس الشرق مشرقة	والغرب في ظلمات الجهل يضطرب
لكنما النجح يأتي بعده بطر	وآفة المفلحين اللهو واللعب

ولما كان الاسلام أرحب صدراً لقبول اسباب الحضارة ووسائل الرقى فان الدولة العباسية شحذت القرائح وضاعفت الهمة في ترجمة علوم اليونانيين فى الطب والهيئة والهندسة والحساب . وكان اول من بدأ بذلك أبو جعفر المنصور ثم نهج نهجه حفيده هارون الرشيد وقد تفوق عليهما المأمون فبلغت درجة التأليف في عهده شأواً عظيماً

وبينما كان الحال على هذا المنوال واذ رأى العالم وميض الفلاح وتفجرت ينابيع الحكمة فى الاندلس كما تراه بعد وامتدت اشعتها باقطار أوربا فنفخت فيها من روحها فتماثلت للشفاء من داء الجهل واخذت في تطورها الغريب ورقيها المدهش ولم تزل سائرة الى الامام باذلة النفس والنفيس في نشر المعارف وتعميم التعليم بين سائر الطبقات بلا فرق ولا تمييز وإليك مثال من نفقات التعليم فى بلاد الانكليز فقط عن السنة الدراسية من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩١٣

جنيه	
١١٧٤٨٣٣١	انكلترا وويلس
٧٤٩٣٥٩	المدارس الثانوية
٥٨٥٨٧١	المدارس الصناعية
٥٨٣١٢٧	مدارس المعلمين

والخلاصة تقدر نفقات التعليم في السنة المذكوره بمبلغ ١٨٧١٧٠٠٠ جنيه انجليزي فانظر بربك الى ما تصرف دولة غربية واحدة وقس على ذلك ما تقوم به عشرات الدول الاخري . ثم اجل الطرف بين ربوع الشرق ومبلغ عناية سكانه بأمر التعليم تجده تضاءل حتى كاد يدرج فى اكفان العدم بعد ان تسنم متن الرقي الصحيح وسبح في نهر الهجرة دهراً طويلا فرحم الله القائل

رب ركب قد اناخوا عيسهم ... في ذرى مجدهم حين بسق
سكت الدهر زماناً عنهم ... ثم أبكاهم دماً حين نطق

— ٢ —

فى سنة ٩٢ هجرية الموافق سنة ٧١١ميلادية خطر ببال موسى بن نصير حاكم افريقيا من قبل الدولة الاموية ان يجوز البحر ويفتح هذا القطر العظيم للاستئثار بخيراته ون يزيد بذلك القوادم من جناح النفوذ الاسلامى فكتب لامير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بذلك فوافقه على ان يرسل له السرايا حتى يعرف ما هو عليه فبعث موسى بن نصير ٤٠٠ رجل منهم ١٠٠ فارس وعقد لواء الامارة على تلك القوة لمولاه طريف الذى سار على أربع سفن الى ان احتل جزيرة سميت اخيراً (جزيرة طريف) ثم اغار على الجزيرة الخضراء فظفر بها وعاد منصوراً فكانت تلك السرية اول خطوات الفتح الاسلامى في اوربا .

ولما رأى موسى بن نصير نتيجة ذلك الجيش القليل العدد زاد شغفه بالفتح واشرأبت نفسه الى ادغام الاندلس في منطقة نفوذه فالتفت الى كنانته فلم يجد بها اصلب عوداً ولا انفذ سهاماً من مولاه طارق بن زياد الذي كان ذا دهاء وذكاء حسن السياسة شجاعاً لا يبالى بالمكاره فعقد له لواء الامارة على جند يتألف من ١٢٠٠٠ مقاتل من صفوة رجاله . فسار هذا الامير على اسطول جاز به البحر الابيض المتوسط الي جبل طارق الذي يعد من اهم البوغازات الانكليزية الآن . ثم نزل بجيوشه الى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء فلما بلغ لذريق ملك الاندلس خبر قدوم طارق خرج للقائه في ١٠٠ ألف مقاتل تخفق على رؤسهم الاعلام والبنود . وكان الملك محمولا على سرير من ذهب

وعلى رأسه عصائب من الديباج المزركش . فلما رأى طارق قدوم العدو في مثل تلك الكثرة اوجس خيفة من أن تجد الرهبة سبيلا الى قلوب رجاله فأحرق اسطوله حتى لا يكون لاحد امل فى النجاة من خوض غمار تلك الحرب . ثم تقدم برجاله على الاندلسيين . ولما تجابه الفريقان أبدي طارق من ضروب الثبات وعلائم الابتهاج ما قوى يقين جنوده بالنصر والغلبة على اعدائهم الذين خارت عزائمهم وثبطت هممهم وقال ملكهم ما ترجمته

« ان هذه الصور هي التى رأيناها في بيت الحكمة ببلدنا » فما أبعد البون بين الهمتين واكبر [illegible]
تلك الحرب مهما تكن النتيجة

فقال بعد أن حمد الله واثنى عليه « ايها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس والله الا الصدق والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته وأقواته موفورة وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ريحكم وتعوضت القلوب منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية . فقد القت به اليكم مدينته الحصينة . وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت . واني لم احذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولاحملنكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدأ بنفسي . واعلموا انكم إن صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالأرفه طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات فى قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً ثقة منه لارتياحكم للطعان واسماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهر دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين واعلموا اني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي علي طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه وان هلكت قبل وصولى اليه فاخلفونى فى عزعتي هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون الخ » فاجابه القوم بلسان واحد قائلين (قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فاننا معك وبين يديك) فباتوا تلك الليلة وهم علي اتم يقظة خوفا من غائلة العدو . ولما جاء الصبح انقض المسلمون على اعدائهم انقضاض الصواعق وأثخنوا فيهم ضربا بالسيوف وطعناً بالرماح حتى هزموهم شر هزيمة

أما لذريق فقد طار لبه وذهل عقله فقذف بنفسه فى نهر لكه من أعمال « شذونه » فغرق به وهو الذي كانت الحرب على ضفافه . وقال بعض المؤرخين ان طارقاً هو الذى ضربه بالسيف على رأسه فصرعه قتيلا تحت سنابك الخيـل . وكان ذلك فى رمضان سنة ٩٢ هـ الموافق سنة ٧١١ م . وقال أحـد الغـزاة :ـــ

ركبنا سفينا بالحجاز مغيرا عسى أن يكون الله منا قد اشترى

نفوساً وأموالا واهـلا بجنـة اذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا اذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا

وقد غنم المسلمون شيئاً كثيراً وكانت هذه اكبر حرب لبست الاندلس فيها حلة ارجوانية قانية وشغلت مناطق التاريخ ببسالة العرب التى أعقبت جلائل الفتوحات الاسلامية

ولما علم موسى بن نصير بهذا النصر الباهر كتب لمولاه طارق بن زياد يستوقفه عن الزحف الى حضوره اليه . وقد نهض من القيروان في جيش عظيم في سنة ٩٢ هـ فعبر البحر الى الاندلس وقابل طارقاً ثم أتم موسى الفتح الى مدينة « برشلونه » فى جهة الشرق وأربونة فى الجوف وضم قادس فى الغرب ودوخ تلك الاقطار الاسبانية المترامية الاطراف ووطد العزم ان يأتي الى المشرق من ناحية القسطنطينية بعد ان يجتاح بلاد الامم الاوربية حتى يصل دار الخلافة ولكن حالت دون أمنيته صعوبات جمة وأخطار اضطرته الى نفض يده من غبار تلك الحروب والاكتفاء بما بسط نفوذه عليه من بلاد الاندلس . وقال آخرون ثنى عزمه ما أصاب امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من مرضه الذي قضى على حياته قبل عودة غزاة الاندلس

— ٣ —

لما تم فتح الاندلس اختار موسى بن نصير قرطبة لتكون عاصمة لها وولى عليها ابنه عبد العزيز وولى على افريقيا ابنه عبد الله وعلى طنجه ابنه عبد الملك وقسم الجيوش على الثغور لحفظ الامن وقفل راجعاً الى دار الخلافة لمقابلة الوليد وتقديم ما حمله اليه من الغنائم التي كان ضمنها ١٧٠ تاجا من الذهب رصعة بالدر وأنواع الجواهر و١٠٠٠ سيف ملوكي محلى بأنواع الاحجار الكريمة ومائدة سيدنا سليمان عليه السلام التي كانت من منهوبات بخت نصر حينما خرب بيت المقدس وعبث بآثاره وغير ذلك مما لا يمكن حصره إلا أنه لم يدرك الوليد لوفاته وتولية سليمان بن عبد الملك الذى كان واجداً على اعوان

الوليد « ١ » فنقم عليه به بعد حسن اثره فى الفتح وثار الاندلسيون على ابنه عبد العزيز فقتلوه وبقيت بلاد الاندلس ولاية تابعة لبني امية يعين لها الامير من قبل الخليفة وطوراً يوليه عامل الخليفة بالقيروان وكان ولاة الاندلس اذ ذاك يواصلون فتح ما لم يفتح من اعمال البلاد فافتتحوا برشلونه من جهة المشرق وحصون قشتالة وبسائطها من جهة الجنوب واعتصم الباقون بجبال قشتالة وأربونه وأفواه الدروب فلم يعبأ المسلمون بهم لقلة عددهم . هكذا كانت الاندلس فى حروب مستمرة ٤٦ عاما . وقد اراد الامير عبد الرحمن الغافقي ان يجتاز الحدود الفاصلة بين الاندلس وفرنسا ولكنه اهمل التدبير فى اخذ قوة يمكنه من ذلك بل سار في جند قليل فتجمع له الاعداء في رمضان سنة ١١٤ﻫ الموافق سنة ٧٣٣ م وقابلوه بحرب كانت القاضية على جنده وقد اطلق على مكان تلك الحرب اسم « بلاط الشهداء » . ولما افل نجم الامويين في الشرق وعجزوا عن حفظ ما بيدهم تركوا الاندلس وشأنها فسادت بها الفوضى واصبح اهلها يتناهشون كالذئاب وانقسم العرب هناك على قسمين « يمانيه » و «مضريه » وقد تنافس الفريقان فى الرئاسة والاستئثار بالسلطة ولما تجهم الخطب وتشاكست الامور وتباينت الاغراض واوشكت نيران الفتن أن تلتهم البلاد تدخل العقلاء فى الامر ووفقوا الى إرضاء الفريقين بان تكون الرئاسه في كل طائفة سنة واحدة وان تنتقل للاخرى فى التى بعدها فكان الدور الاول المضريين فانتخبوا منهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري ولما استتم سنته جاء اليمانيون يطالبون بحقهم في الرئاسة حسب الاتفاق فبيتهم الامير يوسف فى احدى قرى قرطبة واغتال منهم عدداً عظيما في تلك الليلة واستبد بأمر الاندلس

وبينما هم كذلك واذ وثب العباسيون بالعراق في سنة ١٣٢ ﻫ الموافق ٧٥٠ م قائلين نحن أحق بالخلافة من بنى أمية ووافقهم حزب كبير فثاروا على مروان فقتلوه ومثلوا بالامويين أبشع تمثيل وتبوأ أبو العباس السفاح كرسي الخلافة ففلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

« ١ » قيل كان يكره سليما بن عبد الملك اعوان الوليد وقد ابعدهم عن مراتب الولاية لما عرف عنهم من الظلم والجور وكان يسخر بهم ويوسمهم تبكيتا وقيل سأل يوما يزيد بن ابى مسلم كاتب الحجاج بقوله . اتعلم يا يزيد ان الحجاج استقر في قعر جهنم ام لا زال هاوياً الى اسفل فاجابه قائلا . اعلم يا امير المؤمنين سوف يأتي الحجاج يوم القيامة بين ابيك واخيك فضعه في النار حيث شئت فغضب سليمان وأمر به فسجن وظل كذلك الى خلافة عمر بن عبد العزيز الذى اطلق كل المسجونين ما عدا يزيد فانه اقره على ما كان عليه ولم يفرج عنه الا بعد وفاة عمر بن عبد العزيز

الذي سار متنكراً يتلمس وسائل النجاة حتى دخل جزيرة الاندلس وما كان معه عدا مولاه . ومن حسن حظه وجد العلماء مستحكماً بين اليمانيين والمضريين فلذلك رأى ضرورة الانضمام الى احدى الطائفتين لكى يستعين بها على الاخرى ومتى أفلح في سعيه أسس على انقاض تلك الامارة العربية دولته الدائمة ومجده المنقرض وليس ذلك بغريب على الهمم العلية والنفوس الابية التي صقلتها التجارب المؤلمة وزادتها الكوارث اقداماً على ولوج الخطر دون ان يتطرق اليها السأم فرحم الله القائل :—

اذا غامرت في شرف مروم	فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير	كطعم الموت في أمر عظيم

ففي سنة ١٣٨ هـ الموافق سنة ٧٥٦ م احكم عبد الرحمن الاتفاق بينه وبين اليمانيين وأخذ يجمع شتاتهم ويؤلف بين صفوفهم حتى كون منهم جبهة قوية وهناك صار يحرضهم على حرب المضريين لعدم الوفاء بعهودهم فاخترقت عباراته طبلة الاذن وبلغت الى أعماق قلوب اليمانيين الذين التفوا حوله وصدروه لرئاستهم . ولما علم يوسف بن عبد الرحمن الفهري جمع جيوشه وخرج يريد القضاء على اعدائه وقد فاته انهم قد أعدوا له العدة واحيطوا بسياج من الحزم والعزم للاخذ بثارهم منه :—

وفي سنة ١٤١ هـ الموافق سنة ٧٥٩ م تقابل الفرسان وحدثت بينهما حرب هائلة دامت ثمانية أيام وبعد كر وفر أسفرت بهزيمة المضريين بعد خسائر فادحة فتأثرهم عبد الرحمن الاموي حتى دخل قرطبة وهناك استقامت له الامور وبايعه سكان الاندلس واسقط ذكر العباسيين من الخطب الجمية ولكنه لم يلقب نفسه بأمير المؤمنين حتى جاء عبد الرحمن الناصر ثامن ملوك بنى أمية من سلالته كما سنورده بعد قدام الملك فيهم الى سنة ٤٢٢ هـ الموافق سنة ١٠٣١ م تداول الرئاسة خمسة عشر رجلا منهم اثنا عشر قبل الدولة العلويه وثلاثة بعدها . ولقد وجد عبد الرحمن الاموي بلاد الاندلس خلواً من الانظمة الملكية فدون بها الدواوين وفرض الاعطية وعقد الالوية وجند الاجناد حتى هابه مجاوروه وتخوف منه أبو جعفر المنصور الذي كان يعجب بمقدرته المدهشة وتطوره الغريب وكان يلقبه بصقر قريش فانه اول من ادار سوق قرطبة وبنى القطر والمسجد والجامع ولولا ان ادركته الوفاة سنة ١٧٢ هـ الموافق سنة ٧٨٩ م لاعاد نفوذ الاموين في الشرق واليك بيان اسماء الملوك من سلالته ومدة كل منهم وسنأتي بأعمال كل ملك على حدته ليعلم القارىء كيف كانت اطوار تلك المملكة الاسلامية في جنوب اوروبا وكانت تهيمن على دولتي اسبانيا والبرتقال :—

		الى		الى	
		هجرية	ميلادية	هجريه	ميلادية
١	عبد الرحمن الداخل	١٣٨	٧٥٦	١٧٢	٧٨٩
٢	هشام	١٧٢	٧٨٩	١٨٠	٧٩٧
٣	الحكم	١٨٠	٧٩٧	٢٠٦	٨٢٢
٤	عبد الرحمن الاوسط	٢٠٦	٨٢٢	٢٣٨	٨٥٣
٥	محمد	٢٣٨	٨٥٣	٢٧٣	٨٨٧
٦	المنذر	٢٧٣	٨٨٧	٢٧٥	٨٨٩
٧	عبد الله : محمد	٢٧٥	٨٨٩	٣٠٠	٩١٣
٨	عبد الرحمن الناصر	٣٠٠	٩١٣	٣٥٠	٩٦٢
٩	الحكم الثاني	٣٥٠	٩٦٢	٣٦٦	٩٧٧
١٠	هشام الثاني	٣٦٦	٩٧٧	٣٩٩	١٠٠٩
١١	محمد المهدي	٣٩٩	١٠٠٩	٤٠٣	١٠١٣
١٢	سليمان . الحكم . سليمان المستعين	٤٠٣	١٠١٣	٤٠٧	١٠١٧
١٣	هشام . عبد الرحمن المستظهر	٤٠٨	١٠١٨	٤١٣	١٠٢٣
١٤	عبد الله . عبد الرحمن . محمد المستكفي	٤١٤	١٠٢٤	٤١٦	١٠٢٦
١٥	عبد الملك . محمد . هشام المعتمد	٤١٨	١٠٢٨	٤٢٢	١٠٣٢

هشام

— ٤ —

ولد في سنة ١٥٤ ﻫ الموافق سنة ٧٧١ م وكان من أم ولد اسمها حوراء.. فشب من نعومة أظفاره مولعاً بالادب والتاريخ وكان والده عبد الرحمن الداخل يعجب به ويوليه الرئاسة في صباه ويرشحه لولاية عهده ويسأل عن سيرته وأخيه سليمان . فيقال له اذا حضر هشام مجلساً امتلأ سخناً وهزيانا . فيعظم هشام في نظره بقدر ما يصغر سليمان . وقد قال يوماً لهشام لمن هذا الشعر :—

وتعرف فيه من أبيه شمائلا ومن خاله أو من يزيد ومن حجر

سماحة ذا مع بر ذا ووفاء ذا ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

فقال يا سيدي لامرىء القيس ملك كنده . وكأنه قاله في الامير أعزه الله فضمه اليه استحساناً لما سمع منه . وأمر له بصلة وطرف قيمة . ثم سأل سليمان على انفراد عن الشعر . فأجابه قائلا . لعلها لاحد أجلاف العرب . اما لي شغل غير حفظ اقوال بعض الاعراب . فأطرق الامير هنيهة . ثم أذن له في الانصراف وقد علم الفرق بين ولديه . ولما توفى عبد الرحمن الداخل في سنة ١٧٢ هـ كما اسلفنا وأفضى الامر الى هشام كان أول شيء بدأ به هو أن أحضر الضبي وكان من علماء الفلك في الجزيرة الخضراء وأشهر اهل زمانه بعلم حركات الاجرام السماوية وتسلسل اسبابها حتى قيل عنه بطليموس زمانه . وبعد ان خلا به سأله بقوله « يا ضبي لست أشك انه قد عناك من أمرنا اذ بلغك ما تدع تحديد النظر فيه فأنشدك الله إلا ما نبأتنا بما ظهر لك فيه . فتلجلج الضبي وطلب الاقالة قائلا « أني الممت ولم احقق النظر فيه لجلالته فى نفسي . فقال له هشام « وقد أجلتك لذلك فتفرغ للنظر فيما بقى عليك منه . ثم أحضره بعد بضعة أيام وقال له « ان الذي سألتك عنه جد منى مع أنى والله لا أثق بحقيقته اذ كان من غيب الله الذي استأثر به ولكني أحب ان اسمع ما عندك فيه . فالنفس طلعة » ووعده بالمكافأة أو العقاب ان تردد في الاخبار . ولما لم يجد الضبى بداً من التماص كاشفه في الامر بصراحة حيث قال له « أعلم أيها الامير انه يستقر ملكك سعيداً وجدك قاهراً لمن عاداك إلا ان مدتك فيه فيما دل عليه النظر تكون ثمانية أعوام أو نحوها » فأطرق هشام ساعة ثم رفع رأسه وقال « يا ضبى ما أخوفني أن يكون النذير كلمني بلسانك والله لو ان هذه المدة كانت في سجدة لله تعالى لقلت طاعتي له » ثم أمر للضبى بصلة ومن ثم ثاب هشام الى رشده من نشوة الملك وانصرف الى اعمال البر ورفع منار العدل . فأرصد العيون والجواسيس خلف عماله فاذا بلغه عن عامل اعوجاج عزله في الحال وانصف الناس منه فملأ البلاد قسطاً وعدلا . ونهج فى سيره نهج أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . فكان الناس كل آمن على حقه وكل بما فعلت يداه رهين . هذا وواسى الفقراء والمعوزين حتى أغناهم عن السؤال اذ كان يخرج متنكراً فى الليالي المظلمة الشديدة المطر وبيده صرر من الدراهم يتفقد بها ذوي الحاجة من الضعفاء وطلبة العلم من الغرباء . فلما انتهى خبره الى الامام مالك بن أنس رضي الله عنه قال « نسأل الله أن يرينا موسمنا بمثل هذا » وقد اكثر الغزو والجهاد فى سبيل الله حتى دوخ كثيراً من العصاة . وجدد بناء القنطرة العظيمة في قرطبة . وسأل أحد وزرائه قائلا « ما يقول أهل قرطبة » فأجابه بأنهم يقولون . مابناها الامير الا ليمضي عليها الى صيده وقنصه . فآلى على نفسه ألا يسلك عليها فلم يمر عليها بعد ذلك الى وفاته التي حصلت في رمضان سنة ١٨٠ هـ فعجب الناس لصدق الوزير ووفاء الامير الذي كان عالماً فاضلا وفيلسوفاً محققاً وتقياً قانتاً وكريماً سخياً وشجاعاً أبياً لم يبال بالمخاطر حتى اكسب الدولة القوة والمنعة وتوجها باكليل العظمة

الحكم بن هشام

ولد من أم ولد اسمها « زخرف » وكان جباراً قاسياً طائشاً منهمكاً في الملذات قبيح السمعة فائل الرأي فلما رأى العلماء منه ذلك أخذوا ينصبون له المكائد ويحضرون العامة عليه وقد لزموا المساجد لذلك وأخذوا يعرضون به في دعائهم فيقولون « يا أيها المسرف المتمادي فى طغيانه المصر على كبره المتهاون بأمر ربه أفق من سكرتك وتنبه من غفلتك الخ » وكان فى قرطبة اذ ذاك العلامة يحيى بن يحيى الليثى صاحب الامام مالك وأحد رواة الموطأ وغيره من فحول العلماء الذين تعاقدوا التآمر على خلع الحكم ومبايعة أحد أقاربه ممن تتوفر فيهم شروط الرئاسة . فلما بلغ الحكم ذلك باغت العلماء فى المساجد وفتك بهم وخرب معاهدهم الدينية الا انه استفاد من ذلك الدرس فخلع ثوب العصيان وجنح الى التوبة وتنبه من غفلته وانصرف الى تنظيم شؤون المملكة وباشر وسائل الاصلاح وأخذ بالحزم حتى شبه بأبى جعفر المنصور العباسي . يقال حضر لديه يوماً الفقيه زياد بن عبد الرحمن تلميذ الامام مالك بن أنس وبينما هو بين يديه غضب الامير على خادم له فأمر بقطع يده فراجعه الفقيه زياد بقوله « أصلح الله الامير فان مالك بن أنس حدثني فى خبر رفعه . من كظم غيظاً يقدر على انفاذه ملأه الله أمناً وايماناً يوم القيامة » فقال الحكم آلله ان مالكاً حدثك بهذا فقال زياد آلله أن مالكاً حدثني بهذا . فأمر بأن يمسك عن الخادم وعفا عنه . وفي غضون حكمه حدثت مجاعة شديدة بالاندلس فاظهر فيها من البذل ومؤاساة الفقراء ما نرجوا ان يكفر الله به تلك الاعمال السيئة فى أول أمره حتى يخرجه التاريخ كفافاً لا له ولا عليه

ومن انبل اخباره ان الاعداء اغاروا على البادية فنكوا بلاد المسلمين وعاثوا فيها واخذوا السبايا والاموال وكانت ضمن السبايا امرأة جاء بها الاعداء الى وادي الحجارة فسمعها العباس الشاعر تستنجد بالحكم فتقول « واغوثاه يا حكم لقد اهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا وأيتمنا » فسأل العباس المرأة عن أمرها فأخبرته بوقائع المسألة وما لحق قومها من تلك الغارة فما كاد يسمع العباس منها ذلك حتى جاء مهرولا الى الحكم وانشده قصيدة هذا مطلعها

تململت فى وادى الحجارة مسنداً	اراعى نجوماً ما يرين تغيرا
إليك ابا العاصى نضيت مطيتي	تسير بهم سارياً ومهجرا
تدارك نساء العالمين بنصرة	فانك أحرى ان تغيث وتنصرا

ثم وصف للامير خوف الثغر واستصراخ المرأة الأسيرة باسمه فبدت عليه علائم الغضب ونادى في الناس بالجهاد . وفي اليوم الثالث سار الى ارض العدو في جحفل جرار وامامه العباس الشاعر دليلا فاغار

على ثغورهم وفتح حصونهم وخرب ديارهم وجمع المأسورين من المسلمين وضمنهم المرأة وهنا احضر اسرى الاعداء وامر بضرب اعناقهم أمام الاسرى المسلمين فضربت والتفت الى الى المرأة وقال للعباس « سلها هل اغاثها الحكم » فأجابت المرأة وكانت ذات علم وفضل بقولها « والله لقد شفى الصدور وانكى العدو واغاث الملهوف . فأغاثه الله واعز نصره » فارتاح لحديثها وسر سروراً اطلق لسانه بقوله

الم تر يا عباس أني أجبتها	على البعد اقتاد الخميس المظفرا
فادركت أوطاراً وبردت غلة	ونست مكروباً واغنيت معسرا

توفى الحكم الى رحمة مولاه في سنة ٢٠٦ ﻫ : سنة ٨٢٢ م بعد ان اماط عن سيرته قتام القبائح وحلى صفحات تاريخه بجلائل الاعمال

— ٥ —

عبد الرحمن الاوسط

كان بارعاً في العلوم العقلية والنقلية شغوفاً بالمباحث الفلسفية والمناظرات الادبية . ومع ذلك فقد كان شجاعاً لا يبالي بالحياة . فأول اعماله التي بدأ بها بعد ان آل إليه أمر الملك غزو جليقيه فأثخن فيها وعاد ظافراً . واخذ في ارسال السرايا تباعاً الى ان قهر المتمردين عليه وساد السلام بين ربوع الجزيرة ومن ثم التفت الى اصلاح البلاد فشيد القصور وغرس المتنزهات واجرى لها المياه من الجبال وأقام الجسور وشيد الجوامع بكور الاندلس وزاد رواقين في جامع قرطبه وفي ذلك قال ابن المثنى

بنيت لله خير بيت	يخرس عن وصفه الانام
حج اليه بكل أوب	كأنه المسجد الحرام
كأن محرابه اذا ما	حف به الركن والمقام

وقال آخر

بنا مسجداً لله لم يك مثله	ولا مثله لله في الارض مسجد
سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذي	بناه نبي المسلمين محمد
له عمد حمر وخضر كأنما	تلوح يواقيت بها وزبرجد
ألا يا أمين الله لا زلت سالماً	ولا زلت في كل الامور تسدد
فيا ليتنا نفديك من كل حادث	وانك للدنيا وللدين تخلد

ويقال كانت أيامه مواسم سرور وقد جرى الناس في عهده شوطاً بعيداً فى الرفاهية والترف. واحتجب عبد الرحمن الاوسط عن العامة. ولما ضيق أمير المؤمنين المأمون العباسى على نوفلس ملك القسطنطينية اضطر هذا الى ود الامير عبد الرحمن ليكون له جنة من بطش العباسيين. فبعث اليه بهدية عظيمة في سنة ٢٢٥ ﻫ الموافق سنة ٨٤٠ م وشفعها بخطاب رقيق يخطب وده ويحرضه الى اعادة ملك أسلافه بالشرق ليعكر صفاء الدولتين العربيتين ويستفيد هو باضعافهما إلا ان الامير كان عاقلا بعيد النظر لم يلتفت الى تلك الدسائس السياسية التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب. بل كتب له رداً جميلا وكافأه على هديته بأعظم منها. بعث ذلك مع يحيي الغزال من كبار الدولة الذي أحكم الصداقة بين الدولتين مع الحذر الشديد. وقد نقش ملك الاندلس على خاتمه «عابد الرحمن بقضاء الله راضي» فقال أديب

خاتم الملك أضحى حكمة في الناس ماضي
عابد الرحمن فيه بقضاء الله راضي

كان عبد الرحمن الاوسط كثير الشغف بالغناء لا يؤثر عليه لذة من ملذاته ولما قدم عليه زرياب على بن نافع من العراق وهو تلميذ ابراهيم الوصلي واحذق المغنين من أهل جيله ركب الامير للقائه وحوله أرباب دولته فقابله خارج قرطبة وبذل له الهبات وبالغ في الحفاوة به واقامه بداره حتى أخذ عنه الاندلسيون صناعة الغناء

وقد ذكر المؤرخون لهذا الامير نوادر شتى جرت مع جواريه. من ذلك كانت جارية بديعة الجمال وافرة الادب تدعى «طروب». وكان لها دلال عليه فاهداها ذات يوم حلياً قيمته ١٠٠ دينار فراجه أحد ندمائه على ذلك الاسراف فقال الامير «لابسه انفس منه خطراً وارفع قدراً واكرم جوهراً وأشرف عنصراً» وفيها يقول :—

اذا ما بدت لى شمس النها ر طالعة ذكرتني طروبا
انا ابن الميامين من غالب أشب حروبا واطفى حروبا

ولما خرج لغزو جليقية وطالت غيبته بها كتب الى جاريته يقول :—

عداني عنك مزار العدا وقودى اليهم سهاما مصيبا
فكم قد تخطيت من سبسب ولاقيت بعد طروب دروبا
ألاقي بوجهي سموم الهجـــير اذا كاد منه الحصى ان يذوبا
تداركت بالله دين الهدى فاحييته وأمت الصليبا
وسرت الى الشرك فى جحفل ملأت الحزون به والسهوبا

ولقد توفى الى رحمة مولاه في سنة ٢٣٨ هـ الموافق سنة ٨٥٣ م وولى ابنه بعهد بعد

محمد بن عبد الرحمن

بويع بعد أبيه وكان كبير الهمة قوي الارادة وفي عهده اضطربت الاحوال وتشاكست الامور وتمردت بعض الجهات فأخذ الامير يبعث السرايا تباعا الى بلاد الاعداء فكانت أول سرية بقيادة موسى بن موسى صاحب طليطلة فعاثت فى نواحى ألبه والقلاع وفتحت بعض حصونها وقفلت ظافرة . وما كادت تعود هذه حتى جهز سرية أخرى سارت الى برشلونه وما ورائها من الثغور فأثخنت في الاعداء وعادت ظافرة أيضاً . ولما تحقق الخارجون عليه شدة وطأته واجتهاده فى اخضاعهم استعانوا عليه بملكي جليقيه والبشكنس وبذلك اختل التوازن وتفوق العدو على قوة الامير إلا انه لم يكترث لها بل كمن لاعدائه فى وادي سليطة ووثب عليهم بغتة واشتبك الفريقان في حرب هائلة هزم فيها أعداء الامير بعد ان خسروا عشرين ألف قتيل عدا الجرحى فتأثرهم فرسان المسلمين الى مسافات بعيدة وعادوا بكثير من الغنائم

وفي سنة ٢٤٥ هـ الموافق سنة ٨٦٠ م خرجت مراكب المجوس الى المملكة الاموية فقابلها الامير بجيوشه وقد حدثت بينهما واقعة بحرية هائلة أظهر فيها العرب نهاية الثبات حتى هزم المجوس وغنم الأمير مركبين وشيئاً من الاسلحة والمؤن . ولم يزل هذا الامير يصارع الاهوال ويقارع المحن حتى أمكنه ان يدوخ بلاد العدو بعدأن ملأ قرطبة بالاسرى الذين كان منهم فرتون ابن ملك بنبلونه الذي بقى فى اسره ٢٠ عاماً

وفي إبان ملك الامير محمد خربت مارده ولم يبق لها أثر . وقد ذكر بعض المؤرخين انه رأى بالمشرق هذه الابيات في سنة ٢٥٤ هـ أي قبل خرابها ولم يعلم قائلها

ويل لماردة التى مردت	وتكبرت عن عدوة النهر
كانت ترى لهم بها زهر	فخلت من الزهرات كالقفر
فالويل ثم الويل حين غزا	بجميعهم صاحب الامر

وقد توفى الامير محمد الى رحمة مولاه في صفر سنة ٢٧٣ هـ الموافق سنة ٨٨٧ م بعد ٣٥ عاماً بين صلصلة السيوف وموارد الحتوف

المنذر بن محمد

— ٦ —

ولي المنذر بعد أبيه وبينما كان يفكر في الانظمة التي تليق بملكه واذ فاجأته المنية في صفر سنة ٢٨٥ ﻫ الموافق سنة ١٨٨٩ م وقد قيل فيه :—

بالمنذر بن محمد صلحت بلاد الاندلس

عبد الله بن محمد

ولي بعد أخيه المنذر وكان عالماً فاضلا وشاعراً مجيداً وخطيباً بليغاً حافظاً للتاريخ عارفاً بأخبار العرب لا سيا وانه حاذق ظريف . ففي أيامه زاد ايراد الاندلس ولكنه صرف ذلك في أشرف السبل حتى نفد مافي بيت المال . وقد اضطربت البلاد في عهده فاضطرته الى ركوب متن الشطط وقادته لمتاعب الحروب كما كان اسلافه . وقد ابتكر طريقة دلت على ذكائه وحرصه على مصالح البلاد . وهي انه كان يطلب من وزرائه ان يبعثوا له اقتراحاتهم على بطاقات صغيرة عن الاصلاحات والمشاريع الهامة فيطالعها ويأمر بتنفيذ ما كان فيه صلاح الدولة . وبينما هو كذلك واذ كتب له وزيره النضر بن سلمه براي سخيف وفكر تافه . فلما قرأه الامير وقع له باسفل البطاقة هذين البيتين :—

انت يا نضر آبده ليس ترجى لفائده
انما انت عدة لكنيف ومائده

ومن بديع شعره قوله :—

يا مهجة المشتاق ما أوجعك ويا أسير الحب ما أخشعك
ويا رسول العين من لحظها بالرد والتبليغ ما أسرعك
تذهب بالسر فتأتي به في مجلس يخفى على من معك
كم حاجة انجزت ابرازها تبارك الرحمن ما أطوعك

لا غرو فان في هذه الابيات عنوان فضله وبرهان نبله . ومن أهم محاسنه ترشيحه لولاية عهده حفيده عبد الرحمن الناصر . وقد توفى الامير عبد الله الى رحمة مولاه في سنة ٣٠٠ ﻫ الموافق سنة ٩١٣ م

عبد الرحمن الناصر

هذا هو غضنفر الامويين ودورة تاج المالكين باهر العالم بصولجان ملكه وجلائل اعماله تبوأ أريكة الملك بعد جده عبد الله في اول ربيع الاول سنة ٣٠٠ ﻫ وفي ذلك قال الاستاذ ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد

بدى الهلال جديداً والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدى ان كان فيك مزيد
ان كان للصوم فطر فأنت للدهر عيد

وكان اذ ذاك حديث السن قليل التجارب ولكنه غزير العلم كبير الهمة بعيد الغور ومن شعره في ذلك قوله

لا يضر الصغير حدثان سن انما الشأن في سعود الصغير
كم مقيم فازت يداه بغنم لم تنله بالركض كف مغير

وله أيضاً

قد تعارض اوجه الاوامر فيقودها التوفيق نحو صوابها
والشيخ ان يجز النهى بتجارب فشباب رأى القوم عند شبابها

فوجد الدولة مضطربة الجوانب محفوفة بالاخطار تكتنفها ثورات المخالفين ودسائس المناظرين فلم تلهه أبهة الملك وترف الشباب عن غارات الليل وقيادة الخيل حتى أطفأ تلك النيران واستنزل اهل العصيان فاستقامت له الامور واستتب الامن ومن ثم انصرف الى تشييد المعاقل والحصون واحسن السياسة وقرب اهل الكياسة ونشر لواء الحضارة ورفع شأن العلماء وواسى الفقراء وهو اول من تلقب بأمير المؤمنين في الاندلس . فلما رأى ملوك أوربا علو همته واصالة رأيه مدوا إليه يد الاذعان وأوفدوا سفراءهم يحملون الهدايا والطرف من رومية والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم ووصل سدته الملوك المتاخمون لبلاده من أهل الجزيرة بجهات قشتاله وبنبلونه وما ينسب اليهما من الثغور فقبلوا يده والتمسوا رضاه واليك مثال من ترجمة بعض عبارات جاءت في كتاب ملك القسطنطينية اليه وهي :—

« قسطنطين ورومانيين المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم . . . الى العظيم الاستحقاق الفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالاندلس اطال الله بقاءه » . فاحتفل الناصر لمقابلة سفير ملك القسطنطينية الحامل لهذا الكتاب احتفالا عظيما شهده العلماء والعظماء وقواد الجند . ودعى

لى يومئذ أبو علي القالي للخطابة فى ذلك الاحتفال الذي بهره مشهد المليك والجمته الهابة واستولى عليه العي فارتج عليه ولم يستطع ان ينبث ببنت شفة ووقف ما ثلا بين يدى الامير فلما رآه منذر بن سعيد البلوطي قام الى منصة الخطابة ووقف لدرجة من مرقى ابي علي القالي ولما اشرأبت الاعناق اليه وشخصت الابصار عليه ارتجل خطابه بعبارات بهرت العقول جزالة وملات الاسماع جلالة واردف ذلك بقصيدة بديعة استهلها بمدح نفسه على شجاعته الادبية ثم عطف فمدح الامير . من ذلك قوله

مقالى كحد السيف وسط المحافل ... فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكي ترمى بجمراته ... كبارق رعد عند رعش الانامل
فما دحضت رجلى ولا زل مقولى ... ولا طاش عقلى يوم تلك الزلازل
وقد حدقت حولى عيون اخالها ... كمثل سهام اثبتت في المقاتل
لخير امام كان أو هو كائن ... لمقتبل او في العصور الاوائل
ترى الناس افواجا يؤمون بابه ... وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسط فنائه ... مخافة باس او رجاء لنائل
فعش سالما اقصى حياة مؤملا ... فانت رجاء الكل حاف وناعل
ستملكها ما بين شرق ومغرب ... الى درب قسطنطين أو ارض بابل

فأعجب الناس بثبات جنانه وبلاغة لسانه وكان الناصر أشد عجباً واكثرهم تقديراً له الا انه ما كان يعرفه من قبل فالتفت الى ابنه الحكم وسأله عنه فقال له هذا منذر بن سعيد البلوطي فقال الناصر والله أحسن ما شاء ولئن أخرني الله بعد لأرفعن من ذكره . فضع يدك يا حكم عليه واستخلصه وذكرنى بشأنه فما للصنيعة مذهب عنه . ثم ولاه الصلاة والخطابة فى المسجد الجامع بقرطبة . ولما توفى الاستاذ محمد بن عيسى القاضي ولاه قضاء الجماعة وأقره على وظيفتـه الاولى . وذلك بعد ان أجزل له الصلات وغمره بعظائم الهبات . فهذه ومثيلاتها كانت من اهم بواعث انتشار الادب ورواج بضاعته اذ ذاك بين ربوع الاندلس حيث كان العلماء أحسن الناس حالا وأنعمهم بالا لما وجدوه من الحظوة عند الملوك وكفى بنا دليلا ما قاله أبو جعفر احمد بن محمد المعروف بابن البنى وهو أحد الناظرين لهم في ذلك النعيم وتلك القربى

أهل الرياء لبستموا ناموسكم ... كالذئب أدلج في الظلام العاتم
فملكتموا الدنيا بمذهب مالك ... وقسمتم الأموال بابن القاسم
وركبتموا شهب الدواب بأشهب ... وباصبغ صبغت لكم في العالم

نزل نشاهد بعين البصر الكثير من العلماء مرتدين اطماراً بالية تلوح على محياهم علائم اليأس ودلائل القنوط حتى قال امام العبد الشاعر المصري يندب حظه ضمن قصيدة طويلة

بربك هل أبصرت في الناس فاضلا   يعيش بلا اكل ويمشي بلا نعل

عليه ثياب قد تقادم عهدها   ولو غسلت يوماً لذابت من الغسل

وحسبك ما قاساه السيد عبد الله النديم الذي يعد في ذروة أدباء عصره من ضروب الاحن وصروف الزمن لم يذق للحياة غير مضضها وروعاتها . وقد قرأت له في احدى المجلات المصرية ما لم أتذكر منه عدا هذه العبارات الدالة على انه كان رحمه الله ابعد الناس عن مناهل الرغد واليك هي :—

« فانما من رزق بالعقل اكتفى بالفضل . لا بالمال وحسن الحال . له من التصرف من قال وقلنا لا نال ونلنا . له من الادب قناطير ومن المال قدر النقير · اذا وضع نقير الفضة امام الف قفة لتساوى في جامع الحطام من كسوة وطعام . لااختلاف الا في الالوان ومظاهر الاكوان . فما رأينا غنياً يأكل الذهب ولا فقيراً يطعم الحطب ولا مثريا جعل ثوبه عقياناً ولا فاضلا مشى عرياناً الخ

يا صاحبي دع عنك قول الهازل   واسمع نصيحة عارف بالحاصل

اجهل تجد صفو الزمان فانه   من قسمة القدم الغبي الجاهل

ودع التعقل بالتغفل يستقم   أمر المعاش لحظه للغافل

وارض البلادة تغتنم من بابها   ما لا وجاها بعد ذكر خامل

واذا ابيت سوي العلوم فلا تضق   بحروب دهر لا يميل لفاضل

قلب تواريخ الالى ذهبوا تجد   دنياك ما قيدت بغير الباطل

تجد الافاضل في الزوايا كلهم   حال الحياة وبعدها بمحافل

العلم ستر كالسحاب به ترى   شمس الحقيقة خلف ذاك الحائل

هل ابصرت عيناك ديواناً به   مدح البليغ جميل سعد حافل

ان نلت أي فاذكر لنا من ناله   أو لا فعش كالناس فى ذا الساحل

ضدان لا تلقاهما فى واحد   مال الغبى وحكمة للكامل

وهنا لا يسع العاقل إلا الاذعان لارادة الله والوقوف عند حد الادب كما قال الاستاذ حسين الملوك :—

كم من جهول في الغنى سارح ومن عليم فى عناء مقيم
قد حارت الالباب في سر ذا وطاشت الناس فقال الحكيم
لا يسأل الخلاق عن فعله « ذلك تقدير العزيز العليم »

هذا ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول . ومما يدل على ذكاء الناصر وسلامة ذوقه بناؤه لمدينة الزهراء التي جاءت آية من آيات الصناعه ومعجزة من معجزات الاختراع حيث برزت فى غريب وضعها وثوب خيلائها بما يخاله الرائي جنة نعيم ظهرت ليفتتن بها الصلحاء وتصبوا اليها نفوس الاتقياء وقد حوت تلك المدينة من الاثاث والرياش والغلمان والجوارى الحسان ما لم يروه التاريخ منذ فجره

حكى ان احمد بن عبد الملك الوزير اهدى اليه غلام لم ير مثله فرأه الناصر ذات يوم فقال للوزير أني لك هذا . فأجابه الوزير قائلا من عند الله . فقال الناصر . تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر فبعث له الوزير هدية قيمة ومعها ذلك الغلام وكتب له هذين البيتين

أمولاى هذا البدر سار لافقكم وللافق أولى بالبدور من الارض
أرضيكم بالنفس وهي نفيسة ولم أر قبلى من بمهجته يرضى

فعظم ذلك عند الناصر واتحف الوزير بهبات نادرة المثال ونال عنده حظوة لم يحلم بها رصفاؤه . ثم اردف ذلك بجارية قل ان يوجد لها نظير في عصرها وكتب معها الى الامير هذه الابيات

أمولاى هذي الشمس والبدر اولا تقدم كيما يلتقي القمران
قران لعمرى بالسعادة قد أتى فدم منهما فى كوثر وجنان
فما لهما والله فى الحسن ثالث وما لك في ملك البرية ثان

ومن غريب ما حكى له مع جاريته مرجانه انه دعى الطبيب ليفصده ذات يوم وجلس له فى المجلس الكبير المشرف على مدينة الزهراء . ولما اخذ الطبيب الآلة وجس يد الناصر أطل زرزور فصعد على اناء من ذهب وانشد قائلا

ايها الفاصد رفقاً بأمير المؤمنين
انما تفصد عرقاً فيه محيي العالمين

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف الناصر ذلك وسأل عن الذى اهتدى الى تعليم الزرزور فقيل له تلك السيدة مرجانه ام ولدك وولي عهدك الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك واعدته لمثل هذا

اليوم فوهب لها ما ينيف عن ٣٠٫٠٠٠ ديناراً . وانه أحيا علم الموسيقى واكتظت قرطبة في عهده بالعلماء وحذاق المغنين وأهل الظرف وارباب الفنون الجميلة فازدهت بهم البلاد وكانت اذ ذاك زهرة الامصار وأم قرى الغرب تضرب اليها أكباد الابل ويؤمها رواد الحكمة وعفاة الادب من انحاء العالم . ويقال كانت قرطبة تشتمل على ٢٠٠٫٠٠٠ بيت و٦٠٠ مسجد و٥٠ مستشفى للمرضى و٨٠ مدرسة كبرى عامة و٩٠٠ حمام وسكانها نحو مليون نسمة وحولها ١٣٠٠ قرية وكان لكل قرية فقيه مقاص يرجع الناس اليه في حل المشكلات الدينية ولا يكون الفقيه مقاصاً في عرف الاندلسيين إلا اذا حفظ المدونة والموطأ و١٠٫٠٠٠ حديث . ومن حسن حظ الاندلس دوام ملك الناصر من سنة ٣٠٠ هـ الى سنة ٣٥٠ هـ وهو جاهد نفسه لاحياء شعائر الاسلام والذود عن حياض المملكة غير هياب للمخاطر حتى بسط نفوذه على معظم شعوب الاندلس وهابه ملوكها

وكانت له مذكرة يدون بها كل يوم لم ير به سوءاً ولما ادركته الوفاة وجد مكتوب بخطه ١٤ يوما فقط بعد ٧٢ عاماً قضاها بين ولي عهد وملك ولا غرابة

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

الحكم المستنصر

— ٨ —

كان هذا آية في الدهاء والذكاء رضع أفاويق البيان على كثير من فحول العلماء كالقاسم بن أصبغ واحمد بن حيم ومحمد بن عبد السلام الخشني وزكريا بن حطاب وثابت بن قاسم ولما وفد أبو علي القالي الى أبيه من بغداد أكرم وفادته ووكل اليه تربية ابنه الحكم فشرب هذا منه بكأس روي فاصبح الحكم من كبار العلماء العارفين والفلاسفة المحققين وكان شغوفاً بمسامرات العلماء ومنادمة الأدباء فلا يكاد يخلو مجلس من مجالسه من المناظرات العلمية والطرف التاريخية والملح الادبية . وقد بذل أقصى الجهود في جمع الكتب النفيسة وكلف النساخين بتدوينها في كل فن حتى كان بخزانته ما لم يسبق لملك ولا أمير قبله . قال خازن كتبه ان عدد الفهارس التي بها أسماء الكتب فقط أربعة واربعون مجلداً فلذلك وجدت المعارف في عهده بسطة في قوتها حيث كان لها أكبر ظهير وأقوى دعامة . وكان كريماً يعطي المال عطاء من لا يخاف الفقر وفي ذلك يقول :—

ما كل شيء فقدت الا عوضني الله منه شيا
اني اذا ما منعت خيري تباعد الخير من يديا

من كان لي نعمة عليه فانها نعمة عليا

ولما توفى الناصر وآل أمر الملك اليه فى سنة ٣٥٠ هـ الموافق سنة ٩٦٢ م هب أعداء المملكة من سباتهم مدفوعين بعوامل الطمع ظانين سنوح الفرصة لمباغتة الدولة الاموية ومحاربتها لاجتثاث أصولها والاستئثار بما في يدها وما دروا ان ذلك أمر ترقص دونه أعجاز الخيل . وهذه العصا من تلك العصيا . فالحكم ليس أقل خطراً من أبيه فانه نضى عن عاتقه ثوب الرفاهية والنعيم ونزع الى الخشونة وظهر بمظهر البطولة وعمد الى تحكيم السيف الذى هو خير قاض عند ما تتجهم الخطوب وتتشابه سبل النجاة

السيف أصدق من زياد خطبة في الحرب ان كانت يمينك منبراً

فمن أجل ذلك جنح الامير الى تجييش الجيوش واختيار الأكفاء ممن توفرت فيهم شروط القيادة من بطانته ووزرائه ومواليه ووكل اليهم رياسة الفرق وتولى القيادة العامة بنفسه . وكان ذلك في أول ولايته . ومن محاسن الصدف ان والده الناصر ترك فى خزائن الدولة عند وفاته ٥٥٥ مليونا من الدنانير فساعدته تلك الاموال على نفقات الحرب . فزحف بقواته الهائلة وعدده الوافرة غازيا ثغور الجلالقة فدك حصونها ومزق المتمردين عليه ولما لانت قناتهم عقد وفاقاً مع الملك فردلند . وهناك بعث سرية بقيادة مولاه غالب الناصرى الذى سار لمدينة سالم فتجمع له الاعداء بها وحدثت بينهما حرب عظمى ثبت في غضونها جند الامويين ثبات الرواسي حتى قهروا أعداءهم . وهكذا أخذ الامير يوالي الحروب حتى سئم أعداؤه ورأوا ان لا سبيل الى نجاتهم من بطشه الا بمسالمته فقدموا له الطاعة وهناك عفا بعد القدرة . وقد قدم اليه الملك أردون يحيط به وزراؤه وارباب دولته فقابله غالب الناصرى وجاء به الى مولاه الحكم بقرطبة ولما دنوا منها خرج لقائهم الامير هشام المصحفى في جيش عظيم كامل العدة كبير العدد ولما وصل الملك أردون الى ما بين باب السدة وباب الجنان سأل عن رمس الناصر فأشير اليه به فخلع قلنسوته وطأطأ رأسه الى جهة القبر اجلالا وتعظيماً ولما مثل بين يدى الحكم أظهر نهاية الخضوع فقابله الامير بغاية البشاشة والاكرام . ثم خلع عليه درعاً منسوجاً بالذهب وبرنسا له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت وغير ذلك من الهبات الملوكية النفيسة فلذلك خر الملك أردون ساجداً وأعلن بالدعاء لامير المؤمنين الحكم . وهناك دعا الحاجب اتباعه رجلا رجلا فخلع الحكم على كل واحد ما يناسب حاله . فقابلوا تلك المنح بخالص الدعاء ومزيد الاطراء . وأمر الحكم للملك بحصان من عتاق الخيل به سرج ولجام مزركشان بالذهب فركب عليه وسار بهم ابن طميس الى قصر الرصافة -أي دار الضيافة وبعد قليل من الزمن أعيد الملك أردون لبلاده محاطاً بسياج من العظمة والاجلال . وكانت للشعراء في ذلك اليوم مبارات فى النظم والألقاء أشبه شيء بسوق عكاظ فمن ذلك قصيدة عبد الملك بن سعيد المرادى نقتطف منها ما يأتي

ملك الخليفة آية الاقبال   وسعوده موصولة بنوال
المسلمون بعزة وبرفعة   والمشركون بذلة وسفال
ألقت بايديها الاعاجم نحوه   متوقعين لصولة الرئبال
هذا اميرهم اتاه آخذاً   بيد اواصر ذمة وحبال
متواضعاً لجلاله متخشعاً   متبرعاً لما برع بقتال
سينال بالتأميل للملك الرضا   عزاً يعم عداه بالاذلال
لا يوم اعظم للولاة مسرة   وأشده غيظاً على الاقيال
من يوم اردون الذى اقباله   امل المدى ونهاية اقبال
ملك الاعاجم كلها ابن ملوكها   والى الرعاة الى الاعاجم وال
ان كان جاء ضرورة فلقد اتى   عن عز مملكة وعز رجال
فالحمد لله المنيل امامنا   حط الملوك بقدرة المتعال
هو يوم حشر الناس الا انهم   لم يسألوا فيه عن الافعال
اضحى الفضاء مخيماً بجيوشه   والافق اقتم اغبر السربال
لا يهتدي السارى لليل قتامه   الا بضوء صوارم وعوالى
وكان اجسام الكماة تسربلت   مذ عريت عنه جسوم ضلال
وكانما العقبان عقبان الفلا   منقضة لتخطف الضلال
وكانما قضب القنا مهتزة   اشطان نازحة بعيدة حال
وكانما نبل التجافيف اكتست   ناراً تؤججها بلا اشعال

ومن انبل اعماله انه منع شرب الخمر ببلاد الاندلس وشدد النكير على اهل البغي والفجور فكاد يعيد الاسلام الى طوره الاول لما كان الناس عليه فى عهده من الاستقامة والاشتغال بالعلم والصنائع والحراثة وغير ذلك من اسباب الفلاح وتوفي الى رحمة مولاه بالفالج في ٢ صفر سنة ٣٦٦ هـ الموافق سنة ٩٧٧ م

هشام المؤيد

ولي هشام المؤيد بعد أبيه وكان حديث السن لا يتجاوز عمره حين ولايته التسع سنين . وقال بعض المؤرخين عشرة سنين وبضعة اشهر فقام بالوصاية عليه أبوعامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن عامر المعافري القحطاني وهو من الجزيرة الخضراء . جاء جده عبدالملك في جيش

طارق بن زياد حال فتح الاندلس سنة ٩٢ هـ

أما هذا الوصى فجاء شاباً الى قرطبة يطلب العلم فتثقف عقله وقويت ملكته فتضلع فى علوم الدين وضرب بسهم رابح في المعقولات وهناك سمت همته وتعلقت بالثريا آماله فصارت تحدثه نفسه بادراك المعالي وتوحي اليه هواجسه بادارة شؤون المملكة مع انه فى ذلك الوقت مقصوص الجناح بعيد عن مقاعد الملوك وكان أصدقاؤه يرون تلك الآمال منه ضرباً من ضروب المستحيلات . ولكن اذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه فلم يزل أبو عامر سابحاً في بحار التفكير جاهداً فى النظام والتدبير حتى انه كان نازلا ذات ليلة في ضيافة أبي عبد الله محمد بن اسحق التيمي فدخل عليه رب الدار فى آخر الليل فوجده قاعداً مفكراً على حال تركه بها في أول الليل فسأله أبو عبد الله بقوله . ما أراك نمت الليلة . فقال لا فقال له . ما أسهرك قال فكرة عجيبة . فقال أبو عبد الله فيما ذا . فأجابه أبو عامر قائلا فكرت فى حالة ما اذا افضى الي الامر ومات محمد بن بشير القاضي بمن أستبدله ومن الذي يقوم مقامه فجلت الاندلس كلها بخاطري فلم أجد الا رجلا واحداً . فقال أبو عبد الله لعله محمد بن السليم قال هو والله لشد ما اتفق خاطرى وخاطرك عليه — هذا وله نادرة مع ثلاثة من أصدقائه طلبة العلم قال لهم ذات يوم فليختر كل واحد منكم خطة أوليه إياها اذا أفضى الي الامر . فقال أحدهم تولينى قضاء كورة ريه وهى مالقه واعمالها فانه يعجبني هذا التين الذى يجيء منها . وقال الثاني تولينى حسبة السوق فاني احب هذا الاسفنج . وقال الثالث اذا افضى اليك الأمر فأمر ان يطاف بى قرطبة كلها على حمار ووجهي الى الذنب وأنا مطلى بالعسل ليجتمع علي الذباب والنحل . وافترقوا على ذلك ولما آل الامر الى ابن أبي عامر أدرك كل من الثلاثة ما تمنى لنفسه ! !

وبينما أبو عامر جائل الفكر في تلك الهواجس والأوهام الخيالية إذ اسندت اليه وكالة دائرة السيدة صبح أم هشام المؤيد بن الحكم والنظر في اموالها وضياعها فكانت هذه أول خطوة فى بلوغ امانيه فأظهر نشاطاً وذكاء وعفة فى عمله فنال بذلك اعجاب امير المؤمنين الحكم وضوعف قدره عنده . ولما توفي الحكم وبويع ابنه هشام المؤيد اضطربت الاحوال وتباينت الاهواء وخافت السيدة صبح على زوال ملك ابنها لحداثة سنه فضمن أبو عامر لها استتباب الامن واستقرار الملك لابنها فسكن روعها وهدأ خاطرها فأمدته بالمال لاستمالة الجند وتوطيد قدم هشام في مثل تلك العاصفة السياسية الهوجاء لكي لا تمس كرامة الدولة من يد اعدائها فبذلك تزايد قدر أبي عامر وعلا شأنه بين كبار الدولة إلا ان بعضهم اراد العبث بنفوذه ففكر بهم وفتك بكثير منهم وهناك صفى له الجو ودانت له البلاد وحجب هشام المؤيد وأمر بالدعاء له عقب الخليفة في الخطب الجمعية ولم يبق لهشام الا لقب الامارة واصبح أبو عامر هو القابض على صولجان الملك الآمر الناهي بين الرعية وتلقب بالمنصور واستوزر جماعة من كبار العلماء منهم أبو الحسن جعفر

بن عثمان الملقب بالمصحفي والوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيري والوزير ابو بكر
محمد بن الحسن الزبيدى الذى اختصر كتاب العين وولاه شرطته وكان الزبيدى هذا من بطانة الحكم
المستنصر ووجوه اصحابه وكذا استوزر ابا العلاء صاعد بن الحسن الربعى اللغوى البغدادى الذي هو من
كبار العلماء الاعلام وكان حسن الشعر حلو الفكاهة كانت له مع ابي عامر نوادر مستظرفة . منها ان
ابا العلاء الف كتابا على نحو كتاب النوادر لابي على القالى سماه كتاب الفصوص ومن عجائب
الاتفاق ان ابا العلاء دفع كتابه هذا الى غلام بعد ما اتمه ليحمله بين يديه وهما يعبران نهر قرطبة
فخانت الغلام رجله فسقط في النهر هو والكتاب ولما حكي ابو العلاء ذلك الى عامر المنصور قال
أبو عبد الله محمد بن يحيي المعروف بابن العريف فى الحال

قد غاص فى البحر كتاب الفصوص   وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور وندماؤه . فقال أبو العلاء مجيباً على الفور

عاد الى معدنه انما   توجد فى قعر البحار الفصوص

فدهش الحاضرون لذكاء ابى العلاء وسرعة خاطره في رده على ابن العريف فى لحظة بما
يحسن السكوت معه . وقد خص أبو العلاء بالمنصور ونال منه حظوة لم ينلها سواه وله كثير من
المؤلفات في شتي المواضيع العلمية وكان المنصور مولعاً بها

ويقال ان أبا العلاء لم يحضر مجالس أنس بعد وفاة المنصور مع أحد من الولاة وكان يدعى وجعاً
في ساقه لم يزل يتوكأ على عصا ويعتذر به في التخلص عن الحضور بمجالس الأمير والخدمة معه الى ان
انقضت دولتهم وقد أشار الى ذلك في قصيدته التى مدح بها المظفر أبا مروان عبد الملك بن المنصور
أبى عامر محمد بن أبي عامر وهو الذى ولى بعد أبيه

اليك حدوت ناجية الركاب   محملة أمانى كالهضاب
وبعت ملوك أهل الشرق طرآ   بواحدها وسيدها اللباب

الى ان قال :—

الى الله الشكية من شكاة   رمت ساقى فحل بها مصابى
واقصتنى عن الملك المرجى   وكنت أرم حالي باقترابي

كان المنصور يجمع العلماء فى كل اسبوع مرة فى مجلس مخصوص يقصره للمناظرة في جميع الفنون
العلمية على مشهد منه وهم يقضون ذلك اليوم بين سابق ولاحق وغالب ومغلوب والذي يحرز السبق في
ذلك المضمار يغمره المنصور بأعظم الهبات واطرف الصلات

وقد يقضى العلماء أيام الاسبوع الآتى في البحث والتمحيص استعداداً للمناظرة القادمة . فهذه ومثيلاتها كانت من بواعث تقدم الاندلسيين وانتشار العلوم بينهم . ومع ذلك فقد كان المنصور شغوفاً بالجهاد فقضى الشطر الاخير من أيام حياته يصول بين ساحات الوغى ولم يعد السيف الى غمده حتى غزا الروم اثنين وخمسين غزوة لم تنكس له في إحداها راية قط

ومن غريب ما يروى قيل كان يجمع ما يعلو ثيابه وجسمه من الغبار الذى تثيره سنابك الخيل وأرجل المشاة أثناء تلك الملاحم في صرة وأوصى بأن ينشر ذلك التراب فى كفنه عند ما يوضع فى رمسه وقد نفذت وصيته حالما أدركته الوفاة بمدينة سالم التي هي بأقصى ثغور المسلمين اذ ذاك سنة ٣٩٣ هـ الموافق سنة ١٠٠٣ م وكتب على قبره هذان البيتان :—

آثاره تنبيك عن اخباره حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتى الزمان بمثله أبداً ولا يحمي الثغور سواه

وكانت مدة إمارته نحواً من ٢٧ سنة . كان معافرى النسب وأمه تميمية اسمها بريهة بنت يحيى بن زكريا التميمي . وقال في ذلك أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الشاعر المعروف بالقسطلي

تلاقت عليه من تميم ويعرب شموس تلألأ في العلا وبدور

من الحميريين الذين اكفهم سحاب تهمى بالندا وبحور

وكان أبو عامر شغوفاً بالفتح ولو كان ذلك في حكم المستحيل فانه يذلله مهما تكن المشقة . وكان علاوة على ما قدمه من التضحية والجهود في اخضاع بلاد الاعداء المحيطة بمملكة الامويين بالاندلس كان طامحاً الى ضم القطر المصرى والحجاز والاستئثار بحكمها كما يؤخذ من شعره الذى يقول فيه :—

منع العين ان تذوق المناما حبها أن ترى الصفا والمقاما

لى ديون بالشرق عند أناس قد أحلوا بالمشعرين الحراما

ان قضوها نالوا الأمانى والا جملوا دونها رقابا وهاما

عن قريب ترى خيول هشام يبلغ النيل خطوها والشاما

وقد ضاقت مناطق التاريخ عن شمائل أبى عامر فأفرد لها أبو مروان بن حيان مؤلفاً خاصاً اسماه « المآثر العامرية » استقصى فيه ما للمترجم من الفضل والنبل والعفة والكرم والشجاعة والحزم واصالة الرأي وقوة الارادة ومضاء العزيمة وتتبع غزواته واحدة بعد واحدة مع ذكر الزمان والمكان . يقال انه اذا خرج لاداء فريضة الجمعة وخطر بباله غزو ثغر من ثغور الاعداء لا يعود لداره قط بل يخرج من الجامع سائراً اليه فتلحق به جنوده وآلة حربه

ومن مآثره بناؤه قنطرة عظيمة على نهر استجه حيث تجشم لها انظم مؤنه وسهل الطريق الوعرة الشعاب الصعبة المسالك . وقد ذكر ابن حيان انه كان جالساً في ليلة شديدة المطر والبرد والريح فدعى أحد الفرسان وقال له انهض الآن الى فج طيالس وقم فيه فأول خاطر يحضر اليك سقه الي فنهض الفارس وبقي في الفج وطل هناك بين البرد والريح والمطر [illegible] له ومعه آلة حطب فقال له الفارس الى اين تريد يا شيخ فأجابه بما خلاصته اني ذاهب لأحتطب فقال الفارس في نفسه هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل ليحتطب فما ذا عسى ان يريد المنصور منه قال فتركته حتى سار قليلا ثم فكرت فى قول المنصور وعاقبة خلافه فنهضت الى الشيخ وقلت له ارجع الى مولانا المنصور فقال الشيخ ماذا عسى ان يريد المنصور من شيخ مثلي سألتك بالله ان تتركني أذهب لطلب معيشتي فاجابه الفارس لا أفعل ثم قدم به الى المنصور واقامه بين يديه وهو جالس لم ينم تلك الليلة فقال المنصور للصقالبة فتشوه ففتشوه ولكنهم لم يجدوا معه شيئاً فقال المنصور فتشوا بردعته فهناك وجدوا خطاباً من نصارى نزعوا الى خدمة المنصور ثم كتبوا الى اصحابهم المعادين للدولة يحرضونهم للاغارة على بعض القرى الاسلامية والفتك بمن فيها فما كاد يبدو حاجب الشمس من ذلك اليوم حتى امر المنصور بالنصارى وشيخ السوء حامل خطابهم الى باب الزاهرة فضربت اعناقهم وذهبت ارواحهم ضحية الخيانة التي مثلوها وهم في نعيم وهناء بدار الامير

ومن نوادره في الذكاء يقال جاءه تاجر من مدينة عدن ومعه كثير من الجواهر . والاحجار الكريمة فاشترى المنصور ما استحسنه منها ورد الباقي منها اليه في صرة أخذها الجوهرى وأراد المسير الى حيث جاء الا أنه عطف على النهر ليستحم فترك ملابسه على الشاطىء ووضع فوقها تلك الصرة الحمراء فاختطفتها حدأة تظنها لحماً لاحمرار الصرة وأخذت تحوم بها في الجو والجوهرى يجرى من تحتها مسايراً لها حتى غابت عن نظره فى الآفاق . فعاد الى مجلس المنصور وهو مكتئب آسف متغيظ على الحدأة مستاء لما جرى فسأله الامير عن حاله فحكى له وقائع المسألة فقال المنصور الى أي جهة ذهبت الحدأة فاخبره بوجهها فبعث أحد غلمانه الى مشائخ البلاد التي اتجهت الحدأة نحوها وبعد ان أحضروا أمامه طلب اليهم أن يتفرسوا في احوال عشائرهم حتى اذا رأوا شخصاً حسن حاله وانتقل من شدة الى رخاء فى هذه الايام لا سابق عمل يحضر اليه فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون فى ذلك ثم قالوا له يا مولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو واولاده بأيديهم ويتناولون السبق باقدامهم عجزاً عن شراء دابة فابتاع اليوم دابة واكتسى هو واولاده كسوة وسطى فامر باحضاره ولما مثل بين يديه سأله بحضرة التاجر الجوهري قائلا « سبب ضاع منا وسقط اليك ما فعلت به » فاجابه « هو ذا يا مولاي » وضرب بيده الى حجرة سراويله فاخرج الصرة بذاتها فصاح التاجر طرباً وكاد يطير من فرط سروره فقال المنصور للرجل صفه

لنا حديثها فقال اني كنت في جناني تحت نخلة اذ سقطت امامي فأخذتها وراقني منظرها فقلت إن الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار فاجتزت بها ودعتني فاقتي الى اخذ عشرة مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة وقلت أقل ما يكون في كرم مولاي ان يسمح لي بها فعجب المنصور به وقال للتاجر خذ صرتك وانظرها واصدقني عددها ففعل وقال وحق راسك يا مولاي ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له فقال له المنصور نحن أولى بذلك منك ولا ننغص عليك فرحك ولولا جمعه بين الاصرار والاقرار لكان ثوابه موفوراً عليه ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضاً عما فقده من صرته، وللرجل بعشرة دنانير أخرى ثواباً لتأنيه عن افساد ما وقع بيده، وقال لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لاوسعناه جزاء

ويقال كان في عهد المنصور فتى من أهل الادب رق حاله في طلب العلم بقرطبة فتعلق بكتاب العمل وتردد اليهم حتى قلد بعض الاعمال فاستهلك كثيراً من المال ولما حوسب على ما كان بيده من مال بيت المال وجد عليه ثلاثة آلاف دينار فابلغ الامر الى أبي عامر المنصور فأمر باحضاره ولما مثل بين يديه واعترف بما كان من جرمه قال له المنصور يا فاسق ما الذي جرأك على مال السلطان تنهبه فقال الفتى « قضاء غلب الرأى وفقر أفسد الامانة » فقال المنصور والله لاجعلنك نكالا لغيرك ثم أمر باحضار الاغلال والحداد فكبل الفتى وقال احملوه الى السجن وأمر الضابط بامتحانه والشدة عليه فلما قام انشأ يقول :—

اواه اواه وكم ذا ارى ... أكثر من تكرار اواه
ما لامرىء حول ولاقوة ... الحول والقوة لله

فقال المنصور ردوه فلما رد قال له تمثلت أو قلت ؟ قال بل قلت قال خلوا عنه كبله فلما أطلقت تلك القيود قال :—

أما ترى عفو أبي عامر ... لا بد ان يتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفى ... عن عبده أدخله الجنه

فأمر بالافراج عنه وسوغه ذلك المال وابرأه من التبعة فيه

وحكي انه عرض على المنصور بن أبي عامر كشف فيه اسماء المسجونين فرأى ان بين تلك الاسماء اسم خادم له كان واجداً عليه فوقع امام اسمه بأن لا سبيل الى اطلاقه حتى يلحق بأمه في الهاوية فلما علم الخادم بذلك بذل جهده في الدعاء والمناجاة فأرق المنصور عقب ذلك وغلبه النوم فكلما أراد النوم رأى شبحاً مخيفاً كريه المنظر يأمره باطلاق الخادم ويتوعده على حبسه فدعا المنصور بدواة وقلم

ولم تزل الولايات من طرطوشة الى الاشبونه باقية على طاعته فأخذ في جمع جنده واستعان أيضاً بالافرنج وكر راجعاً الى قرطبة فقابله سليمان بن الحكم مع جنده من البربر فى مكان يسمى « دار البقر » على بعد بضعة عشر ميلا من قرطبة وهناك حدثت بينهما حرب عنيفة تبادل الفريقان فيها الكر والفر واسفرت تلك الملحمة بهزيمة البربر ودخل محمد المهدى قرطبة قسراً وسيفه يقطر من دم أعدائه وليته استكان خنيء يريش جناحه الذي قصصته تلك الحوادث بل قام مدفوعاً بعوامل الحقد الى محق قبائل البربر الذين عاثوا فساداً فى أرجاء الجزيرة والتقى بهم بمكان يعرف بوادي أره ولكنه لم يقو على حربهم بل نكص فاراً الى قرطبة فوثب عليه العبيد مع واضح الصقلي فقتلوه وردوا هشاما المؤيد فقال أحد الشعراء :—

قد قام مهدينا ولكن ... بعلة الفسق والمجون
رشارك الناس فى حريم ... لولاه ما زال بالمصون
من كان من قبل ذا أجماً ... فاليوم قد صار ذا قرون

سليمان المستعين

هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر السالف ذكره قضى ردحاً من الزمن يصول بعساكره من البربر في اطراف الاندلس باذلا اقصى الجهود من يوم الجمعه ٦ شوال سنة ٣٩٩ ﻫ حتى ذلل تلك المصاعب وأماط الاذى عن سبيل نفوذه ودخل قرطبه في ربيع الثاني سنة ٤٠٠ ﻫ ثم غادرها فى شوال من السنة المذكورة وظل يتنقل بالاندلس الى اوائل سنة ٤٠٣ ﻫ ثم عاد الى قرطبة مرة أخرى وكان ضمن جنده رجلان من سلالة الحسين بن الامام على بن أبي طالب يدعي احدهما القاسم والثاني علياً ابني حمود بن ميمون فجعلهما قائدين في جنده على فرق من المغاربة . ثم ولى عليا الذي هو اصغرهما علي سبته وطنجه وولى القاسم على الجزيرة الخضراء فلما رأي علي بن حمود ضعف الامويين وما قام بنفوسهم من التباغض بشأن الرياسة تاقت نفسه الى اختلاس الملك من ايديهم فزعم ان هشاما اسند اليه ولاية عهده وقد ادرك بحيله مايريد فبايعه اهل سبته وقام لمالقه فاذعن له واليها فبسط نفوذه عليها وسار الى قرطبه فمنعه من دخولها محمد بن سليمان وجنوده البربر ولكنهم لم يقووا على صده فرزموا امامه ودخل علي بن حمود قرطبة ظافراً منصورا ومن ثم ضرب عنق محمد بن سليمان بن الحكم بيده وكذا قتل أباه الحكم بن سليمان الناصر وكان كهلا يبلغ من العمر ٧٢ عاما ونكل باتباعه اشد التنكيل . قد حصلت تلك الفظائع في يوم ٢١ محرم سنة ٤٠٧ الموافق سنة ١٠١٨ م وكان سليمان شاعراً بليغاً ومن شعره قوله

وكتب أمراً بالافراج عنه هذا نصه :ـ

« هذا طليق الله على رغم أنف ابي عامر » ومع ذلك فقد كان ناسكاً ورعاً يترفع عن مال السلطنة ويسعى جده في الحصول على الحلال من تراث أبيه حتى قال بعض المؤرخين كان لابن أبي عامر كفن من ميراث أبيه وغزل بناته يأخذه معه في غزواته لكي لا يكفن بثوب تكون به شائبة من الحرمة

ولما توفى ابن ابي عامر قام بأمر المؤيد بعده ابنه عبد الملك المظفر فنهج نهج ابيه في السياسة والغزو ثم توفى بعد سبع سنين من وزارته . فقام بالامر بعده اخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله الا انه طمع في ان يؤول الامر اليه . فطلب من هشام المؤيد ان يوليه عهده فأجابه بلا تردد وكانت هذه سبباً في تقويض نفوذهما حيث نقم أهل الدولة عليهما ونادوا بخلع هشام المؤيد لسوء تصرفه وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ولقبوه بالمهدى أما الوزير عبد الرحمن فكان غائباً في غزوة له ولما آب قتل في الحال وذهبت آماله أدراج الرياح

محمد المهدى

لقد اسلفنا القول على انه بويع من أهل الدولة بعد هشام المؤيد وصلب عبد الرحمن الحاجب على يده إلا ان ولايته كانت فاتحة فتن وحروب داخلية فتت في ساعد الدولة ودكت معامل النفوذ الاموي وحاصل القول ان المنصور بن ابي عامر حال قيامه بولاية أمر المؤيد حشد جنداً عظيما من قبائل البربر وبذل لهم المال واستمالهم بالعطاء والدهاء فاستاء هؤلاء لما رأوه من قتل ابنه وعزل هشام المؤيد فأخذوا يتآمرون لمهدى ويدبرون المكائد ضده حتى بلغ المهدي أمرهم فنقم عليهم هو وبطانته واظهروا لهم نهاية البغض وبينما هم كذلك واذ ثار البربر في يوم الخميس ٥ شوال سنة ٣٩٩ الموافق سنة ١٠٠٩ م بقيادة هشام بن سليمان بن الناصر فقابلهم الامويون بقيادة الامير محمد المهدى وحدثت بينهما حرب هائلة تغلب فيها الامويون على قبائل البربر وهزموهم شر هزيمة وأسر هشام بن سليمان وجيء به الى محمد المهدى الذي امر بضرب عنقه فضربت ولقد حنق البربر ولموا فلول جيوشهم وعقدوا لواء القيادة الى سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر وهو أخو المقتول فنهض بهم الى الحرب الا انه من سوء تدبيره استعان بالفونس الخامس ملك قشتالة الذى امدهم بجند عظيم من الاسبان تولى قيادته بنفسه وزحفت القوتان الى مدينة قرطبه ولما بلغنا جبل « قنطش » الذي كان قريباً من ابواب المدينة خرج أهل قرطبه وهنالك حدثت حرب عنيفة قتل في غضونها نحو ثلاثة وعشرين الفاً كان جلهم من صفوة العلماء والادباء واهل الفضل من سكان المدينة . ذهبت نفوسهم الطاهرة ضحية المطامع الاشعبية والفتن المشؤومة التى كان مثارها حب الذات والميل الى الرئاسة والاستئثار بالسلطة ، اما محمد المهدي فانه استتر اياماً ثم فر متنكراً الى طليطله

ولم تزل الولايات من طرطوشة الى الاشبونه باقية على طاعته فأخذ في جمع جنده واستعان أيضاً بالافرنج وكر راجعاً الى قرطبة فقابله سليمان بن الحكم مع جنده من البربر فى مكان يسمى « دار البقر » على بعد بضعة عشر ميلا من قرطبة وهناك حدثت بينهما حرب عنيفة تبادل الفريقان فيها الكر والفر واسفرت تلك الملحمة بهزيمة البربر ودخل محمد المهدى قرطبة قسراً وسيفه يقطر من دم أعدائه وليته استكان بعد ما تكسر جناحه الذي قصصته تلك الحوادث بل قام مدفوعاً بعوامل الحقد الى سحق قبائل البربر الذين عاثوا فساداً فى أرجاء الجزيرة والتقى بهم بمكان يعرف بوادي أره ولكنه لم يقو على حربهم بل نكص فاراً الى قرطبة فوثب عليه العبيد مع واضح الصقلي فقتلوه وردوا هشاما المؤيد فقال أحد الشعراء :—

قد قام مهدينا ولكن	بملة الفسق والمجون
وشارك الناس فى حريم	لولاه ما زال بالمصون
من كان من قبل ذا أجماً	فاليوم قد صار ذا قرون

سليمان المستعين

هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر السالف ذكره قضى ردحاً من الزمن يصول بعساكره من البربر في اطراف الاندلس باذلا اقصى الجهود من يوم الجمعه ٦ شوال سنة ٣٩٩ هـ حتى ذلل تلك المصاعب وأماط الاذى عن سبيل نفوذه ودخل قرطبه في ربيع الثاني سنة ٤٠٠ هـ ثم غادرها فى شوال من السنة المذكورة وظل يتنقل بالاندلس الى اوائل سنة ٤٠٣ هـ ثم عاد الى قرطبة مرة أخرى وكان ضمن جنده رجلان من سلالة الحسين بن الامام على بن أبي طالب يدعى احدهما القاسم والثاني علياً ابني حمود بن ميمون فجعلها قائدين في جنده على فرق من المغاربة . ثم ولى عليا الذي هو اصغرهما على سبته وطنجه وولى القاسم على الجزيرة الخضراء فلما رأي علي بن حمود ضعف الامويين وما قام بنفوسهم من التباغض بشأن الرياسة تاقت نفسه الى اختلاس الملك من ايديهم فزعم ان هشاما اسند اليه ولاية عهده وقد ادرك بحيله مايريد فبايعه اهل سبته وقام لمالقه فاذعن له واليها فبسط نفوذه عليها وسار الى قرطبه فمنعه من دخولها محمد بن سليمان وجنوده البربر ولكنهم لم يقووا على صده فرزموا امامه ودخل علي بن حمود قرطبة ظافراً منصورا ومن ثم ضرب عنق محمد بن سليمان بن الحكم بيده وكذا قتل أباه الحكم بن سليمان الناصر وكان كهلا يبلغ من العمر ٧٢ عاما ونكل باتباعه اشد التنكيل . قد حصلت تلك الفظائع في يوم ٢١ محرم سنة ٤٠٧ الموافق سنة ١٠١٨ م وكان سليمان شاعراً بليغاً ومن شعره قوله

امره بقرمون . ثم جمع جيشه وزحف به لحصر اشبيليه طامعاً في احتلالها ولكن لسوء حظه ونحس طالعه خرج نشوان الى لقاء خيل اقبلت من اشبيليه فما كاد يراه أولئك الفرسان حتى انقضوا عليه وتخطفوه ومن معه باطراف العوالي ولم يفلت إلا افراد قليلون من اتباعه. وكان ذلك فى يوم الاحد ٧ محرم سنة ٤٢٧ هـ الموافق سنة ١٠٣٦ م وكان له من الولد الحسن وادريس . ويقال كان ابنه ادريس معتقلا بمالقه فأخرج منها بعد اخطار جمة وبويع له بالامارة فأطاعه أهل غرناطه وقرمونه ولقب بالعالي وهوالذى مدحه أبوزيد عبد الرحمن بن مقانا الفنداقي وهو من شعراء الاندلس المجيدين بقصيدته الآتية :—

ألبرق لائح من اندرين	ذرفت عيناك بالماء المعين ؟؟
لعبت أسيافه عارية	كمخاريق بأيدى اللاعبين
ولصوت الرعد زجر وحنين	ولقلبي زفرات وأنين
وأناجي في الدجا عاذلتي	ويك لا أسمع قول العاذلين
عيرتنى بسقام وضنى	ان هذين لدين العاشقين
قد بدا لي وضح الصبح المبين	فاسقنيها قبل تكبير الأذين
اسقنيها مزة مشمولة	لبثت في دنها بضع سنين
نثر المزج على مفرقها	درراً عامت فعادت كالبرين
مع فتيان كرام نجب	يتهادون رياحين المجون
شربوا الراح على خد رشا	نور الورد به والياسمين
وجلت آيانه عامرة	سبج الشعر على عاج الجبين
لوت الصدغ على حاجبه	ضمة اللام على عطفة نون
فترى غصناً على دعص نقا	وترى ليلا على صبح مبين
وسيسقون اذا ما شربوا	بأباريق وكأس من معين
ومصابيح الدجى قد طفئت	في بقايا من سواد الليل جون
وكأن الظل مسك في الثرى	وكأن الظل در في الغصون
والندى يقطر من نرجسه	كدموع اسبلتهن الجفون
والثريا قد هوت من أفقها	لقضيب زاهر من ياسمين
وانبرى جنح الدجى عن صبحه	كغراب طار عن بيض كنين
وكأن الشمس لما اشرقت	فانثنت عنها عيون الناظرين

وجه ادريس بن يحيى بن علي ... بن حمود بن أمير المؤمنين

ملك ذو هيبة لكنه ... خاشع لله رب العالمين

خط بالمسك على أبوابه ... « أدخلوها بسلام آمنين »

فاذا ما رفعت راياته ... خفقت بين جناحي جبرئين

واذا أشكل خطب معضل ... صدع القوم بمصباح اليقين

يا بنى احمد يا خير الورى ... لابيكم كان وفد المسلمين

نزل الوحي عليه فاحتبى ... في الدجى فوقهم الروح الامين

خلقوا من ماء عدل وتقا ... وجميع الناس من ماء وطين

انظرونا نقتبس من نوركم ... انه من نور رب العالمين

يقال انه أنشده إياها من وراء حجاب اقتفاء بطريقة خلفاء العباسيين فلما بلغ الى قوله انظرونا نقتبس من نوركم انه من نور رب العالمين أمر الامير حاجبه برفع الستار وقابل الشاعر بوجهه واظهر له نهاية البشاشة وأغدق عليه أوفر الصلات . فكانت من أنبل شمائله . ولقد اعجب الاندلسيون بالقصيدة ورفعوا من قدر الشاعر الى أسمى مراتب الادباء . وقد خلع الامير ادريس من الولاية في سنة ٤٣٨ هـ الموافق سنة ١٠٤٧ م

محمد بن ادريس بن علي المهدي

هذا ابن عم ادريس ولي ولم يخطب له بالخلافة . وكان العالي مقيماً بمدينة قماش فهاجم مالقه وأطلق العنان لجنده بالعبث فيها ولم يزل ادريس مشغولا به حتى أدركه الاجل فتوفى الى رحمة مولاه في سنة ٤٤٦ هـ الموافق سنة ١٠٥٥ م

محمد بن ادريس المستعلي

بويع هذا بعد وفاة العالي في سنة ٤٤٦ هـ ولقب بالمستعلى ثم غزاه ادريس بن حيوس في سنة ٤٤٩ هـ فتغلب على مالقه وخلع محمد المستعلى ولما بلغ اهل المغرب خبره استدعوه وبايعوه بمليله سنة ٤٥٦ هـ فأقام بينهم الى أن توفى الى رحمة مولاه سنة ٤٦٠ هـ

محمد بن القاسم بن حمود المعتصم

نودى به ملكاً على الجزيرة الخضراء الا انه توفى عاجلا ولم تطل أيامه بها ثم خلفه ابنه القاسم الواثق ثم توفي أيضاً سنة ٤٥٠ هـ فاصبح الامر بالجزيرة للمعتضد بن عباد . ومالقه لابن حيوس وكان منافساً لابن عباد . فالى هنا تقلص ظل الدولة العلوية وذهبت أيامها في اضطرابات وحروب كأنما عناها أبو الطيب بقوله :—

كريشه في مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق

عبد الرحمن بن هشام المستظهر

لما شاهد اهل قرطبة حمق الدولة العلويه وما قامت به من الاضطرابات وكثرة الانشقاقات نبت نفوسهم عنها فعقدوا اجتماعا عاما قرروا فيه نبذ سلطتها واعادة الملك الي السلالة الاموية الذين كان لهم اثر حميد في نهضة الاندلس فلذلك قطعوا دعوة العلويين بعد سبع سنين من بدايتها ولما هاجم القاسم بن حمود قرطبة فى جيش من البربر وهزموه كما ذكرنا نادوا بعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخي المهدى ملكا ولقبوه بالمستظهر وكان ذلك فى يوم ١٣ رمضان سنة ٤١٤ هـ وكان عبد الرحمن عالما فاضلا وشاعراً بليغاً فاليك مثال من شعره :—

طال عمر الليل عندي قد تولعت بصدى
يا غزالا نقض العهـ ـد ولم يوف بوعد
أنسيت العهد اذ بتـ ـنا على مفرش ورد
واجتمعنا فى وشاح وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل تحكي ذهباً في لازورد

وله أيضاً :—

حمامة بيت العبشمين رفرفت فطرت اليها من سراتهم صقرا
تود الثريا أن نكون لها يداً ويرجو الصباح ان يكون لها نحرا

وانى لطعان اذا الخيل أقبلت ... جوانبها حتى ترى جونها شقرا

ومكرم ضيفي حين ينزل ساحتي ... وجاعل وفري عنده سائله وفرا

ومع ما كان عليه من الفضل والنبل فان مطامع الأمويين في الرياسة قضت على حياته لان أبا عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن عبد الله بن الرحمن الناصر كان يرى نفسه أحق بالملك من غيره فجمع له جموعاً من حثالة البشر واغراهم على المستظهر وقد ساعدته القادير على الخفاء حياة تلك الروح الطاهرة ودخل قرطبه ظافراً منصوراً

محمد بن عبد الرحمن المستكفي

كان هذا بليداً فائل الرأي ضعيف الارادة أخذ أبوه يحاول اختلاس الملك بمساع خفية في إبان ولاية هشام المؤيد إلا ان ابن أبي عامر فتك به قبل استفحال أمره فخنق بذلك الشر في مهده . ولما تبوأت القادير ابنه المستكفى مقاعد الملك استوزر رجلا حايكا يدعى أحمد بن خالد واسند اليه تدبير مملكته وتنظيم شؤون البلاد وكان هذا جاهلا غبياً مع ان قرطبه كانت غاصة اذ ذاك بالعلماء والادباء فاستاء الناس ونظروا بعين ملؤها السخرية والازدراء لطيش الامير وسخافة الوزير وأخذوا يدبرون لهما المكائد ولما غلى مرجل الغضب وعز الاصطبار هبوا بغتة وولجوا قصر الامير وقبضوا عليه وزجوه في اعماق السجن لمدة ثلاثة أيام لم يذق في غضونها طعاماً ولا شراباً . ثم اقصوه الى ابعد ثغور بالاندلس . اما وزيره فدخل عليه بعض الرعاع من اهل قرطبة في داره ومثلوا به ابشع تمثيل وكانت ولاية المستكفى سنة اشهر وأيام . وقد سار المستكفى من منفاه الى قرية بشمنت قريباً من مدينة سالم ومعه عبد الرحمن بن محمد بن السابم احد قواده الذى سئم مجاراته على مطامعه الاشعبية . فاتفق مع خادم المستكفي فدهنا له دجاجة بعصارة نبت يقال له « البيش » كثير الوجود ببلاد الاندلس ولما طلب المستكفى الغذاء قدم اليه الخادم تلك الدجاجة ضمن المأكولات فما كاد يتناول منها شيئاً حتى فاضت روحه فتولى القائد غسله والصلاة عليه وانطفأت في شخصه فتن كادت تأخذ بجلابيب البلاد وتذهب فيها أرواح الالوف من العباد . فرحم الله القائد الذى أخذ بالمثل السائر « موت الولد ولا خراب البلد »

هشام المعتمد

هذا هو هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام عبد الملك بن مروان بن الحكم . وهو آخر ملوك الامويين بالاندلس . كان هشام مقيماً بحصن يسمى « البنت » فاستدعاه أهل قرطبه بعد أن رفعوا

الامر الى رؤساء العشائر وزعماء القبائل بالتنور بواسطة الوزير أبي الحزم جبور بن محمد بن جبور وحصلوا منهم على وفاق تام فتقدم هشام وبويع فى ربيع الاول سنة ٤١٨ هـ ولقب بالمعتمد بالله فعصفت الفتن في ايامه حتى اضطر الى الفرار من قرطبه الى الادره في سنة ٤٢٢ هـ الموافق سنة ١٠٣٢ م واقام بها الى ان توفى الى رحمة مولاه في سنة ٤٢٨ هـ الموافق سنة ١٠٣٧ م وهناك كورت شمس الدولة الاموية وتقلص ظلها وقلب الزمان لها ظهر المجن وجر بكلاكله على تلك الآثار البديعة وجرف بمعاول العدم مدنية ارتكزت دعائمها على المبادىء الدينية الحقة . ولما ساد الخلاف بين المسلمين وتفرقت بهم الاهواء نادت كل طائفة بملك حتي اطلق المؤرخون عليهم أسم « ملوك الطوائف » من ذلك قامت باشبيلية دوله بني عباد وبطليوس دولة بني الافطس محمد بن عبد الله . وبطليطلة دولة اسماعيل بن ذي النون . وبسر قسطه دولة بني هود . وبطرطوشه دولة لبيب العامري . وبيلنسيه دولة منصور العافري . وغير ذلك مما استقل به الولاة وعظماء البلاد من الأمارات الكثيرة . وتلقب كل منهم بلقب كالمعتضد والمأمون والمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفق والمتوكل حتى قال ابو علي الحسن بن رشيق

مما يزهدني في أرض اندلس ألقاب معتمد فيها ومعتضد

القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انفاخا صولة الاسد

فوجدت دولة الاسبان من ذلك سبيلا الى استئصال تلك الامارات الدورية الضعيفة فأخذت تستعين ببعضها على البعض الاخر حتي امكنها استرجاع نفوذها فى الاندلس ودعمت قوتها وشمخت بأنفها واضطهدت العرب اضطهاداً اضطرهم الى الجلاء عن وطنهم فساروا الى افريقيا جماعات وفرادى فمنهم من نزح الى مصر والشام وجاء آخرون الي السودان من طريق صحراء ليبيا فلقوا من السودان صدراً رحبا وانتشروا بين أرجائه وبقي بالاندلس جماعة شعفنا بوطنهم وذاقوا هناك من سوء المعاملة ما اضطرهم الى اعتناق ديانة التثليث واندمجوا في الاسبانيين . ولعلماء الاندلس قصائد شتى في رثاء مجد الاندلس وأفول بدر الحضارة العربية به منها قصيدة العلامة الاستاذ أحمد المقرى المثبتة في صدر كتابه نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وهي :ــ

سبحان من قسم الحظو ظ فلا عتاب ولا ملامه

أعمى وأعشى ثم ذو بصر وزرقاء اليمامه

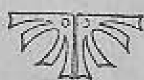
ومسدد أو جائر أو حائر يشكو ظلامه

لولا استقامة من هدا ه لما تبينت العلامه

والزاعمون بجهلهـــم ان القبور صدى وهامه
والمكثرون من المجو ن اذا شكا الفكر اغتمامه
اين الغريض ومعبد أو اشعب وأبو دلامه
أين الألى هاموا بسـ عدى أو بثينة أو امامه
وبكوا لفرط جواهم والليل قد أرخى ظلامه
وتتبعوا آثار من عشقوا بنجد او تهامه
وتعللوا والشوق يغلـ ب بالاراكة والبشامه
اضنى النوى قيساً ففا سى لاعجاً أغرى غرامه
وغوى هوى غيلان مذ أبدى بمية هيامه
اين الاكاسر والقيا صرة المحلون القامه
اين الذى الهرمان من بنيانه الحاكى اعتزامه
أم اين غمدان وسيـ ف والوفود به امامه
اين الخورنق والسدير ومن شقى بهما اوامه
ومدائن الاسكندر اللا تى لها اعلى دعامه
أين الحصون ومن يصو ن بها من الاعدا حطامه
أين المراكب والموا كب والعصائب والعمامه
اين العساكر والدسا كر والندامى فى المدامه
وسقاتهـــا المتلاعبو ن بلب من اعطوه جامه
من كل أهيف يزدري بالغصن ان يهزز قوامه
ذي غـــــرة لألاوها يمحو عن النادى ظلامه
فالشمس في ازراره والبدر فى يده قلامه
يصمي القلوب اذا رمى عن قوس حاجبه سهامه
ويروق حسناً ان دنا ويفوق آراماً برامه
أنى لها ثغر حلا ذوقاً لمن رام التثامه
أنى لهـا وجه يشب بقلب مبصره ضرامه
استغفر الله للغـو لا يرى الشرع اعتيامه
بل اين ارباب العلو م أولو التصدر — والامامه
وذوو الوزارة والحجا بة والكتابة والعلامه

كائنة سكنوا باند لس فلم يشكوا سآمه
هي جنة الدنيا التي قد أذكرت دار المقامه
لاسيما قرناطة الغراء رائقـــــــة الوسامه
وهي التي دعيت دمشق وحسبها هذا فخامه
لنزول اهليها بها إذ اظهر الكفر انهزامه
وأتت جيوش الشام من باب نفى الفتح انبهامه
فسلوا بها عن جلق إذ اشبهتها فى الضخامه
وبدا لهم وجه المنى وأراهم الثغر ابتسامه
وتبوؤها حضـــــــرة تبرى من الضنى سقامه
برو ائهـــــــا وبمائها وهوائها النافى الوخامه
ورياضها المهتزة الاعطاف من شدو الحمامه
وبمرجها النضر الذى قد زين الله ارتسامه
وقصورها الزهر التي يأبى بها الحسن انقسامه
يا ليت شعري اين من أمضى بها الحكم احتكامه
واتيـح فى حمرائها عزاً به زان اتسامه
اين الوزير ابن الخطيب بها فما احلى كلامه
فلكم أبان العدل في ارجائها وبها أقامه
ولكم أجار عدا وكم أجرى ندى والي انسجامه
راعت صروف الدهر دو لته وما راعت ذمامه
حتى سوى اثر النوى في حفرة نثرت نظامه
من زارها فى ارض فا رس اذهبت شجواً منامه
إذ نهبه لكل شمـــــــل شتت الموت التئامه
هذا لسان الدين أسكته وأسكنه رجامه
ومحا عبارته فمن حياه لم يردد سلامه
فكأنه ما أمسك القلم المطاع ولا حسامه
وكأنه لم يعل متن مطهم باري النعامه
وكأنه لم يرق غا رب الاعتزاز ولا سنامه
وكأنه لم يجل وجهاً حاز من بشر تمامه

وكأنه ما جال فى ... أمر ولا نهي وسامه
وكأنه لم يلق فى ... يده لتدبير زمامه
مذ فارق الدنيا وقوض ... عن منازلها خيامه
أمسى بقبر مفردا ... والترب قد جمعت عظامه
من بعد تثنية الوزا ... رة جاده صوب الغمامه
لم يبق الا ذكره ... كالزهر مفتر الكمامه
والعمر مثل الضيف او ... كالطيف ليس له إقامه
والموت حتم ثم بعد ... الموت اهوال القيامه
والناس مجزيون عن ... أعمال ميل واستقامه
فذوو السعادة يضحكو ... ن وغيرهم يبكي ندامه
والله يفعل فيهم ... ما شاء ذلا أو كرامه
ويشفع المختار فيهم ... حين يبعثه مقامه
وعليه خير صلاته ... مع صحبه تتلو سلامه
والتابعين ومن بدا ... برق الرشاد له فشامه
ما فاز بالرضوان عبد ... كانت الحسنى ختامه



خاتمة

انه في يوم الثلاثاء ٢٧ رجب سنة ١٣٥٥ هجرية الموافق ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٦ ميلاديه تم بعون الله وتوفيقه طبع الجزء الاول من « كتاب نفثات اليراع في الادب و التاريخ والاجتماع » واني لمغتبط لهذه المصادفة الحسنة ومتفائل خيراً بهذا اليوم العظيم الذى أسرى فيه بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء في قوله تعالى « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله » وعرج فيه بجسده وروحه حتى رأى ربه عياناً كما عليه جمهور اهل السنة فنرجو الله ان يعلي من شأن هذا المؤلف في نظر الامة وينفعها به بحق ليلة الاسراء المباركة

اجل تم طبع هذا المؤلف بعد ان جلت به طويلا على ارباب المطابع بمصر والسودان منذ سنة ١٩٣١ وكانوا يعرضون على اسعاراً باهظة حتى كاد اليأس يستولى على آمالي فى ابرازه لو لا ما لقيته من تشجيع شركة الطباعة والنشر بالخرطوم التى آثرت خدمة العلم على فائدتها المادية وطبعت لي باسعار قد لا تختلف بحال مع الاسعار المصرية ولم تكلفني دفع درهم قبل الطبع وذلك مما يخالف عرف ارباب الشركات الاخرى وهي معاملة خاصة الغرض منها خدمة البلاد الادبية وعلى ذلك اراني مديناً بالشكر الجزيل الى حضرات أصحاب شركة الطباعة والنشر عموماً والى حضرة السر السيد عبد الرحمن المهدي خصوصاً وارجو الله آن يجزيهم عن الأمة خير الجزاء إذ لولاهم لظل هذا المؤلف زمناً طويلا بعيداً عن نظر القراء هذا وقد يتضمن الجزء الاول بحثاً طريفاً عن الغناء والتلحين وآلات الطرب من اقدم عصور التاريخ فى العالم ثم تطور الاغانى الشرقية مع الحكم الشرعي فيها . ولما كانت الاغانى هي عبارة عن الادب القومى الذي تستوضح فيه نفسية الامة فقد قسمنا الاغاني السودانية الى أقسام شتى وهي الوصف والسياسة والتحريض والمدح والهبا والرثاه وهلم جرا وقد اتبعنا ذلك بشيء من الادب العربي السودانى ومن ثم ختمناه بتاريخ الاندلس بطريقة تكفى عن اكبر المؤلفات فيه وسوف يلى ذلك الجزء الثانى وبه جغرافية وتاريخ دار فور ووداي وبحريا مع ذكر القبائل وعاداتها واخلاقها والحروب الاهلية والسياسة الى الاحتلال الفرنسى في برنو ووداي والاحتلال الانجليزى المصري في دار فورويان موجز عن الاحوال الحاضرة بعد دخول البلاد فى طور الاستعمار وذلك مما شاهدناه عياناً واخذناه من اوثق الرواة من سكان تلك الاقاليم النائية الذين دالت دولهم وشردوا إلى الاطراف فمنهم من هو حي الآن كميت ومنهم من ذهب الى امه الهاوية ولسان حاله يقول

دخل الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونخليها لقوم بعدنا

وقد نختم الجزء الثانى ببعض الابحاث الاجتماعيه المفيده ويحتمل أن نقسم الجزء الثاني الى قسمين أي ثاني وثالث لوفرة المادة حتى تتناسب الاجزاء الثلاثة في حجمها والله ولي التوفيق

فهرست

ع

ف

ل

م

هـ

ى

صحيفة	سطر	خطأ	الصواب
٩	٢	استغفر الله استغفرلله	استغفر الله استغفر الله
١٨	١١	نور باشا	نوبار باشا
٣٠	١٦	أسد الكرمك	أسد الكرمت
٣٠	٢١	عبد الرحمن الجويسر	عبد الرحمن الجسير
٤٦	١٧	يهجو الشيخ المدى	يهجو قاضي سرية الشيخ المدي
٤٧	٢١	مماه ساق اربت	مماه ساق أربد
٤٧	٢٣	اربت	أربد
٤٧	٣٤	اربت	أربد
٤٨	١٠	إمرأة أخه	سرية أخيه
٧٥	١١	الجبابة	الجباب
٨٤	١٠	عراب	غراب
١٤٤	١٠	المنون	المتون
٢٤٢	١٣	وسادسه لحيوان	وسادسه اسم لحيوان
٢٤٦	٢٠	واظهر دينه	واظهار دينه
٢٤٧	٢٢	رصعة	مرصعة
٢٤٨	٥	كائت	كانت
٢٤٩	١٣	الفرسان	الفريقان
٢٤٩	٢٠	الغربب	الغريب
٢٤٩	٢١	القطر	القصر
٢٥٠	١٥	عبد الرحمن المنطهر	عبد الرحمن المستظهر
٢٥٠	٢٣	فيقال له اذا حضر هشام مجلساً امتلأ سخفاً وهزياناً	اذا حضر هشام مجلساً امتلأ أدباً وتاريخاً وذكر آلامور الحرب واذا حضر سليمان مجلساً امتلأ سخفاً وهذياناً
٢٥١	٢٢	نسأل الله ان يرينا موسمنا بمثل هذا	نسأل الله أن يزين موسمنا بمثل هذا
٢٥٣	٧	قتام القبائح	لعاب القبائح

صحيفة	سطر	خطأ	الصواب
٢٥٣	١٣	التمردين	المتمردين
٢٥٤	١٧	١٠٠ دينار	١٠٠ الف دينار
٢٥٤	١٨	فراجه	فراجـه
٥٧	٢	ودورة	ودرة
٢٥٧	١٦	الشياب	الشباب

